الحوار في الاسلام

الحوار في الاسلام

Dialogue in Islam

المؤلف: بقلم: عبد المحمود أبّو
الطبعة الثانية، لبنان/ كندا، 2016
First Edition، Lebanon/Canada، 2016

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أونقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق

All rights reserved، is not entitled to any person or institution or entity reissue of this book، or part thereof، or transmitted in any form or mode of modes of transmission of information، whether electronic or mechanical، including photocopying، recording، or storage and retrieval، without written permission from the rights holders

OPUS PUBLISHERS
56 Laurel Cres. London، Ontario، Canada
Tel: +2266783972
N6H 4W7
opuspublishers@hotmail.com

لبنان – بيروت/ الحمرا
تلفون: 751055 1 961+/541980 1 961+
daralrafidain@yahoo.com
info@daralrafidain.com
www.daralrafidain.com

هام: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 1 - 988295 - 11 - 4

الحوار في الاسلام

حقائق ونتائج

بقلم: عبد المحمود أبّو

OPUS PUBLISHERS

الاهداء:

إلى روح والدي في عليائها..لقد تعلمت منه الصبر والإباء والثبات على المبدأ في المواقف.. وتعلمت منه الهدوء والتريث والحوار في الصمت!

كان أمة في رجل؛ تجمعت فيه تجارب التاريخ، وعناصر الحكمة؛ كان متواضعا في غير ذُل، مترفعا في غير كِبر؛ سمعته كثيرا يردد «اللهم إني أسألك نفسا بك مطمئنة»؛ تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك؛ اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم أرحمه وأكرم نزله، وأنزله منزل صدق مع من أحببت من عبادك الصالحين.

المقدمة

الإنسان مدني بطبعه، هكذا قرّرعلم الإجتماع، مؤكداً أن الإنسان بحكم تكوينه لن يستطيع العيش منفصلاً عن مجتمعه البشري، هذه الخاصية جعلته يتميز عن المخلوقات الأخرى بصفات تقتضيها طبيعته المدنية مثل: احتياجه لبني جنسه للحصول على الحاجات التي يعجز عن توفيرها، وتقديم الأشياء التي تزيد عن حاجته لمن يحتاج إليها في المجتمع ـ أي تبادل المنافع ـ كذلك تميُّزه بالعقل والحرية والإرادة والكرامة؛ جعله ينتهج نهجاً مغايراً لبقية المخلوقات؛ في أسلوب حياته، وفي تعامله مع الآخر. فهو يستخدم عقله في معظم تصرفاته ومواقفه ومعارفه، ليقوم بما يحقق له المصلحة ويتجنب ما يضره، وهو حر في تصرفاته، يفعل ما يريد وإن لم يشأ فلا جَبْرية، والإرادة تمكّنه من الإختيار، فيأخذ ما تستلطفه نفسه ويدع ما يكره، وكرامته تجعله يُحِسُّ بالإهانة فيغضب، وبالإحترام فينتشي، تتصارع في داخله كل المتناقضات، يتطلع لمعرفة المجهول ولا تهدأ نفسه إلا لتبدأ من جديد ساعية للمعرفة.

كأن عِدَّة أرواح تقوم به فليس يَهْدأ ولاتهْدأ رغائبه

إنه مخلوق عجيب، لم يكتشف كنه ذاته بالرغم من تقدمه في مجال العلم: (يقوده طموحه المعرفي لاستكشاف الفضاء المتناهي في الكبر، وجزئيات الذرة المتناهية في الصغر، ولكنه مع ذلك قليل المعرفة بذاته. إنه عرف نفسه كثيراً في المسائل الحسية، ولكن قليلاً في المسائل النفسية. وفي المجال النفسي أحاط الإنسان كثيراً بالأمور التي تتحكم فيها الغرائز، وتحكمها الهرمونات، ولكنه قليل الإحاطة بعقله الباطن)[1].

(1) الإمام الصادق المهدى: نحو ثورة ثقافية، ص (19) الطبعة الأولى 2006م مكتبة الشروق الدولية القاهرة

المجتمع الإنساني يختلف عن مجتمعات الأمم الأخرى في علاقاته؛ لأنه مجتمع عقلاء أحرار ذوي إرادة، وهذه الخصائص تنعكس آثارها على المجتمع الإنساني، وتتعداه إلى الطبيعة، وإلى الكون الذي يضمه أرضاً وفضاء، وعندما أراد الله سبحانه وتعالى خلق البشر؛ خاطب الملائكة محاوراً لهم بأنه أراد إيجاد جنس مغاير للكائنات الحية، ليكون خليفة في الأرض؛ يعمرها، ويستعمل عقله للإستفادة من النعم المودعة فيها، وينظم علاقته مع بني جنسه ومع المخلوقات الأخرى وفق المنهج الذي ارتضاه الله له، بإرادته لا جبراً، وذلك عن طريق الرسل الذين يبتعثهم سبحانه وتعالى، وقد تساءلت الملائكة ما الداعي لإيجاد هذا المخلوق والكون كله يسبح بحمدك ويقدس لك؟، وإنها تخشى أن يعيث هذا المخلوق في الأرض فساداً ويسفك الدماء، وجاء الجواب الإلهي قاطعاً مجيباً على تسؤلات الملائكة؛ أنه يعلم ما لا يعلمون. هذا الحوار بين الله والملائكة ذكره القرآن الكريم في أسلوب واضح قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:30] ونلاحظ هنا أن خلق الإنسان الأول ارتبط بحوار بين الله والملائكة يتعلق بهذا المخلوق الذي أنيط به تعمير الأرض والقيام بأمر الإستخلاف، وبعد خلق الإنسان الذي تجسدت فيه خصائص التميز البشري؛ المعرفية والإرادية والوجدانية؛ علمه ربه الأسماء كلها، وسنن الحياة، وقوانين الطبيعة، ثم تجدد الحوار بين الله والملائكة في حضور الإنسان؛ ليبين الله للملائكة التكريم الذي اختص به البشر دون غيرهم قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:31-33] وبعد هبوط الإنسان إلى الأرض؛ أرسل الله الرسل ليُعَرّفوا الناس بخالقهم، ويبينوا لهم سرَّ هذا الوجود، ومآله، ومكانة الإنسان فيه، وما هي الوظيفة التي خلقوا لأجلها. واستؤنف الحوار بين الله والرسل، وبين الرسل وقومهم وبين الناس مع بعضهم بعضاً.

وجاءت الرسالة الخاتمة؛ مُصَدِّقة للرسالات السابقة، ومؤكِّدة وحدة المصدر

الديني السماوي، ووحدة الأصل الإنساني، مع الإقرار بالتعدد النوعي، والعقائدي، والفكري، والثقافي؛ وداعية للتواصل والتعاون والتبادل المعرفي والمصلحي بين الناس.

إن وسائل التواصل الإنساني كثيرة؛ منها الناعمة، ومنها الخشنة، ولكل وسيلة ظروفها ومبرراتها، والإسلام لا يخلو من الوسائل الخشنة إذا اضطر إليها، ولكنها تُسْتَعْمل وفق ضوابط مشددة، تكاد تلغي خشونتها ولا تستعمل إلا إذا استنفدت الوسائل الأخرى، ولكن تظل الوسائل السلمية هي السائدة؛ لأن الإسلام دين السلام والتسامح والحوار.

إن مساحة الحوار في الإسلام كبيرة ومتنوعة، وقد تعرض البحث لحوار الذات، والحوار مع الآخر بصورة مفصلة، وتأتي أهمية البحث في ظل ظروف وجد العنف فيها مساحة أكبر؛ نتيجة للغلو المفاهيمي، والبطش الداخلي، والهيمنة الخارجية؛ مما يتطلب رؤية مستبصرة، تلقي الضوء على القواسم الإنسانية المشتركة، وتؤصل لثقافة الحوار في المجتمع. فالأوضاع الحالية أوضاع استثنائية لا بد من تجاوزها، غير أن الحوار يحتاج إلى خطوات يقوم بها المتحاورون تتمثل في الآتي:

الخطوة الأولى: إيجاد قناعة لدى الأطراف الراغبة في التواصل، أو التي لا تزال مترددة؛ بأنه لا بديل عن التواصل والحوار.. وفي هذا العصر، عصر انكماش المسافات، وعولمة وسائل الاتصال والمواصلات، وعولمة التقنية، لن يربح أحد من الحروب، وعملية الزعزعة والتهديد، فالمنتصر هو أيضاً منهزم.. إن الوعي بهذه الحقيقة سيكون الخطوة الأولى للحوار.

الخطوة الثانية: إنَّ ضبط وربطَ التواصل والحوار بأهداف وغايات؛ يضبطُ المسيرة ويوضح الدرب حتى ولو التَوَتْ السبل وتعرجت المسالك، وبالعكس؛ فإنَّ الحوار الهائمِ العائمِ الذي ليس له هدف ولا غايةٌ هو حوار من أجل الحوار قد يكون مقبولاً في بدايات الطريق؛ لاستكشاف ساحات التواصل، واستيضاح مناحي المشاكل، ولكنّه لا يجوز أن يكون أبدياً، بل لا بد أن يضع المتحاورون نصب أعينهم محطات يسعون للوصول إليها وتجذبهم إلى الأمام وتشدهم إلى الأهداف، فتهون في سبيلها الصعاب وتذلل العقبات.

الخطوة الثالثة: الاعتراف بالاختلاف للوصول إلى التعارف والائتلاف، «إنَّ الاعتراف بالاختلاف يمثل أهم منطلق لحل الخلاف، ولهذا فقد يكون من المناسب الإشارة إلى بعض نقاط الاختلاف القيمي كاختلاف المصدر، واختلاف مفهومِ النظام العام، وهو المعروف، أو العرف الذي يتلقَّى الرضا العامّ، أو النكير المطلق في أيِّ مجتمع»[1].

إن المناخ ملائم لتقديم بديل للعنف والعنف المضاد؛ فالإنسانية تأذت كثيراً من الحروب وآثارها، والصراعات الدينية والإثنية، وصراعات المصالح؛ فهي تتطلع إلى عالم يسوده السلام وتظلله المحبة، وتُحَل نزاعاته بوسائل مرنة وناعمة، ويؤكد ذلك كثرة المؤتمرات والملتقيات والمقالات الداعية للتسامح والتعايش السلمي.

أهداف البحث:

إن أهداف البحث تتلخص في الآتي:

أ - دحض الإتهام الموجه للإسلام بأنه فرض عقائده وتعاليمه بالسيف.

ب - إبراز رؤية إسلامية بديلة لأطروحة صدام الحضارات.

ت - رفد المكتبة الإسلامية بأطروحة تساهم مع ما كتب في هذا المجال.

ث - نشر ثقافة إسلامية تؤصل للتسامح والحوار في ظل أجواء تنتشر فيها ثقافة العنف والتطرف.

فرضيات البحث:

- **الفرضية الأولى**: أن الإسلام يعتبرالإختلاف بين الناس ضرورة إجتماعية، ومجالا للتعارف والتعاون، وليس ساحة للتعصب والتقاطع.
- **الفرضية الثانية**: التكامل بين الإسلام والرسالات السابقة.
- **الفرضية الثالثة**: الاجتهاد في الإسلام ضرورة شرعية.
- **الفرضية الرابعة**: الحوار وسيلة إسلامية أصيلة في العلاقات.

---

(1) عبدالله بن بيه عضو مجمع الفقه الإسلامى ووزيرالعدل الموريتانى السابق، من مقال نشر في صحيفة الشرق الأوسط 30 مارس 2006م

إن هذا البحث لا يدّعي الإحاطة ولا الشمول ولكنه مساهمة متواضعة في إبراز مكانة الحوار في الإسـلام، وعناوين فصول الكتاب مأخوذة بتصرف من العناوين التي أعدتها جائزة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني للعلوم الشرعية والفكر الاسلامي. والله نسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

مدخل

تعريف الحوار:

أصله من الحور (بفتح الحاء وسكون الواو) وهو الرجوع عن الشئ وإلى الشئ.

قال لبيد بن ربيعة:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمـاداً بعد إذ هو ساطع

يقال: حار، يحور، حـوْراً وحـؤوراً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق:14] أي يرجع إلى ربه. وقوله صلى الله عليه وسلم: ((ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه))[1] وقال النووي رحمه الله: «حار عليه ـ وهو معنى رجع عليه: أي رجع الكفر عليه فباء وحار ورجع بمعنى واحد»[2].

وأحار عليه جوابه: رده، وأحرت له جواباً، وما أحار بكلمة. والاسم من المحاورة؛ الحوير تقول: سمعت حويرهما وحوارهما.

والمحاورة: المجاوبة والتحاور: التجاوب وتقول: كلمته فما أحار إليّ جواباً وما رجع إليّ حويراً، ولا حويرة، ولا محورة، ولا حواراً، أي ما رد جواباً. واستحاره أي استنطقه. وفي حديث علي كرم الله وجهه: يرجع إليكما ابناً كما بحور ما بعثتما به؛ أي بجواب ذلك يقال: كلمته فما رد إلي حوراً. أي جواباً، وقيل: أراد به الخيبة والإحقاق، وأصل الحور: الرجوع إلى النقص، ومنه حديث عبادة: يوشك أن يرى الرجل من ثبج المسلمين قراء القرآن على لسان محمد، صلى الله عليه وسلم؛ فأعاده

(1) رواه مسلم في كتاب الإيمان (61) عن أبى ذر رضى الله عنه
(2) شرح النووى (50/ 2)

وأبدأه لا يحور فيكم إلا كما يحور صاحب الحمار الميت، أَي لا يرجع فيكم بخير ولا ينتفع بما حفظه من القرآن كما لا ينتفع بالحمار الميت صاحبه. وفي حديث سطيح: فلم يُحِرْ جواباً أَي لم يرجع ولم يَردَّ. وهم يَتَحاوَرُون أَي يتراجعون الكلام[1].

والمُحاوَرَةُ: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وقد حاوره.

والمَحُورَةُ: من المُحاوَرةِ مصدر كالمَشُورَةِ من المُشاوَرَة.

والمحاورة المجاوبة. والتحاور: التجاوب[2] يقال: تحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم، وأحار عليه جوابه: رده، واستحاره: استنطقه.

فالحوار إذاً في اللغة: هو الرجوع والمجاوبة.

وفي الإصطلاح: هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين والأخذ والرد فيه[3].

ومنهم من عرفه بأنه: نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، ويتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب.

وقد ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع فقط:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف:34]

والثاني: قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف:37]

والثالث: قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة:1].

---

(1) لسان العرب: المصدر موقع الوراق: www.alwaraq.net

(2) مختار الصحاح، الإمام محمد بن أبى بكربن عبدالقادر الرازى

(3) الحوارآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ليحيى بن محمد رمزى، ص (20)

ومن المصطلحات القريبة من معنى الحوار:

[1] المجادلة:

أصلها من الجدل. ومادة جدل في اللغة تدل على الشدة والقوة.

وقال: الرازى: الجدل: هو شدة الخصومة[1].

والجدل في الإصطلاح: هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة[2].

قال النووي رحمه الله: «الجدل والجدال والمجادلة: مقابلة الحجة بالحجة»[3].

«ويكون الغرض منه إلزام الخصم، والتغلب عليه في مقام الإستدلال «[4].

ولفظ الجدل ورد في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعاً؛ كلها في سياق الذم إلا في ثلاثة مواضع[5].

أحدها: قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:125].

والثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:46].

والثالث: قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة:1].

أما في السنة فالأحاديث التي ورد فيها لفظ الجدل على إطلاقه، فتدل على كراهيته، فمن ذلك حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عله

---

(1) مختار الصحاح للرازى
(2) التعريفات للجرجاني، ص (78)
(3) تهذيب الأسماء واللغات للنووى
(4) تاريخ الجدل:لأبى زهرة، ص (5)
(5) فن الحوار تأليف فيصل الحاشرى، ص (16)

وسلم: ((ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل))[1] ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هـذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[الزخرف:58].

فالجدل – لم يؤمر به ولم يمدح في الكتاب أو السنة على إطلاقه بل الأصل فيه أنه مذموم، ما لم يقيد بالحسنى أو بالحق: كما ورد في الآيتين السابقتين. «ومن ذلك يتبين الفرق بين الحوار والجدل؛ إذ أنهما يلتقيان في كونهما حديثاً أو مراجعة للكلام بين طرفين، ويفترقان في أن الجدال فيه لدد في الخصومة، وشدة في الكلام، مع التمسك بالرأي والتعصب له. أما الحوار فهو مجرد مراجعة الكلام بين الطرفين، دون وجود خصومة بالضرورة، بل الغالب عليه الهدوء والبعد عن التعصب ونحوه»[2].

[2] المناظرة:

المناظرة لغة مشتقة من النظر، والنظر: تأمل الشئ بالعين.

والتناظر: التقابل، يقال: تناظرت الداران؛ تقابلتا. ونظر إليك الجبل قابلك.

والنظر: الفكر في الشئ؛ تقدره وتقيسه منك[3].

والمعنى الإصطلاحي للمناظرة: يرجع إلى النظير والمقابل؛ في المخاطبة والكلام أو الى النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب[4] وعلى هذا المعنى فهي ممدوحة وقريبة من معنى الحوار، إلا أن المناظرة أدل في النظر والتفكر، كما أن الحوار أدل في مراجعة الكلام وتداوله[5].

[3] المراء:

ورد المراء في الشرع على معنى المراجعة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ [الكهف:22].

---

(1) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وابن ماجة وابن أبي عاصم في السنة
(2) فن الحوار لفيصل الحاشرى، ص (17)
(3) المصدر السابق
(4) التعريفات للجرجانى، ص (25)
(5) فن الحوار لفيصل الحاشرى، ص (18)

كما ورد على معنى الجدل بالظنون الكاذبة، والتخرّصات الباطلة ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ [مريم:34].

والمراء يطلق ويراد به الجدال، إلا أن أغلب استعماله في اصطلاح الأئمة على الجدل المذموم، قال أبو بكر بن العربي «أما المراء: فهو المجادلة فيما تعلم أنه باطل، أو على معنى البدعة»[1].

واستعمله بعض العلماء فيمن فسد قصده وغرضه من الجدال[2].

قال ابن مفلح: «المراء: استخراج غضب المجادل»[3].

وقال أبو حامد الغزالي: «المراء: طعن في كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير، وإظهار ميزة الكياسة»[4].

وقال ابن الوزير: «المراء: وهو ما يغلب على الظن أنه يهيج الشر، ولا يقصد به صاحبه إلا حظ نفسه في غلبة الخصوم»[5].

[4] المحاجة:

تطلق المحاجة لغة وشرعاً على التخاصم والجدال، يقال: رجل محجاج: أي جدِل، والتحاج: التخاصم[6].

والكثير من المفسرين يفسر المحاجة بالجدل والتخاصم، ففي قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ [آل عمران:20]؛ قال الطبري في معنى حاجوك: «أي خاصموك فيه بالباطل»[7] وقال ابن كثير في الآية نفسها: «أي جادلوك

(1) قانون التأويلل لأبى بكر بن العربى، ص (675)
(2) أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة لمحمد بن إبراهيم العثمان، ص (19)
(3) أصول الفقه لابن مفلح المقدسى، ص (1416/ 3)
(4) إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالي، ص (115/ 3)
(5) العواصم و القواصم لابن الوزير (3/ 338)
(6) لسان العرب: (2/ 226)
(7) الطبري (3/ 214)

في التوحيد»[1]؛ وقال ابن الجوزي ـ أيضاً ـ في نفس الآية: «حاجوك: أي جادلوك وخاصموك»[2].

أما الحجة فتطلق على البرهان والدليل. تقول: حاجه فحجه: أي غلبه بالحجة[3] والصحيح أن الحجة: هي ما دفع به الخصم، سواءً أكان برهاناً صحيحاً، أو شبهة باطلة، وفي الحديث: (فحج آدم موسى)[4].

والفرق بين الحجة والمحاجة: أن الحجة قد تمدح وقد تذم، وذلك بحسب إطلاقها، لأنها تطلق على البرهان الصحيح، كما تطلق على الشبهة الفاسدة، وأما المحاجة فإنها ـ في الغالب ـ مذمومة إذ القصد منها دفع الخصم ورده، لا لبيان الحق، وهي قريبة من معنى الجدل والمخاصمة[5].

[5] الخصومة:

وهى لجاج الكلام، ليستوفي به مقصوده من مال أو غيره، وتارة تكـون ابتداء، وتارة تكون اعتراضاً، والمراء لا يكون إلا اعتراضاً[6].

هذه التعريفات أغلبها منقول من كتاب فن الحوار أصوله وآدابه لأبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشري ـ بتصرف ـ ويتضح مما سبق أن أغلبها مذموم، إذا استثنينا الجدل المقيد، والحوار، وهذا البحث يختص بالحوار، الذي هو مطلب عصرنا هذا، وقد أوردنا هذه التعريفات لنميز بينها وبين الحوار، حتى ينصرف الذهن إلى الحوار وحده، فقضايا عصرنا المعقدة فضلاً عن التوجيهات الإسلامية كل ذلك يتطلب حواراً مرناً يراعي الإختلاف والتعدد والتباين في المجتمع الإنساني..

---

(1) ابن كثير (1/ 354)
(2) زاد المسير لابن الجوزى، ص (1/ 363)
(3) مختار الصحاح (124)
(4) رواه البخارى في صحيحه في أحاديث الأنبياء (3409)
(5) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ليحيى بن محمد رمزي، ص (31)
(6) الأذكارللنووى، ص (329)

الفصل الأول:

أساسيات الحوار

- توطئة
- **المبحث الأول**: مقدماته
- **المبحث الثاني**: شروطه
- **المبحث الثالث**: آدابه
- **المبحث الرابع**: عوائقه

توطئة:

النشاط الإنساني أنّى كان نوعه؛ يتوقف نجاحه على التخطيط الجيد، والتوقيت المناسب، والبيئة الملائمة، والأهداف الواضحة، والمقدمات السليمة، وإزالة العقبات. والحوار نوع من أنواع النشاط الإنساني؛ فهو كغيره؛ يحتاج لمنهجية واضحة، ومرنة ومستوعبة لأغراضه، تصاحبه في كل مراحله، من مبتدأ التفكير فيه حتى منتهاه، لتكون نتائجه مثمرة، فليس القصد من الحوار التَّلهي بالوقت، وإنما الهدف هو التوصل إلى نتائج مقبولة للأطراف المتحاورة، مع عدم إهمال الخيارات المتاحة في حالة تعذر الإتفاق على الهدف المعلن، ولا يكون ذلك كذلك؛ إلا إذا اعتبرنا الاشتراك في الحقيقة، والاشتراك في المعرفة؛ حقاً مكفولاً لكل الناس. قال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء:20] فمنهج الحوار المحكم هو ذلك الذي يمكن الأطراف المتحاورة؛ من التوصل لأهداف الحوار، وبناء على ذلك فهو يختلف باختلاف الأهداف التي يسعى إليها المتحاورون، فأطراف الحوار، وطبيعة الموضوع، وأغراضه، والظروف المحيطة بالأطراف كل ذلك يساهم في تحديد معالم المنهجية التي تتبع، ويختلف الحوار باختلاف أشخاصه وموضوعاته، فهناك حوار الذات، ومنه حوار النفس، وحوار الأسرة، وحوار المجتمع، وحوار الجماعات الإسلامية مع بعضها بعضاً، والحوار مع أصحاب الفكر العلماني، والفكر القومي من المسلمين، وهناك الحوار مع الآخر ويشمل: حوار الأديان وحوار الثقافات، وحوار الحضارات وحوار المصالح.. الخ وكل واحد من هذه الحوارات يتطلب منهجية خاصة تناسبه وتتلاءم مع طبيعته، إن المقصود من هذا البحث هو أن يكون الحوار ثقافة راسخة فى المجتمع فى كل أحواله، ليصبح منهجاً متبعاً بديلاً عن أساليب العنف والتقاطع

والتدابر، وإذا كان ذلك كذلك؛ فإن التلقائية يمكن أن تفيد مع العامة، لكن المعنيين خاصة فى مجال الأديان والأفكار والثقافات والحضارات؛ مطالبون بالتخطيط والبحث لوضع آليات تجعل الحوار علماً يقوم على منهج واضح المعالم؛ ذى وسائل وأولويات وأهداف، وعالم اليوم يذخر بالمعارف التى تتعلق بفن التفاوض والدبلوماسية والعلاقات الانسانية؛ فباستصحابها يمكن استخراج منهج علمى خاص بالحوار، ومع كل الاعتبارات المذكورة فإن هنالك أركاناً عامة يقوم عليها منهج الحوار تتمثل في المباحث التالية..

المبحث الأول:

مقدماته

1 ـ سلامة البيئة:

الظروف المحيطة بالإنسان لها أثر كبير في تفكيره وفي مواقفه وفي أنشطته المختلفة، وربما كانت عاملاً أساسياً في تشكيل شخصيته وتحديد مستقبله، فالتاريخ يحدثنا: أن عنترة بن شداد؛ كان منبوذاً من أبيه ومنكور النسب لسواد لونه، فأصبح عبداً لشداد وليس ابنه، هذه الأوضاع غطت على كل معاني النبل التي تكمن خلف هذا الجسد الأسود المنبوذ من المجتمع الذي وُجِد فيه، وكان المتاح له في ظل هذه الظروف الإجتماعية الظالمة؛ وظيفة واحدة فقط هي الرعي! وظل كذلك حتى تعرض قومه لهجوم كسر شوكتهم، وفرّ أبوه منهزماً فقال له: [كر ياعنترة] فقال عنترة: العبد لا يحسن الكرّ إنما يحسن الحلب والصر[1] فقال: كر وأنت حر، فكرّ وهو يقول:

كـــل امـــرئ يحمي حِـــرَه أسوده وأحمره والواردات مشفرة[2]

كان لكلمات أبيه التي حررته من قيد الرق؛ أثر كبير في نفسه! فقد غيرت فيه الشعور بالدونية، وحركت فيه كل الطاقات الكامنة؛ فتفجرت شجاعة، وحكمة، وحباً، وعفة، وإباء، ونبلاً، فأتحف التاريخ بالقيم النبيلة التي ارتبطت به، وصارت محل احتفاء حتى يومنا هذا! فهاهنا نجد أثر تغيّر البيئة كبيراً. فالحالة النفسية ـ التي

(1) الصر: شد الضرع برباط، وفي النهاية [من عادة العرب أن تصر ضروع الحلوبات إذا أرسلوها إلى المراعى سارحة، ويسمون ذلك الرباط الصرار فإذا راحت عشيا حلت تلك الصرار وحلبت]

(2) الشعروالشعراء لابن قتيبة الجز ء الأول (142) تحقيق وشرح محمد شاكرتاريخ الطبع 2003م دارالحديث القاهرة

هي نتاج للبيئة الإجتماعية الظالمة؛ـ عندما تغيرت جعلت البيئة الجديدة تساعد في ظهور ما كان غيبه القهر من قيم نبيلة. وقصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً؛ تؤكد أثر البيئة على سلوك الإنسان، فعندما قرر القاتل التخلي عن سلوكه سأل عن التوبة فلما أجيب بأنه لا توبة له؛ قتل المسئول فأكمل العدد مائة؛ وسأل شخصاً آخر فأخبره بإمكانية التوبه؛ لكنه محتاج لتغيير المكان الذي يقيم فيه، فعزم على الرحيل وهجر موقعه لموقع آخر لكن الموت قد أدركه قبل الوصول، فغفر الله له! عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمل به مائة! ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق؛ أتاه الموت! فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب؛ فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاه ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال قيسوا ما بين الأرضَيْن فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة))[1]. وهذا معناه أن الإنسان من شأنه أن يتأثر بالبيئة التي تحيط به، وأن سلوكه سيتشكل حسب طبيعتها، والحديث الشريف أكّد هذا، وفي مجال آخر بينت السنة النبوية تأثر الإنسان بالوسط الذي يوجد فيه سلباً وإيجاباً؛ عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مثل الجليس الصالح والسوء؛ كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد

(1) متفق عليه والرواية لمسلم (2766) صحيح مسلم مكتبة الإيمان المنصورة أمام جامعة الأزهر، ص: (1367) ورواه البخارى: (3470) صحيح البخارى مكتبة الإيمان المنصورة أمام جامعة الأزهر، ص (730)

منه رائحة خبيثة))[1]. وفي القرآن الكريم وردت آيات كثيرة تشير إلى أثر البيئة على الإنسان ومواقفه وسلوكه، ففي بعض المواقف فإن مجرد وجود الشخص في ساحة معينة كفيل بإجراء الحكم عليه وإن لم يشترك مع الذين مارسوا الأفعال المحرمة قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:140] فالآية توضح أن من يجلس مع الذين يكفرون بآيات الله ويستهزءون بها؛ سيكون حكمه مثل حكمهم، فكأنه بجلوسه قد شاركهم في خوضهم، وفي سورة الأنعام جاء النهي قاطعاً بعدم مجالسة الذين يخوضون في آيات الله قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:68].

والحوار كنشاط إنساني غير مستثنى من تأثير المشاعر، فلكي يكون الحوار مجدياً ينبغي أن تكون الظروف ملائمة لأطراف الحوار المعنية، فلا جدوى لأي حوار يقوم في ظل أوضاع لا تسمح باستخدام العقل، والإنسان عموماً والشرقي على وجه الخصوص؛ تطغى عاطفته على عقله عندما يغضب، أو يحب، أو يكره، فتكون أحكامه متأثرة بالظروف النفسية التي يعيشها، ولهذا السبب منع الشرع أن يحكم القاضي وهو غضبان، كتب أبو بكرة إلى ابنه بسجستان بأن لا تقضي بين اثنين وأنت غضبان، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان))[2] وعليه فحيثما كانت الظروف غير طبيعية فإنها سوف تلقي بظلالها على مجريات الحوار، والمناخ المأزوم يؤثر على الحوار، وربما يفسده. فمثلاً إذا كان أحد الأطراف يشعر بأن الطرف الآخر لا يحترمه، أو لا يثق فيه، أو يتحامل عليه، فإن الحوار في ظل هذه الظروف لا يؤدي إلى النتائج المرجوة، أيضاً إذا كانت الأجواء مشحونة بالغضب ضد الطرف الآخر؛ فلا جدوى من الحوار والحال كذلك. وهذا ملاحظ في حالة الغضب التي يكون عليها الرأي العام في العالم الإسلامي ضد الغرب بسبب سياسات الولايات المتحدة الأمريكية ومواقفها

(1) متفق عليه رواه البخارى في صحيحه (5534) ومسلم في صحيحه (2628)
(2) أخرجه البخارى في كتاب الأحكام (7158) صحيح البخارى، ص (1429)

من قضايا الأمة الإسلامية، ودعمها اللامحدود لإسرائيل المغتصبة لحقوق الشعب الفلسطيني، أو بسبب الصور المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم التي نشرت في بعض الصحف الغربية، ففي هذه الحالة لن يفيد الحديث عن حوار مع الغرب، بل يتحول المجتمع إلى النقيض نتيجة لأجواء السخط التي تخيم عليه. ذكر مايكل شوير: المسئول السابق في الوكالة المركزية للمخابرات الأمريكية (سي آي ايه) (.. أن الغزو الأمريكي للعراق وأفغانستان، ودعم واشنطن الإقتصادي والعسكري لإسرائيل المستبدة في العالم الإسلامي؛ شكل دعماً كبيراً للقاعدة.. وأضاف أن الأحداث التي وقعت في العامين الماضيين بالشرق الأوسط؛ ساعدت في زيادة كراهية المسلمين للأمريكيين، لمجرد أنهم أمريكيون. وقال إن من بين تلك الأحداث فضيحة تعذيب معتقلي سجن أبو غريب، ومعاملة المعتقلين في غوانتانامو، ونشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في صحف أوروبية وأمريكية)[1]. كذلك عندما تقمع السلطة الحاكمة في دولة ما قوى المعارضة وتزج برموزها في السجون والمعتقلات وتسلط إعلامها الرسمي لتشويه صورة خصومها السياسيين؛ فإن الحديث عن الحوار تعتبره المعارضة خضوعاً لمنطق الغالب وليس حواراً متكافئاً، وأيضاً عندما تكون الأجواء متوترة بين الجماعات الدينية، ويتطور التعصب إلى صراع دموي مسنود بفتاوى تكفيرية؛ فالحديث عن الحوار لا يجد تجاوباً، مع أنه في بعض الأحيان قد تساعد الأزمة على إنجاح الحوار إذا كان الطرفان يرغبان في تجاوز مناخ الأزمة تحقيقاً لمصلحة مشتركة، فالحروب التي تندلع بين أطراف متصارعة تلحق بها خسائر مادية وبشرية فظيعة، وقد يكون من مصلحة الجميع إنهاء الحرب، فربما تساعد المشاهد المروعة للحرب المتفاوضين على التوصل إلى ما يحقق السلام ويزيل آثار الحرب، ففي التاريخ القديم والمعاصر قامت حروب بين الفرقاء أضعفت قدرات المتحاربين وأجبرتهم على إنهائها عن طريق الحوار تحقيقاً للسلم الذي هو في مصلحة الجميع، وحرب البسوس[2] خير

(1) صحيفة الأهرام بتاريخ 28 ابريل 2006م

(2) هي حرب شهيرة دارت بين قبيلتى بكر وتغلب بسبب ناقة قتلها كليب زعيم التغلبيين وصاحبة الناقة إسمها البسوس خالة جساس الذي قتل كليبا انتصارا لكرامته التي انتهكت...

مثال في التاريخ القديم، والحربين العالميتين من أبرز أمثلة التاريخ المعاصر. ولكن يظل الوضع الطبيعي أن مناخ الأزمة عائق للحوار. فالبيئة السليمة الصحية في مناحيها المتعددة؛ مقدمة ضرورية للحوار المثمر.

2 ـ الإعتراف بالآخر:

القاعدة الأخلاقية العامة في الحياة الإجتماعية هي: أن تعامل الناس كما تحب أن يعاملوك، والمجتمع الإنساني قائم على التعدد والتنوع وتداخل المصالح وتشابكها، فكل إنسان فيه يحب أن يعامل معاملة طيبة، تحترم إنسانيته، وتكفل كرامته، وتحفظ خصوصيته. هذه الحقوق تقابلها واجبات بنفس القدر تجاه الآخرين، والإسلام ربط هذا الأمر بالإيمان قال صلى الله عليه وسلم: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[1] والإعتراف بالآخر يكفل له حقه في الإختلاف، وحقه في احترام معتقداته وشعائره وأفكاره، ويحتفظ له بنسبة من الحقيقة، فالحقيقة الكاملة لا يملكها إلا الله سبحانه وتعالى، وقد وزعها على عباده بنسب متفاوتة ليتكاملوا وهم محتلفون، فمن يظن أنه وحده يمتلك الحقيقة؛ سيُسْقِط الآخر من ذهنه ويتمحور حول نفسه، ويحصر الحق في ذاته، فالمخالف له: هو كالعدم في مقابل الوجود، وكالكفر في مقابل الإيمان، وكالباطل في مقابل الحق.

إن التحاور مع الآخر يقتضي الإعتراف بوجوده، وهذا الإعتراف مرتبط بحقوق إنسانية في الإطار الإنساني العام، وحقوق دينية لأهل الأديان، وحق الإجتهاد للمسلم المخالف، فالحكمة الإلهية اقتضت وجود الإنسان بكل خصائصه على الأرض مستخلفاً فيها، وما دام عاقلاً حراً يتمتع بالإرادة والإختيار، فمن الطبيعي أن يحدث التباين والإختلاف والتنوع في المعتقدات والمفاهيم والأفكار والعادات والأعراف والثقافات. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه ليس هنالك تلازم بين الإعتراف بوجود الآخر والاقـرار بصحة إعتقاده؛ فالإسلام سَفَّه عقائد المشركين، وأكد بطلانها بالرغم من اعترافه بها كواقع مشاهد قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:6] فالإعتراف هنا إعتراف وجود وليس اعتراف صحة معتقد، ومع ذلك

(1) رواه البخارى في كتاب الإيمان (13) صحيح البخارى مكتبة الإيمان القااهرة

فإن الإسلام دافع عن حقهم في الحياة وفي حرية العبادة، وفي صيانة معتقداتهم ودور عبادتهم! بل يتبين أن من مقاصد الجهاد حماية دور العبادة كافة؛ للمسلمين ولغيرهم. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج:40]. وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وبدأ في تأسيس الدولة الجديدة التي كانت تضم ديانات متعددة وقوميات متنوعة، وضع دستوراً لهذه الدولة نص على حقوق غير المسلمين وأصل للإعتراف بهم وبخصوصياتهم العقدية والثقافية والقانونية، والتزم الدستور بحمايتها من أي عدوان: ((.. وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين! لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتِغ إلا نفسه وأهل بيته. وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف. إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته. وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم. وأن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف وأن البر دون الإثم وأن موالى ثعلبة كأنفسهم. وأن بطانة يهود كأنفسهم..))[1] هذا النهج الجديد المتمثل في الإعتراف بالآخر وكفالة حقوقه؛ لم تعرفه جزيرة العرب في ظل هيمنة المفاهيم الجاهلية، فقد كانت الهيمنة للغالب، ومنطق القوة هو السائد وعلاقات القبائل قائمة على الحروب، والمغلوب مضطهد ومسترق، وحتى أصحاب الديانات لم يسلموا من التعصب ففي داخل الملة الواحدة قامت حروب بين المذاهب! لقد أصّل الإسلام لحقوق الآخر وأحل التسامح محل التعصب، واعتبر الإختلاف آية من آيات الله الكونية التي توجب الإعتبار: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم:22] فاختلاف الألسنة يشمل اللغة والثقافة بكل أقسامها، واختلاف الألوان لا يقف عند لون البشرة؛ فاختلاف القسمات والهيكل والمقاس والبصمة وغيرها مما يتميزبه كل شخص عن الآخر،

(1) السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثانى صفحة:(109) تحقيق لجنة التحقيق بمؤسسة الهدى مكتبة المدينة المنورة القاهرة الطبعة الأولى 1420هـ- 1999م

وما أبدع اللفتة القرآنية: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات:21] ورسخ الرسول صلى الله عليه وسلم ثقافة المحافظة على حق الآخر وسار الخلفاء الراشدون على نهجه في الإعتراف بالآخر الديني وحمايته من أي عدوان، فالخليفة عمر بن الخطاب كتب عهدا لنصارى المدائن وفارس يحمي حقوقهم الإنسانية والدينية والمدنية من أي عدوان؛ ونصه: (هذا كتاب من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين: لأهل المدائن، وبهرسير، والجاثليق بها، وقُسَّانها، وشَمامِسها. جعله عهداً مرعياً، وسجلاً منشوراً، وسنة ماضية فيهم، وذمة محفوظة لهم. فمن كان عليها كان بالإسلام متمسكاً، ولما فيه أهلا، ومن ضيعه ونكث العهد الذي فيه وخالفه وتعدى ما أمر به كان لعهد الله ناكثاً، وبذمته مستهيناً سلطاناً كان أو غيره من المسلمين. أما بعد: فإني أعطيتكم عهد الله وميثاقه وذمة أنبيائه ورسله وأصفيائه وأوليائه من المسلمين، على أنفسكم وأموالكم وعيالاتكم وأرجلكم، وأماني من كل أذى. وألزمت نفسي أن أكون من ورائكم، ذابّاً عنكم كل عدو يريدني وإياكم، بنفسي وأتباعي وأعواني والذابين عن بيضة الإسلام، وأن أعزل عنكم كل أذى في المؤن التي يحملها أهل الجهاد من الغارة، فليس عليكم جبر ولا إكراه على شئ من ذلك. ولا يغير أسقف من أساقفتكم ولا رئيس من رؤسائكم، ولا يهدم بيت من بيوت صلواتكم، ولا بيعة من بيعكم، ولا يدخل شئ من بنائكم إلى بناء المساجد ولا منازل المسلمين، ولايعرض لعابر سبيل منكم في أقطار الأرض، ولا تكلفوا الخروج مع المسلمين إلى عدوهم لملاقاة الحرب. ولايجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية على الإسلام كرهاً لما أنزل الله في كتابه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة:256] ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:46] وتكف أيدي المكروه عنكم حيث كنتم، فمن خالف ذلك فقد نكث عهد الله وميثاقه، وعهد محمد صلى الله عليه وسلم، وخالف ذمة الله والعهد الذي استوجبوا به حقن الدماء، واستحقوا أن يذب عنهم كل مكروه، لأنهم نصحوا وأصلحوا ونصروا الإسلام)[1] فماذا ترك هذا العهد للميثاق العالمي لحقوق الإنسان؟! فميثاق حقوق الإنسان ينص على حقوق نظرية، ولكن عهد عمر يلزم الدولة والمجتمع والأفراد بحماية الحقوق والدفاع عن الآخر ضد

(1) (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة تأليف محمد حميد الله، ص (196)

أي عدوان، وكف الأذى عنهم والإمتناع عن كل ما من شأنه أن يسئ إليهم أو إلى معتقداتهم ودور عبادتهم وينهي عن التدخل في شئونهم الدينية فهم أحرار في اختيار من يمثلهم. فحق الآخر إذن مكفول ومصان بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية وموثق بعهود ملزمة لا يجوز نقضها من الخَلَف، وكما كفل الإسلام حقوق الآخر الديني، كفل حق الإجتهاد المختلف في داخل ملة الإسلام، وتأكيداً لإحترام الرأي الآخر؛ استمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لآراء متباينة من صحابته فلم يعنفهم؛ بل تقبل ذلك برحابة صدر واحترام. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟ قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم وقال عمر: يا رسول الله أخرجوك وكذبوك قربهم فاضرب أعناقهم. قال: وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم به ثم أضرمه عليهم ناراً. قال فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئاً. فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس يأخذ بقول عمر، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. فخرج عليهم فقال: إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [ابراهيم:36] ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:118] وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:26] وإن مثلك ياعمر كمثل موسى قال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس:88] أنتم عالة فلايبقين أحد إلابفداء أوضربة عنق))[1] وما تقدم أبلغ دليل على جواز الإجتهاد واحترام إختلاف الرأي ومشروعيته، فكل مجتهد مأجور، ويعبر كل واحد منهم عن منهج يحتاج إليه المجتمع في جانب من جوانبه، وفي مرحلة من مراحله، وإذا كان هذا جائزاً في عهد رسول الله ففيما عداه أكثر جوازاً لاحتياج الناس له بسبب المستجدات التي تطرأ في حياتهم.

(1) البداية والنهاية لابن كثير (2/ 298)

3 - **الإستعداد للحوار:**

من المقدمات الضرورية لنجاح أي حوار؛ استعداد أطرافه له، فإذا كان أحد الأطراف لا يؤمن بجدوى الحوار، أو يعتقد أنه سيكون على حساب حقوق اكتسبها وليس لديه استعداد للتنازل عنها؛ فإن الحوار سيكون مضيعة للوقت، والذين يرفضون الحوار غالباً ما يكونون عاجزين أمام مخالفيهم بسبب ضعف منطقهم وقوة حجة خصمهم. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت:26] أو بسبب تعصبهم للمألوف وعدم استعدادهم للتخلي عنه حتى في حالة إثبات بطلانه قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف:23-24] وهكذا كان حال أهل مكة مع رسول الله؛ أعماهم الرُّكون إلى المألوف عن رؤية الحق الأبلج، فرفضوا دعوة الحق وعاندوا وجحدوا بها مع أنهم في قرارة أنفسهم مستيقنون بصدقها، عن نافع عن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ الآية قال: (أقبلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم: ما يمنعكم من الإسلام فتسُودوا العرب؟ فقالوا: يا محمد، ما نفقه ما تقول، ولا نسمعه، وإن على قلوبنا لغلفاً، قال: وأخذ أبو جهل ثوباً فمدَّ فيما بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أدعوكم إلى خصلتين: أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله، فلما سمعوا شهادة أن لا إله إلا الله ولَّوا على أدبارهم نفوراً وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ وقال بعضهم لبعض: ﴿ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يعنون النصرانية ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٞ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَا﴾ [ص:5-8] وهبط جبريل وقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام، ويقول: أليس يزعم هؤلاء أن ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا﴾[الكهف:57] لو كان كما زعموا لم ينفروا، ولكنهم كاذبون يسمعون ولا ينتفعون بذلك كراهية)[1]. فهؤلاء منطقهم يقوم

(1) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (360/ 5)

على العناد والمكابرة، واتباع الهوى حيث يريدون أن تأتى الرسالة مطابقة لهواهم، متغافلين عن أن الله سبحانه وتعالى لا يُسأل عما يفعل وأنه لا يستشير عباده فيما يريد، ومع ركونهم إلى المألوف؛ فإن الدعوة الجديدة بمفاهيمها حول التوحيد فى العقيدة، والمساواة بين الناس، وعدم التفاضل بينهم بسبب اللون، أو التقسيم الطبقى الظالم، هذه المفاهيم تضر بمصالح المستفيدين من النظام الجاهلى، ولذلك هم يحاولون أن يتجنبوا السماع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن حديثه مقنع وحجته دامغة، ودعوته تزيل الغشاوة عن الأعين، وتحرر العقول من أسْر الخرافة، ورغم هذا العناد إلا أن الحوار مع أهل مكة لم ينقطع. لقد جعل الإسلام الحوار وسيلة للإقناع وليس الإكراه، فالعقيدة التى تقوم على الاكراه لا تستمر، وإذا استمرت لا تكون صادقة، لأن المُكْرَه والحال هكذا؛ يُظهر خلاف ما يُبطن، فبمجرد زوال عامل الاكراه فإنه سيتخلى عنها لأنها لم تكن على قناعة، فالحوار إذاً أقرب طريق لتوضيح معالم العقيدة الإسلامية، وهو مطلوب مع الجميع، ومما يؤكد ذلك أن الإسلام يناشد الآخر الملي ويدعوه بأسلوب حواري موضوعي أن يستجيب للمنطق الداعي للتوحيد ونفي الشرك والربوبية لغيرالله، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:64].

ولو كانوا منصفين لقبلوا هذه الدعوة التى لا تطالب بغير ما جاءت به الكتب السابقة ومما تقدم يتضح أن تعاليم الإسلام تولى إهتماماًكبيرا لسلامة البيئة وتهيئ المسلمين للإعتراف بالآخر، وأن يكون لديهم استعداد للحوار.

المبحث الثاني:

شروطه

1 ـ التوازن النفسي:

بطبيعة الحال فإن الإنسان عندما يكون متوتراً أو خائفاً أو قلقاً.. الخ فإن حكمه على الأشياء سيكون متأثراً بالحالة النفسية التي يعيشها، والإنسان بحكم تكوينه (معرض لمشاكل نفسية حتمية؛ يأمل فيخيب أمله، ويحزن فيَسْوَدُّ أُفُقه، ويَكْره فتَضِيق دنياه، ويحب فيهيم هياماً، ويفرح فيطيش صوابه، ويسبح في الخيال فينسى واقعه، ويخلد لواقعه فيقتله الملل)[1] هذه الحالات النفسية تصبغ تصرفات الإنسان ومواقفه؛ فتأتي أحكامه متأثرة بالحالة النفسية التي يعيشها، والحوار يحتاج إلى اعتدال في المزاج، وتوازن في المشاعر، واستقرار نفسي، لتكون مواقف المحاور موضوعية تتحرى الصواب والحق دون ميل. إن تعرض المحاور لأي هزة نفسية سيؤثر على أدائه، فإن كان حزيناً سوف ينظر بسوداوية للطرف الآخر ويفسر كل موقف تفسيراً سلبياً، وإن كان خيالياً فسوف يعيش على أحلام وأوهام لا وجود لها في أرض الواقع، ومن أسباب الإضطراب عند الإنسان الفرح والحزن المبالغ فيهما، فإن فرح فرحاً شديداً فإنه يرى الكون كله من حوله جميلاً، وإن حزن أظلمت الدنيا في وجهه، ولعل بيت الشعر المشهور المنسوب للإمام الشافعي يمثل أفضل تلخيص لهذه الحالة:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا[2]

---

(1) الصادق المهدي: العقوبات الشرعية وموقعها من النظام الإجتماعي الإسلامي ـ ص (30) منشورات الأمة ـ القاهرة 1987م

(2) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: تأليف السيد الهاشمى، ص : (913) دارالمعرفة بيروت لبنان الطبعة الأولى: 1426هـ 2005م

والسنة النبوية أشارت إلى هذا المعنى، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته. فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح))[1] هذا الإضطراب سببه الفرح المفاجئ، حيث يكون الشخص في حالة يأس لفقدانه عزيزاً لديه وفجأة يجده فتختلط الكلمات في لسانه لتعدد المشاعر التي طرأت عليه. وعندما يكون الإنسان حزيناً يرى الأشياء بسوداوية متأثراً بالحالة النفسية التي تمر به، فتظلم الدنيا في وجهه وتضيق عليه الأرض بما رحبت وربما يتفوه بما لا ينبغي وقد وصف القرآن حالة المسلمين عندما حاصرتهم الأحزاب في المدينة، في غزوة الخندق قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:10-12]. ودعوة الإسلام الوسطية تهدف إلى التوازن في حياة الإنسان، لذلك نجد القرآن الكريم يبين للمسلم أن كل ما يحدث في هذا الكون مكتوب ومقدر فلا داعي للحزن على المصيبة ولا للفرح المُبطرعلى النعمة، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:22-23] إن التوازن النفسي مهم في حياة الإنسان، وقد بين الإسلام طرق تحقيقه، أهمها: الإيمان بالقدر، فهنالك أشياء كتبت على الإنسان بصورة قدرية لا يمكنه التخلص منها، مثل الخلق وما يتعلق به من لون وطول وقصر وهوية ورزق.. الخ هذه الأشياء مكتوبة ومقدرة فإذا أدرك المؤمن ذلك اطمأنت نفسه وقابل النعمة بالشكر، والمصيبة بالصبر، ومن طرق تحقيق التوازن النفسي؛ الإيمان بأن الله محيط بكل شئ وأنه وحده القادر على فعل ما يريد دون أن يعترضه عارض يعطل إرادته، هذه العقيدة تحقق التوازن النفسي وتطمئن الإنسان بأن الخلق

(1) رواه مسلم (2747) صحيح مسلم، ص: (1358) مكتبة الإيمان القاهرة

لا حول لهم ولا قوة وهم غير قادرين على فعل أي شئ إلا بإذن الله قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس: ((يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف))[1] إذا ترسخ هذا المفهوم العقدي في وجدان الإنسان لانصرف ذهنه للخالق لا للمخلوق، ولأدرك أن ما يراه يجري على أيدي الناس هو من صنع الله القادر الحكيم، كذلك فإن ذكر الله واستحضار عظمته في القلب يحقق السكينة والطمأنينة قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد:28].

2 ـ نشدان الحق:

إن كان هدف الإنسان الوصول إلى الحقيقة فإنه سيكون أهلاً للحوار لأنه ينشد الحق فلا يضيره أن يجده عند غيره، قال الإمام الشافعي: (ما كلمت أحداً قط إلا وأحببت أن يوفق ويسدد ويعان، وما كلمت أحداً قط إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه)[2] قال الحافظ ابن رجب معلقاً على كلام الشافعي: «وهذا يدل على أنه لم يكن له قصد إلا في ظهور الحق، ولو كان على لسان غيره ممن يناظره أو يخالفه، ومن كانت هذه حاله، فإنه لا يكره أن يرد عليه قوله، ويتبين له مخالفته للسنة لا في حياته ولا بعد مماته، وهذا هو الظن بغيره من أئمة الإسلام الذابِّين عنه، القائمين بنصره من السلف والخلف ولم يكونوا يكرهون مخالفة من خالفهم ـ أيضاً ـ بدليل عرض له ولو لم يكن ذلك الدليل قوياً عندهم بحيث يتمسكون به، ويتركون دليلهم له»[3] فالمؤمن ينبغي أن يكون الحق مطلبه أنى وجده أخذ به، ولا يستنكف من الخضوع له حتى وإن جاء من خصمه، فالتعصب للرأي مع مخالفته للصواب نهج مذموم، وسيرة السلف تذخر بشواهد قبولهم للحق الصادر عن غيرهم وتخليهم عن

(1) رواه الترمذى
(2) الفقيه والمتفقه (5/ 2) المصدر فن الحوار لفيصل الحاشرى (65)
(3) الفرق بين النصيحة والتعيير، ص (31) المصدرالسابق، ص (65)

رأيهم حيثما تبين خطؤه قال الغزالي رحمه الله: (التعاون على طلب الحق من الدين، ولكن له شروط وعلامات.. منها أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرفه الخطأ أو أظهر له الحق.. فهكذا كانت مشاورة الصحابة رضي الله عنهم حتى أن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته إلى الحق وهو في خطبته على ملإٍ من الناس فقال: أصابت إمرأة وأخطأ رجل: وسأل رجل علياً رضي الله عنه فأجابه فقال: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال: أصبتَ، وأخطأتُ، وفوق كل ذي علم عليم)[1] هذا النهج لا شك أنهم تعلموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يُعرف عن العرب قبل مجئ الإسلام أنهم كانوا موضوعيين في أحكامهم ومواقفهم، بل سجلت أشعارهم تعصباً للقبيلة واعتداداً بالرأي مهما كان خطؤه، وقد سجل شاعرهم دريد بن الصمة ما سبقت الإشارة إليه بقوله:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشـد[2]

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتحاورون ويتشاورون بحثاً عن الحق ليتبعوه، فصحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم جسّدت فيهم روح الإسلام لأنهم عايشوا كيف كان الرسول يستشير أصحابه بالرغم من أنه مسدد بالوحي، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أهل الأجناد ـ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ـ فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا، فقال بعضهم: خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: «ارتفعوا عني» ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم له فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: «ارتفعوا عني» ثم قال: ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر رضي الله

(1) (إحياء علوم الدين (47/ 1) الغزالى: المصدر: موقع الوراق على الإنترنيت: www.alwaraq.net
(2) الشعر والشعراء لابن قتيبة الجزء الثانى، ص(738) دار الحديث القاهرة طبعة 1421هـ – 1982م

عنه في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر رضي الله عنه: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! [وكان عمر يكره خلافه] نعم. نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علماً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)) قال: فحمد الله تعالى عمر رضي الله عنه ثم انصرف)[1] فخليفة المسلمين استشارالمهاجرين واستشار الأنصار فلما اختلفوا عليه؛ استشار أهل الخبرة فأخذ بإجماعهم الذي دعمه التشريع النبوي. وكان بإمكانه أن يصدر قراره بالعودة دون الرجوع إليهم؛ لأن الضرر واقع لا محالة إذا دخلوا، ومبدأ المصلحة يعطيه هذا الحق، ولكنها التربية النبوية التي حرصت على الشورى في كل ما يتعلق بشئون الأمة لترسى مبادئ الحكم الراشد القائم على الشفافية والمشاركة وأبوعبيدة أمين الأمة يُكِنّ له خليفة المسلمين احتراماً خاصاً لمكانته في الإسلام ولشهادة الرسول له بأنه أمين هذه الأمة؛ لذلك عندما اعترض لم يعنفه عمر وإنما برر له موقفه بشئ من واقع الحياة.

إن من أسباب رفض أهل مكة للإسلام احتجاجهم بأنه لم يأت عن طريق زعمائهم الذين هم أولى ـ في نظرهم – من رسول الله وقد رد عليهم الله سبحانه وتعالى داحضاً منطقهم قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:30–32] إن معظم الحوارات التى اعتراها الاخفاق كانت أسباب فشلها تعود إلى أن من يقومون بها ليست الحقيقة هي مطلبهم، وإنما يقصدون هزيمة خصومهم والتفوق عليهم، قال أبو حامد الغزالى: (فانظر إلى مناظري زمانك اليوم، كيف يسْوَدّ وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه؟!

(1) متفق عليه: رواه البخارى (5729) صحيح البخارى، ص (1200) وومسلم (2219) صحيح مسلم، ص (1120) والرواية لمسلم

وكيف يخجل به؟! وكيف يجهد في مجاهدته؟! وكيف يذم من أفحمه طول عمره؟!)[1] قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة:204-206] إن الذين يجادلون إنتصاراً لأنفسهم ومواقفهم حتى وإن جانبها الصواب لا يعترفون بالحق إذا جاء على لسان مخالفيهم، لقد رفض الإسلام هذا الأسلوب وطلب من المسلمين أن يخضعوا للحق مهما كان مصدره قال صلى الله عليه وسلم: ((الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهوأحق الناس بها))[2].

3 ـ الإعتراف للآخر بالفضل:

الفضائل قيم إنسانية موجودة في كل المجتمعات البشرية، وهى محل حفاوة من العقلاء، وحتى المجتمعات الجاهلية لا تخلو من قيم فاضلة في بعض جوانبها، ونعرف من دراستنا للتاريخ أن العرب كانوا أهل كرم وشجاعة ونجدة ووفاء وحكمة حتى قبل أن يأتيهم الإسلام، وبرز منهم حاتم الطائي وعبد الله بن جدعان، وقس بن ساعدة، وأمية بن أبي الصلت، وزهير بن أبي سلمى، وآخرون وينسب إلى عنترة قوله:

ما اسْتَمْتُ[3] أنثى نَفْسَها في موطن ... حتى أوفّي مهرها مولاها
وأغشى فتاة الحي عند حليلها ... وإذا غزا في الحرب لا أغشاها
وأغضُّ طرْفي ما بدَت لي جارتي ... حتى يوارى جارتي مأواها
إني امرؤ سمح الخليقة ماجد ... لا أتبع النفس اللجوج هواها[4]

فالمخالف قد يكون ضال العقيدة منحرف الفكر لكنه لا يخلو من صواب في جانب من جوانب حياته، وكلام عنترة إن قيل دون سند لظن السامع إنه من كلام الصحابة رضي الله عنهم، وقال ابن القيم: إن الشريعة لا ترد حقاً، ولا تكذب دليلاً،

---

(1) (إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالى (44/ 1) المصدر: فن الحوار لفيصل الحاشرى: (65)
(2) (رواه الترمذى
(3) ما استمت: أي لم أراودها عن نفسها
(4) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى ص (756) المصدر : موقع الوراق: www.alwaraq.net

ولا تبطل أمارة صحيحة. وقد أمر الله سبحانه بالتثبت والتبين في خبر الفاسق، ولم يأمر برده جملة. فإن الكافر الفاسق قد يقوم على خبره شواهد الصدق، فيجب قبوله والعمل به. وقد استأجر النبي صلى الله عليه وسلم في سفر الهجرة دليلاً مشركاً على دين قومه، فأمنه ودفع إليه راحلته[1]. وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة حلف الفضول الذي أبرمته قريش لنصرة المظلوم وردع الظالم فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعد ظالم مظلوماً))[2] وقد سئل احد الحكماء: الحق مع من؟ قال: مع كل الناس، أي أن كل إنسان لا يخلو من معرفة في صورة من صورها، بل إن الآخر له فضل في إبراز ما ليس عندك، وربما تكون لديك عيوب لا تراها إلا من خلاله، فالإنسان عادة لا ينظر إلى الجانب السلبي من حياته، وإنما يحاول في الغالب إبراز الإيجابيات، واخفاء السلبيات، فكأنه ينسى حقيقته البشرية المجبولة على الخير والشر، ورحم الله ابن الخطاب الذي قال: (رحم الله امرءا أهدى إلى عيوبي)[3] والحكمة العربية تقول: «وبضدها تتبين الأشياء». بعض الناس يجردون خصومهم من أية فضيلة ويرمونهم بكل قبيح وهو نهج يرفضه الإسلام قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:8] فالموضوعية في التناول والإعتراف للآخر بالإحسان إذا أحسن، نهج إسلامي له أثره النفسي لدى المتحاورين، فهو يجعل الخصم مطمئناً لعدالة محاوره، ومن ثم يسهل التفاوض ويؤتى ثماره.

4 ـ المرونة وعدم التعصب:

التطرف، والغلو، والتعصب، والتشدد، مصطلحات متقاربة المعنى وهي مواقف وممارسات تنمو في تربة البيئة المأزومة. وهي تعكس حالة أصحابها النفسية

---

(1) ابن القيم: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ص (24)

(2) ابن كثير: البداية والنهاية (ج 2/ ص 270)

(3) إحياء علوم الدين للغزالى، ص (764) وسراج الملوك للطرطوشى، ص (63) موقع الوراق: www.alwaraq.net

أكثرمن كونها التزاما بتعاليم دينية، فالإسلام جاء بالوسطية في العقيدة وبالتيسير في العبادات، وبالتدرج في ألأحكام، وباللين في المعاملات، وبالتسامح في الفكر: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة))[1] وهذا يفسر حال المتشددين فإنهم بنهجهم المتشدد يرهقون أنفسهم فتعجز عن المواصلة فيلجأون إلى العزلة هروباً أو يتنحرون يأساً، وعندما برزت مظاهر الغلو في بداية الدعوة صححها رسول الله حتى لا تكون منهجاً إسلامياً في المستقبل. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها [أي قالوا هذه العبادة بالنسبة لنا قليلة] فقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلى الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((أأنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[2].. هكذا اجتث رسول الله بذور التطرف قبل أن تنبت وتنمو فتنحرف بعقيدة المسلمين نحو الغلو. لأن الإسلام دين الوسطية، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:143] وبعد أن ابتعد الناس من منبع النبوة الصافي؛ أطلت ظاهرة الغلو مرة أخرى خاصة في عهد الفتنة التي أعقبت مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه والأحداث التي أفرزتها فكانت مآلاتها قواصم لظهر أمة الإسلام. فقد ظهر الغلو أول ما ظهر على أيدي الخوارج الذين كفّروا جميع المسلمين الذين خالفوهم الرأي وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب لأنه قبل التحكيم مع معاوية وقالوا: ـ لا حكم إلا الله ـ والتي رد عليها علي بأنها: (كلمة

(1) رواه البخارى (39) صحيح البخارى، ص: (21) مكتبة الإيمان

(2) (متفق عليه: رواه البخارى (1151) المصدر السابق، ص: (1079)ومسلم (1401) صحيح مسلم، ص: (664) مكتبة الإيمان القاهرة

حق أريد بها باطل)[1]. لقد كان الخوارج أهل صيام وصلاة كما وصفهم الشهرستاني؛ إلا أنهم كانوا غلاة في أفكارهم فاعتبروا مرتكب الكبيرة كافراً وخرجوا على أئمتهم للهفوة الصغيرة ويتشدد كثير منهم في النظر إلى مخالفيهم من المسلمين فيعدونهم كفاراً[2] بل كانوا يعاملونهم بما هو أقسى من معاملة الكفار. وقدتنبأ بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي الصحيحين: (أن أبا سعيد الخدرى قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة ـ وهو رجل من بني تميم ـ فقال: يا رسول الله اعدل! فقال: ((ويلك ومن يعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل)) فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: ((دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شئ ثم ينظر إلى قذذه فلم يوجد فيه شئ قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس)) قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نعته)[3]. فهؤلاء عباد زهاد ولكنهم لم يكونوا من أهل الفقه والحكمة فانحرفوا عن الصراط المستقيم.

ويروى أن واصل بن عطاء زعيم المعتزلة وقع في أيدي الخوارج فادّعى أنه مشرك مستجير ورأى أن هذا ينجيه منهم أكثر مما تنجيه دعواه أنه مسلم مخالف لهم، قال المدائني: (أقبل واصل بن عطاء في رفقة فلقيهم ناس من الخوارج فقالوا لهم: من أنتم؟ قال لهم واصل: مستجيرون حتى نسمع كلام الله، فأعرضوا علينا، فعرضوا عليهم فقال واصل: قد قبلنا قالوا: فامضوا راشدين. قال واصل: ما ذلك لكم حتى تبلغون مأمننا. قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ

(1) الأحكام السلطانية للماوردى، ص (34) موقع الوراق: www.alwaraq.net
(2) راجع الملل والنحل للشهرستانى (106 – 137) دارالكتب العلمية بيروت
(3) البداية والنهاية لابن كثير: (222/ 4) دار البيان للتراث الطبعة الأولى: 1408م – 1988م القاهرة

مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة:6] فأبلغونا مأمننا، فجاءوا معهم حتى بلغوا مأمنهم[1]. وافترق الخوارج أنفسهم إلى عشرين فرقة ومن أفكارهم أنهم كفّروا جميع المسلمين الذين يخالفونهم! وبالتالي لا يلبون دعوتهم، ولا يأكلون ذبائحهم، ولا يتزوجون نساءهم، ولا يزوجونهم، ويحلون قتل أطفالهم ونسائهم. كذلك ظهر غلاة التشيع في تلك الفترة كرد فعل للاضطهاد والظلم الذي وقع على آل البيت من بني أمية أولاً، ومن بني العباس لاحقاً، وهم أنفسهم اختلفت تصوراتهم حول التشيع فبعضهم يعتبره عقيدة دينية خالصة، وحجتهم في ذلك قول رسول الله عن علي: ((من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه))[2] وبعضهم يرى أن التشيع فكرة سياسية خالصة ويستدلون بقول رسول الله: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟))[3] وآخرون يرون التشيع وجداناً عاطفياً ويستدلون بقول رسول الله لعلي: ((لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق))[4]. تلك الظروف التي مرت بالمسلمين أخرجت بعضهم عن نهج الإعتدال والوسطية إلى نهج التطرف والتكفير، ودافعهم في ذلك تعزية النفس عما لحق بها من ظلم، والدافع الآخر هوانتصار للذات وللفكر وليس إنتصاراً للإسلام. فالإمام الغزالي في رسالته بعنوان: «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة «يقول: (الكفر: هو تكذيب الرسول في شئ مما جاء به، والإيمان تصديقه في جميع ما جاء به... إلى أن يقول: اعلم أن الذي ذكرنا مع ظهوره تحته غور، بل تحته كل الغور؛ لأن كل فرقة تُكَفّر مخالفها وتنسبه إلى تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام: فالحنبلي يكفر الأشعري زاعماً أنه كذب الرسول في إثبات الفوق لله تعالى، وفي الاستواء على العرش، والأشعري يكفره زاعماً أنه مشبه وكذب الرسول في أنه [تعالى]: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:11] والأشعري يكفر المعتزلي زاعماً أنه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى، وفي إثبات العلم والقدرة والصفات له، والمعتزلي يكفر الأشعري زاعماً

(1) عيون الأخبار تأليف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى الجزء الأول، ص: (293) منشورات محمدعلى بيضون دارالكتب العلمية بيروت

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (419/ 3)

(3) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (2404) صحيح مسلم، ص: (1205)

(4) رواه الإمام أحمد: البداية والنهاية لابن كثير (368/ 7)

أن إثبات الصفات [تكثير][1] للقدماء وتكذيب للرسول في التوحيد، يقول الغزالي: ولا ينجيك من هذه الورطة إلا أن تعرف حد التكذيب والتصديق وحقيقتهما فيه، فينكشف لك غلو هذه الفرق وإسرافها في تكفير بعضها بعضاً.. وحقيقة [التصديق] الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجوده. إلا أن للوجود خمس مراتب، ولأجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة مخالفها للتكذيب.

[فالوجود]: ذاتي وحسي وخيالي وعقلي وشبهي)[2] وبإدراك حقيقة كل مرتبة يعرف الإنسان أن كل مخالف ذهب مذهباً نظر فيه إلى الأمر من جانب وأغفل الجوانب الأخرى، ولو نظروا للأشياء بهذا العمق لالتمسوا الأعذار لبعضهم بعضاً واتهموا أنفسهم بالتقصير.

إن ظاهرة التطرف أطلت من جديد في هذا العصر، فالفتاوى التي تكفر الأفراد والجماعات من المسلمين تصدر كل يوم بسبب مواقف اتخذوها تخالف منهج صاحب الفتوى، أو يكفرونهم للمعصية الصغيرة مع أن الإسلام نهى عن ذلك، قال صلى الله عليه وسلم: ((لا تكفروا واحداً من أهل القبلة بذنب وإن عملوا الكبائر وصلوا مع كل إمام وجاهدوا مع كل أمير))[3]. ولا يتورع بعض الذين نصبوا أنفسهم دعاة دون تأهيل أن يكفروا كل من خالفهم الرأي وبالطبع فإن الحرب أولها كلام، فمن كفّر اليوم يمكن أن يتبع قوله بالفعل غداً فيقتل من حكم عليه بالكفر، والرسول صلى الله عليه وسلم حذر من تكفير المسلمين وبين أن من كفر أخاه المسلم فقد يرجع الكفر إليه إن كان من رماه بالكفر بريئاً قال يحيى بن يحيى: أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما؛ إن كان كما قال؛ وإلا

---

(1) في الأصل: (تكفير) ولعل الصواب تكثير

(2) مجموعة رسائل الإمام الغزالى ص: (239 – 240) إشراف مكتب البحوث في دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت – لبنان طباعة: 2006م

(3) أخرجه الهيثمى في مجمع الزوائد (107/ 1) والدار قطني في السنن (55/ 2) والزيلعي في نصب الراية (28/ 2) والألبانى في إرواء الغليل (2/ 307)

رجعت عليه))[1] وأخطر ما في ظاهرة التكفير هوأن أصحابها يعتقدون أنهم على حق وغيرهم على باطل، وينزلون أنفسهم أو جماعتهم منزلة الفرقة الناجية، وأنهم يتقربون إلى الله سبحانه وتعالى بقتل مخالفيهم! فعندما قتل عبد الرحمن بن ملجم علي بن أبي طالب ـ وهو في المحراب يؤم المصلين في صلاة الصبح ـ كان يعتقد أنه يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بقتله، وامتدح فعله هذا عمران بن حطان أحد علماء الخوارج: قائلاً:

يـا ضربة مـن تقي مـا أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً
إنـي لأذكـــره يومـاً فأحسبه أوفـي البرية عنـد الله ميزانا[2]

فكيف يتقرب الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى بقتل أخيه المسلم ناهيك عن كون المقتول أمير المؤمنين وأول من آمن بالإسلام من الصبيان، فمما لا ريب فيه أن هذا انحراف لا دواء له إلا الإستئصال وقد رد على عمران بن حطان الفقيه الطبري أبو الطيب طاهربن عبد الله الشافعي فقال:

ياضربة مـن شقى مـا أراد بها إلا لـيـهـدم لـلإسـلام أركـانـا
إنـــى لأذكـــره يـومـا فألعنه دينا وألعن عمران بن حطانا[3]

فالمسلم مطالب بالإعتدال في مواقفه، والوسطية في أفكاره؛ لينجو من إنحراف العقيدة، وضلال الفكر وتعصب الموقف، ويكون قادراً على التعاطي مع الآخر بموضوعية، وللتطرف والتشدد عوامل منها:

أولاً: الفهم الخاطئ للدين: فالإسلام دين الرحمة والتسامح والإعتدال؛ غير أن هنالك بعض الناس يغلبون جانب العذاب على الرحمة، والعقوبة على المغفرة، والمظهر على الجوهر، ويحولون الاختلاف الاجتهادي بين المسلمين - وهو اختلاف نوعي-ـ إلى خلاف ضدي!. ومنهم من لا ينظر إلا إلى الجانب العقابي في الإسلام ويغض الطرف عن المغفرة مع أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَّا يَفْعَلُ

(1) رواه مسلم في كتاب الإيمان (115) صحيح مسلم، ص (54) مكتبة الإيمان القاهرة
(2) الملل والنحل للشهرستانى (114) دار الكتب العلمية : بيروت
(3) المصدرالسابق ، ص : (114)

ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء:149] وبعض الناس يتشددون في النوافل حتى وإن أدى ذلك لضياع الواجبات!، وما ذلك إلا لقلة فقههم، وفهمهم المنحرف للدين.. استفتى أحد الفقهاء؛ فقيل له: أدرك المصلين في المسجد. فإنهم كادوا أن يقتتلوا!! قال فيم؟! قيل: إن بعضهم يقول صلاة التراويح عشر ركعات وآخرون قالوا عشرين ركعة، وهم الآن ينتظرون منك الفتوى؛ قال الفتوى عندي أن يغلقوا المسجد ويتركوا الصلاة! قالوا كيف يكون ذلك يا شيخنا؟ قال: إن صلاة التراويح لا تعدوا أن تكون نافلة ووحدة المسلمين واجبة فلا قامت نافلة تبطل واجباً!! فالفهم الصحيح للدين الإسلامي، من مصادره الصحيحة هو العاصم من هذا الإنحراف.

ثانياً: النزعة التسلطية: من عوامل التشدد إدعاء معرفة الحق المطلق وحصره في الذات، وهو نهج فرعوني قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر:29]. فبعض الناس غير مستعدين لقبول الرأي الآخر، بل يعتبرون كل من خالفهم هو عدو! ومرجع ذلك نزعة نفسية تسلطية تتحكم عليهم، ولإعطاء شرعية لمواقفهم يبحثون عن تبرير! فيلجأون إلى الدين لا لمعرفة الحق فيتبعوه، وإنما تصيداً للآيات والأحاديث التي توافق هواهم، وهؤلاء ضلوا وأضلوا، فلو أراد الله لأحد من البشر أن يتسلط لكان الأولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أن الله سبحانه وتعالى قال له: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:22] وقال: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:29] وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:99] فهذه النصوص تؤكد حرية الإنسان وتنفي أية وصاية عليه وتبين أن العقيدة لا تكون بالإكراه وإنما بالإقتناع واختيار الإنسان الحر هو ما تقتضيه عدالة المحاسبة.

ثالثاً: عبء أثقال الماضي: بعض الناس يطاردهم الماضي الذي ارتكبوا فيه الموبقات التي تسبب لهم عقداً نفسية تلاحقهم من وقت لآخر، فعندما يذكرون ماضيهم يشعرون بالصغار! ولكي يصرفوا الناس عن ماضيهم يتشددون في مواقفهم ويغالون في عبادتهم، ويتطرفون في أفكارهم، ودافعهم في كل ذلك هو أن يُنسوا الناس ماضيهم المنحرف، هؤلاء سيظل ماضيهم يطاردهم ويكونون أسرى

للهواجس فلا يصلحون للحوار، فشرط المحاور أن يكون معتدل المزاج متجرداً، ولو فهم هؤلاء الإسلام فهماً صحيحاً لأدركوا أن التوبة تجُبّ ما قبلها، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها))[1]، وربما يكون التائبون توبة نصوحاً عند الله أفضل من الذين لم يقعوا في المعصية، لأن هؤلاء عرضة للإعجاب المبطر، وهو محبط للعمل كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، وأولئك أقرب إلى الانكسار والتفانى واتهام النفس بالتقصير فى جنب الله؛ فيجتهدون لارضاء خالقهم ويتواضعون أمام خلقه.

رابعاً: العيش في ظل الاستبداد السياسي: مناخ الكبت والقهر والخوف والإرهاب؛ من شأنه أن يُوَلّد الإحباط والتطرف والهروب من الواقع والخوف من المجهول، فالضغط النفسي الناشئ عن تلك الأسباب؛ يمكن أن ينفجر في شكل ممارسات عنيفة موجهة ضد الأبرياء والضعفاء كما هو مشاهد في عالم اليوم، قال عالم الإجتماع عبد الرحمن الكواكبي: (ومن غريب الأحوال أن الأُسَراء [المقهورين] يبغضون المستبد، ولا يقوون على استعمالهم معه البأس الطبيعي الموجود في الإنسان إذا غضب، فيصرفون بأسهم في وجهة أخرى ظلماً: فيعادون من بينهم فئة مستضعفة، أو الغرباء، أو يظلمون نساءهم ونحو ذلك. ومثلهم في ذلك مثل الكلاب الأهلية، إذا أريد منها الحراسة والشراسة فأصحابها يربطونها نهاراً ويطلقونها ليلاً فتصير شرسة عقورة، وبهذا التعليل تعلل جسارة الأسراء أحياناً في محارباتهم، لا أنها جسارة عن شجاعة. وأحياناً تكون جسارة الأسراء عن التناهي في الجبانة أمام المستبد، الذي يسوقهم إلى الموت فيطيعونه انذعاراً كما تطيع الغنمة الذئب فتهرول بين يديه إلى حيث يأكلها)[2] لقد شخَّص هذ العالم الحالة أبلغ تشخيص، وهو ما يفسر قسوة المتطرفين تجاه مخالفيهم فنراهم يبتسمون وهم ينظرون إلى ضحاياهم يتأوهون من الألم! بل ربما يتناولون طعامهم وهم يجلسون على جثث ضحاياهم، ومن ناحية أخرى نجد أعوان المستبدين الذين يمثلون أياديهم

(1) رواه مسلم في كتاب التوبة (2759) صحيح مسلم: مكتبة الإيمان – القاهرة، ص: (1364)
(2) الأعمال الكاملة للكواكبى: ص (503) سلسلة التراث القومى: مركزدراسات الوحدة العربية

الباطشة يستأسدون على الضعفاء ويتنمَّرون عليهم. وعندما يواجهون مواقف تستدعي البسالة والصمود يهرولون هرباً قال عمران بن حطان معيراً الحجاج عندما فرّ هارباً في بعض حروبه من غزالة زوجة شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة فتخاء[1] تنفر من صفيرالصافر
هلا كررت على غزالة في الوغى بل كان قلبك في جوانح طائر[2]

لذلك حرص الإسلام على توفير مناخ الحرية والأمان والتفاؤل؛ لأن المناخ السليم في ظله يولد الإبداع والتفاؤل والاعتدال في المواقف والوسطية في الأفكار، فمناخ الاستبداد والخوف أسوأ عدو للإنسان لأنه يفسد الأمزجة ويشوه الطبائع، ويشوش التفكير يقول الكواكبي: (وقد يبلغ فعل الإستبداد بالأمة أن يُحَوّل ميلها الطبيعي من طلب الترقي إلى طلب التسفل، بحيث لو دفعت إلى الرفعة لأبت وتألمت كما يتألم الأجهر من النور، وإذا ألزمت بالحرية تشقى وربما تفنى كالبهائم الأهلية إذا أطلق سراحها. وعندئذ يصيرالإستبداد كالعلق[3] يطيب له المقام على امتصاص دم الأمة فلا ينفك عنها حتى تموت ويموت هو بموتها)[4]؛ وكأنه يقرأ حال أمتنا في عصرها الحاضر! فقد قتل الإستبداد فيها روح الإبداع والمقاومة وأفسد مزاجها، وانفرط عقدها وهزمت في كل المعارك التي خاضتها مع عدو احتل ثالث مقدساتها وشرد أهلها، وأغرب شئ أن العدو تحيط به الدول العربية الإسلامية إحاطة السوار بالمعصم ولو توزع المسلمون الذين يجاورون العدو كل ألف شخص ضد واحد من أفراد العدو عسكريين ومدنيين لخرج بعضهم دون نصيب!! ومع كل هذا التفوق البشري لصالح الأمة إلا أنها هزمت في كل المعارك التي خاضتها مع العدو باستثناء حرب أكتوبر 1973 وحرب تموز يوليو 2006 التي انتصرت فيها المقاومة

---

(1) فتخاء : مسترخية مفاصلها

(2) عيون الأخبار لابن قتيبة الجزء الأول ، ص (263) دار الكتب العلمية – بيروت. وحياة الحيوان الكبرى تأليف كمال الدين الدميرى الجزء الثانى ص (637) دارالفكر للطباعة والنشر بيروت طبعة 2005م

(3) دودأسوديمتص الدم. يكون في الماء الآسن إذا شربته الدابة علق بحلقها. مفرده: علقة بفتح العين واللام

(4) الأعمال الكاملة للكواكبى، ص (506)

اللبنانية! إنه الهوان الذي تنبأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم. عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: أمن قلّة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنّكم غثاء كغثاء السّيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوّكم المهابة منكم، وليقذفنّ في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حبّ الدنيا وكراهية الموت))[1]. فالاستبداد مع قتله لروح المقاومة فإنه يغرس عوامل الخوف والاحباط فى نفوس المقهورين، واذا فقد الانسان الأمل اصبح عرضة للتطرف وأقرب للعنف.

إن التطرف والغلو والتشدد؛ ظواهر غير طبيعية لا يمكن أن تكون ديناً يتعبد به الناس ولا تصلح مناهج لرسالة هي خاتمة الرسالات جاءت لكل العالمين. فشرط المحاور الناجح أن يتخلص من هذه الأمراض حتى يتمكن من محاورة الآخر.

5 ـ معرفة طبيعة المحاور:

إن معرفة الناس وطبائعهم وعاداتهم؛ علم يتعلق بالأحوال، يحتاج إليه كل من يريد التعامل معهم حتى لا يقع في أخطاء تضر بعلاقته بهم، وتتأكد هذه المعرفة للذين تكون طبيعة أعمالهم متصلة بالبشر كالدعاة والحكام وأمثالهم، وتراثنا حافل بنماذج من الذين برعوا في هذا الجانب أي معرفة الناس، روى ابن قتيبة: (أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال: لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة، وأراد توجيههم: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب. وأما البصرة، فعثمانية تدين بالكف، وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل. وأما الجزيرة فحرورية مارقة، وأعراب كأعلاج، ومسلمون في أخلاق النصارى. وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان، وطاعة بني مروان، عداوة لنا راسخة وجهلاً متراكماً. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر؛ ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وصدوراً سليمة وقلوباً فارغة، لم تتقسمها الأهواء، ولم تتوزعها النِّحل، ولم تشغلها ديانة، ولم يتقدم فيها فساد، وليست لهم اليوم همم العرب، ولا فيهم كتحازب الأتباع بالسادات، وكتحالف القبائل، وعصبية العشائر، ولم يزالوا يدالون، ويمتهنون ويظلمون ويكظمون، ويؤملون الدول. وهم

(1) تاريخ الإسلام للذهبى، ص (115) موقع الوراق: www.alwaraq.com

جند لهم أجسام وأبدان، ومناكب وكواهل، وهامات ولحى وشوارب، وأصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة)[1] لا شك أن بني العباس قد أهّلوا أنفسهم تأهيلاً جيداً وأعدوها قبل حركتهم التي قضوا بها على ملك الأمويين ويؤكد ذلك ما قاله أبو مسلم الخراساني قاهر عدوهم وموطد دولتهم:

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت عنه ملوك بني مـروان إذحشدوا
ما زلت أسعى بجهدي في دمارهم والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهموا بالسيف فانتبهوا من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما في أرض مسبعة ونـام عنها تولى رعيها الأسـد[2]

فمعرفة الخصم أو المحاور لها أهمية في تحقيق الهدف، وكثير من الحوارت يصيبها الفشل بسبب عدم معرفة المتحاورين لبعضهم بعضاً، كأشخاص، وكأفكار، ومعلوم أن معرفة الطرف الآخر تسهل مهمة المتحاورين حتى لا يضيعوا جل وقتهم في التعرف على تفاصيل ما يتحاورون عليه، إن معرفة المنطلقات الفكرية، والمفاهيم العقدية، والموروثات الثقافية، والمصالح الضرورية للأطراف المتحاورة؛ تعتبر ضرورة من ضرورات الحوار، والتاريخ يحدثنا عن الحوار الذي جرى بين النجاشي ملك الحبشة وجعفر بن أبي طالب عندما حاول عمرو بن العاص الإيقاع بالمسلمين، كيف استطاع جعفر أن يكسب الجولة بحسن التفاوض، لأنه كان على علم بما يدين به النجاشي، فخاطبه بأسلوب دفعه دفعاً للتجاوب معه وقبول حجته. ولنترك التاريخ يتحدث: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (لما ضاقت مكة وأوذي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله لا يستطيع دفع ذلك عنهم.. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا، ولم نخش فيها ظلماً. فلما رأت قريش أنا قد أصبنا داراً وأمناً، غاروا منا، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردنا عليهم، فبعثوا

(1) موسوعة الحضارة الإسلامية: تأليف أحمد أمين (20/ 2)
(2) حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى الجزء الأول ، ص (14) دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الأولى 1425هـ

عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقته.. فلما أدخلوا عليه قالوا له: أيها الملك: إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجأوا إلى بلادك، وقد بعثنا إليك فيهم عشائرهم وآباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم، فإنهم أعلا بهم عيناً، فإنهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك، فغضب ثم قال: لا لعمر الله! لا أردهم حتى أدعوهم، فأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجأوا إلى بلادي واختاروا جواري على جوار غيري فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أدخل بينكم وبينهم، ولم أنعم عينا ـ وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردهم إليهم ـ فقال: لا والله! حتى أسمع كلامهم وأعلم أي شئ هم عليه؟ فلما دخلوا عليه سلموا ولم يسجدوا له، فقال: أيها الرهط ألا تحدثوني مالكم لا تُحَيُّوني كما يُحَيّيني من أتانا من قومكم؟ فأخبروني ما تقولون في عيسى وما دينكم؟ أنصارى أنتم؟ قالوا: لا. قال: أفيهود أنتم؟ قالوا: لا. قال: فعلى دين قومكم؟ قالـوا: لا. قال: فما دينكم؟ قالوا: الإسلام. قال: وما الإسلام؟ قالوا: نعبد الله لا نشرك به شئاً. قال: من جاءكم بهذا؟ قالوا: جاءنا به رجل من أنفسنا، قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا فأمرنا بالبر والصدقة، والوفاء وأداء الأمانة، ونهانا أن نعبد الأوثان وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له، فصدقناه وعرفنا كلام الله وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله، فلما علمنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبي الصادق وكذبوه وأرادوا قتله، وأرادونا على عبادة الأوثان، ففررنـا إليك بديننا ودمائنا من قومنا. قال: والله إن هذا لمن المشكاة التي خرج منها موسى. قال جعفر: وأما التحية فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام، وأمرنا بذلك فحيياناك بالذي يحيى بعضنا بعضا. وأما عيسى بن مريم فعبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول. فأخذ عوداً وقال: والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود. فقال عظماء الحبشة: والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك. فقال والله لا أقول في عيسى غير هذا أبداً. وما أطاع الله الناس فيَّ حين رد عليَّ ملكي فأطع الناس في دين الله. معاذ الله من ذلك)[1]..

هذه القصة تبين بجلاء الأثر الذي أوجده الإسلام في نفوس المسلمين،

(1) البداية والنهاية لابن كثير (ج 2/ ص 70 ـ 71) والسيرة النبوية لابن هشام الجزء الأول (205 – 208) مكتبة المدينة المنورة – القاهرة

فجعفر رضي الله عنه كان بارعاً في المحاورة؛ عرف كيف يكسب النجاشي إلى صفه وأصحابه، وتحدث بما عرفه عن قصة المسيح عليه السلام التي تختلف عما يعتقده النصارى، فلم يداهن من أجل مصلحة، فبالصدق والحكمة جعل النجاشي يؤيده فيما ذهب إليه، كما أنه كان حصيفاً في إبطال دهاء عمرو بن العاص، وهذا إن دل على شئ إنما يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمكن من إحداث تحوُّل كبير في حياة المسلمين بالرغم من قصر المـدة، فهجرة الحبشة كانت في أيام الدعوة الأولى، ومن جانب آخر تبين القصة أهمية معرفة المحاور للمنطلقات العقدية والفكرية لمحاوره حتى لا يقع في أخطاء تلحق به الضرر وبموضوعه.

واشتهر عمر بن الخطاب بمعرفة الناس وطباعهم وهو القائل: (لست خباً ولا الخبُّ يخدعني)[1] عن خرشة ابن الحر، قال: شهد رجل عند عمر بن الخطاب شهادة فقال له: (لست أعرفك ولا يضرك أن لا أعرفك، إيت بمن يعرفك، فقال رجل من القوم: أنا أعرفه، قال: بأي شئ تعرفه؟ قال: بالعدالة والفضل، قال: فهو جارك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه؟ قال: لا، قال: فعاملك بالدينار والدرهم الذين بهما يستدل على الورع؟ قال: لا، قال: فرفيقك في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا، قال: لست تعرفه، ثم قال للرجل: إيت بمن يعرفك)[2] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعرف الناس بطبائع البشر، وسيرته تبين كيف أنه كان يتعامل مع كل شخص بالأسلوب الذى يلائمه وهذا يفسر لنا اختلاف الردود على سؤال واحد فليس هنالك تناقض وإنما هنالك اختلاف أحوال؛ فالجواب الذى يصلح لهذا قد لا يصلح للآخر. جاء أعرابي يطلب من رسول الله شيئاً، فأعطاه ما تيسر في يده ثم قال له في هدوء: ((أأحسنت إليك يا أعرابي؟)) فرد الرجل مندفعاً: لا ولا أجملت! – وهو رد أحمق لا يواجه به صاحب عطاء–، فغضب المسلمون وهموا به، ولكن الرسول أشار إليهم في ابتسام فهدأوا. ثم اتجه إلى منزله الشريف ونادى الأعرابي في تلطف وابتسام وأعطاه، ثم قال: ((أأحسنت إليك؟)) قال: نعم وجزاك الله من أهل وعشيرة

(1) العقد الفريد: ابن عبد ربه، ص (580) المصدر موقع الوراق: www.alearaq.net

(2) أخرجه البيهقى في السنن (10/ 125) المصدر موسوعة أصول الفكر المجلد الثالث، ص (1431) إعداد خديجة النبراوى

خيراً، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شئ من ذلك فإذا أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك))؛ قال: نعم. فلما كان الغداة جاء الأعرابي إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقال صلى الله عليه وسلم: ((إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي)) وتوجه إلى الأعرأبي بالنظـر، فقال الأعرأبي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال صلى الله عليه وسلم: ((إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه؛ فتبعها الناس فلم يزدها إلا نفوراً! فناداهم صاحب الناقة: خلُّوا بيني وبين ناقتي؛ فإني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها وأخذ لها من قمام الأرض فردها هوناً هوناً حتى جاءت فاستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها. ولو أنى تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار))[1] بهذا النهج تربع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلوب الناس محبة وتوقيراً وإجلالاً كيف لا وهو صاحب الخلق العظيم والرحمة المهداة. ويوضح هذا الحديث أهمية مراعاة الأحوال فليس يصلح حكم واحد لكل الظروف، ومن هنا يتضح أن كثيرا من الأخطاء وقعت بسبب عدم معرفة الواقع، أو التعامل معه بأساليب غير صالحة، فالمعرفة التى تنحصر فى النصوص وحدها لاتؤهل صاحبها للفتوى، ولا للتعامل مع الواقع، فلا بد أن تشمل المعرفة الأشخاص، والأحوال، والظرف الزمانى، والبيئة المحيطة، إضافة إلى النصوص، حتى تتنزل الأحكام على أحداثها؛ كى لايحصل التناقض، وتؤدى الأحكام إلى خلاف المقصود.

(1) (ذكره الهيثمى في مجمع الزوائد وعزاه إلى البزار بسند فيه راو متروك. المصدر: في أصول الحوار إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامى (ص:1920)

المبحث الثالث:

آدابه

1 - الإبتعاد عن السخرية:

الإنسان السوي يحترم الآخرين ويقدرهم؛ لأنه يحترم نفسه، ويعامل الناس كما يحب أن يعاملوه، فكما أنه لا يقبل الذلة والمهانة والإساءة لنفسه، مطلوب منه ألا يسئ للآخرين ولا يهينهم ولا يذلهم، وقد نهى الإسلام عن كل ما من شأنه أن يحُطّ من كرامة الإنسان، وفي القرآن الكريم صور كثيرة من استهجان السخرية بالإنسان قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ﴾ [المطففين:29-33] وكان المنافقون يسخرون من ضعفاء المسلمين الذين تصدقوا بكل ما عندهم بالرغم من حوجتهم إليه، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لما أمرنا بالصدقة كنا نحامل [أي: نحمل على ظهورنا بالأجرة ونتصدق بها] فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله غني عن صدقة هذا، وما فعل الآخر هذا إلا رياء، فنزلت ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:79] يستهزءون بالفقراء احتقاراً لما جاءوا به، ويعدونهم من المجانين والحمقى[1]، إن الذين يسخرون من الناس لديهم مركب نقص يغطونه بالإساءة للآخرين. وفي مجال الحوار ينبغي أن يحترم كل طرف الآخر ولا يسخر من كلامه ولا من ثقافته ولا عشيرته ولا من معتقداته، فإنه من مفسدات الحوار قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ

(1) التفسير الواضح المجلد الأول ص (113-12) محمدمحمودحجازى

يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:108] فبعض الناس عندما يعجز عن مواجهة خصمه، بسبب قوة حجته يلجأ لاستفزازه بالحديث عن مواضيع جانبية لا علاقة بينها وبين موضوع الحوار، مثل أن يسخر من شكله، أو من طريقة كلامه، أو من أي شئ يستفزه به حتى يصرفه عن جوهر الموضوع، وكذلك نهج العاجزين فهم دائماً يواجهون الحجة الدامغة بالإستهزاء والسخرية، هكـذا واجه الأقدمون رسل الله، فعندما حاج موسى عليه السلام فرعون واجه الحجة بقضايا انصرافية، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [الزخرف:51-53] وأهل مكة لم يكونوا بدعاً ممن سبقوهم فقد سخروا من رسول الله ومن أصحابه ومن الدعوة التي جاء بها، وكان صلى الله عليه وسلم يحزنه ذلك فقال له ربه: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [الحجر:95-97] وروى البيهقي عن ابن اسحق أنه قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم على أبي جهل وأبي سفيان وهما جالسان. فقال أبو جهل: هذا نبيكم يا بني عبد شمس؟! فقال أبو سفيان: وتعجب أن يكون منا نبي؟ فالنبي يكون فيمن أقل منا وأذل. فقال أبو جهل: أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبياً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع. فأتاهما فقال: ((أما أنت يا أبا سفيان، فما لله ورسوله غضبت ولكنك حميت للأصل؛ وأما أنت يا أبا الحكم فوالله لتضحكنّ قليلاً ولتبكينّ كثيراً)) فقال: بئسما تعدني يا ابن أخي من نبوتك[1].. وتوعد الله سبحانه وتعالى أبا جهل وأضرابه بأنهم سيرون عاقبة كلامهم هذا: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:41-42]. فعلى المحاور أن لا يسخر من محاوره، لأن ذلك من شأنه أن يضع حاجزا بينه وبينه اضافة إلى أن السخرية صفة لاتليق بمن يحترم نفسه.

(1) ابن كثير: البداية والنهاية (ج 3/ ص 63)

2 ـ **حسن الإستماع وعدم المقاطعة:**

الإستماع الجيد للخصم أو للطرف الآخر من أهم عوامل النجاح للحوار، فإضافة لتمكين المفاوض من معرفة غرض نظيره معرفة دقيقة، فإنه يكسب جانبه ويؤثر فيه نفسياً، وينتزع منه الإحترام انتزاعاً، قال ابن عباس: (لجليسي عليّ ثلاث: أن أرميه بطرفي إذا أقبل وأن أوسع له إذا جلس، وأصغي إليه إذا تحدث)[1] وهي صفات من تحلى بها كسب احترام جليسه، وقال الحسن البصري: (إذا جالست فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الإستماع، كما تتعلم حسن القول، ولا تقطع على أحد حديثه)[2] إنها حكم من التزم بها ساد قومه وازداد معرفة وقال معاذ بن سعد الأعور: (كنت جالساً عند عطاء بن أبي رباح فحدث رجل بحديث، فعرض رجل من القوم في حديثه، قال: فغضب، وقال: ما هذه الطباع؟! إنى لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به، فأريه كأني لا أحسن شيئاً)[3] إنه دهاء وقمة في الأدب فمن ناحية يستوثق مما سمع وربما استفاد زيادة تفاصيل تعينه على الإحاطة ومن ناحية أخرى فإنه لا يحرج جليسه بإخباره أنه يعلم ما يقوله، وقال المدائني: (أوصى خالد بن يحيى ابنه فقال: يا بنى، إذا حدّثك جليسك حديثاً فأقبل عليه، وأصغ إليه، ولا تقل: قد سمعته، وإن كنت أحفظ منه، فإن ذلك يكسبك المحبة والميل إليك)[4] وقال ابن المقفع: (إذا رأيت رجلًا يحدث حديثاً قد علمته، أو يخبر خبراً قد سمعته، فلا تشارك فيه، ولا تتعقبه عليه حرصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمته، فإن ذلك خفة وسوء أدب وسخف)[5] فمقاطعة المتحدث إضافة إلى أنها غير لائقة فإنها تضعف صاحبها أمام محدثه وتحرمه من معرفة أشياء كثيرة قد يحجم الطرف الآخر عن البوح بها، قال الخطيب البغدادي في ذكر أدب الجدل والمناظرة: (وإذا وقع له شئ في أول كلام الخصم، فلا يعجل بالحكم عليه، فربما كان في آخر كلامه ما يبين أن الغرض بخلاف الواقع له، فينبغي أن يتثبت إلى أن

---

(1) عيون الأخبار لابن فتيبة (425/ 1) دارالكتب العلمية بيروت الطبعة الثالثة 2003

(2) المنتقى (72) المصدر فن الحوار تأليف أبي عبدالله فيصل بن عبده قائد الحاشرى ص (130) دارالإيمان اسكندرية

(3) روضة العقلاء (72) المصدرالسابق ص (130)

(4) بهجة المجالس لابن عبدالبر (43/ 1) المصدر فن الحوارلفيصل الحاشرى ص (131)

(5) الأدب الصغيروالكبير ص (136) المصدر السابق ص (131)

ينقضي الكلام؛ وبهذا أدّب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:114] ويكون نطقه بعلم وإنصاته بحلم، ولا يعجل إلى جواب، ولا يهجم على سؤال، يحفظ لسانه من إطلاقه بما لا يعلم، ومن مناظرته فيما لا يفهم، فإنه ربما أخرجه ذلك إلى الخجل والإنقطاع) ثم قال: (وينبغي أن يكون كل واحد من الخصمين مقبلاً على صاحبه بوجهه في حال مناظرته، مستمعاً كلامه إلى أن ينهيه، فإن ذلك طريق معرفته، والوقوف على حقيقته، وربما كان في كلامه ما يدل على فساده، وينبه عواره، فيكون ذلك معونة له على جوابه) إلى أن قال: (وليتق المناظر مداخلة خصمه في كلامه، وتقطيعه عليه، وإظهار التعجب منه، وليمكنه من إيراد حجته، فإنما يفعل ذلك المبطلون والضعفاء الذين لا يحصلون)[1]. وفي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم نماذج كثيرة في هذا الصدد، فقد كان صلى الله عليه وسلم قدوة ومثالاً في فن المحاورة، وما كان يقاطع محاوره وإن أتى بألفاظ لا تليق! كيف لا وقد قال فيه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4]. وأشير هنا إلى موقف واحد من مواقفه الكثيرة مع أهل مكة: عن جابر بن عبد الله قال: اجتمع قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة[2] قط أشام على قومه منك فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وإن في قريش كاهناً، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى: أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً وإن كان إنما بك الباه فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً، فقال رسول الله صلى الله

(1) الفقيه والمتفقه (31/ 2 – 35) المصدر فن الحوار لفيصل الحاشرى ص (132)

(2) سخلة: الولد المحبب إلى ولديه

عليه وسلم: ((فرغت))؟ قال: نعم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ إلى أن بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:1-13] فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا؟ قال لا! فرجع إلى قريش فقالوا ما وراءك قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته. قالوا فهل أجابك؟ فقال نعم! ثم قال لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قالوا: ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدرى ما قال؟ قال لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة[1]. ففي هذا الموقف نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقاطع عتبة بالرغم من الهمز واللمز والتعريض الذي ورد في كلامه. وفي رواية أخرى قال: زياد بن إسحاق فقال عتبة: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون. فقالوا بلى: يا أبالوليد! فقم إليه وكلمه. فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشطر في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم! فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا أبا الوليد أسمع)) قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه ـ أو كما قال له ذلك ـ حتى إذا فرغ عتبة، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((أفرغت

(1) البداية والنهاية لابن كثير (ج 2/ ص 60 – 61) والسيرة النبوية لابن هشام الجزء الأول ص(178 – 179) دارالتقوى القاهرة

يا أبا الوليد)) قال: نعم! قال: ((أسمع مني)) قال: أفعل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليهما ليسمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجدها ثم قال: ((سمعت يا أبا الوليد))؟ قال: سمعت. قال: ((فأنت وذاك)) ثم قام عتبة إلى أصحابه وفي رواية أخرى فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به؛ فلما جلسوا إليه قالوا ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوا واجعلوها بي؛ خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به؛ قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم[1]..

(1) المصدرالسابق (ج 2/ ص 61 – 62)

المبحث الرابع:

عوائقه

1. تناقض المنطلقات التصورية للمتحاورين:

علماء الأصول يقولون: الحكم على الشئ فرع عن تصوره، ويعنون بذلك: أن الإحاطة بالموضوع تعطي الفقيه صورة مكتملة له حتى يتمكن من إصدار الحكم المناسب للواقعة المعروضة عليه، وهذا الأمر ينسحب على كل الفنون، ويعنينا هنا موضوع الحوار، فكل ما كان الموضوع واضحاً ومحدداً جاء الحوار مثمراً، وحتى إذا لم يؤد إلى النتيجة المستهدفة؛ فإن المحاور يكون قد خطا خطوات مرسومة تتحقق فيها بعض الأهداف المرحلية، التي تمكنه من مراجعة وسائله وأساليبه وأولوياته، وعندما يستأنف الحوار يبدأ من النقطة التي توقف عندها ولا يكرر نفسه، عليه ينبغي أن يكون الموضوع المتحاوَر عليه محدداً منذ البداية، وواضحاً للأطراف المتحاوِرة حتى لا يضيع وقتهم في توضيح معاني الكلمات. وقد يلاحظ المهتمون بموضوع العلاقة مع الآخر أن كثيرا من أسباب الخلاف والصراع تعود إلى عدم فهم الفرقاء لبعضهم بعضاً؛ فالدين مثلا. هنالك تباين في تصوره بين الإسلاميين والعلمانيين؛ لأن الدين استُغِل في أوروبا القرون الوسطى؛ لدعم السلطان الظالم، ولمحاربة العلم والتطور، ومصطلح رجال الدين في أوروبا مشبع بمآسي تاريخية ارتبطت بالكنيسة وقادتها الذين كانوا سيفاً مسلطاً على رقاب العلماء التجريبيين، وعلى المفكرين، وعلى المنادين بالإصلاح، فقد احتكر رجال الدين المعرفة، وحصروها في مقولاتهم وتفسيراتهم للظواهر الطبيعية، والمظاهر الكونية؛ التي تناقضت مع التجارب العلمية، وفي ظل هيمنتهم نشأت محاكم التفتيش التي تخصصت في محاكمة المفكرين الذين يأتون بأفكار تتعارض مع تصورات رجال الدين، ووقفت الكنيسة ضد الإصلاح

متمسكة بنظم ومفاهيم طاردة! كذلك فإن التحالف الآثم بين رجال الدين وبين الإمبراطور؛ عطل التطور السياسي، وجعل الدين أداة لتبرير ممارسات السلطان الظالم. (لقد انتهي الصراع السياسي في أوروبا القديمة؛ إلى قيام امبراطورية كبيرة ضمت بعد فتوحات الإسكندر الغرب وجزءاً كبيراً من الشرق، وكانت رومانية الحكم والإدارة، يونانية الفكر والثقافة. وعبر قرون طويلة أرهق الفكر اليوناني نفسه في تفسير الوجود ومكانة الإنسان فيه. بدأ مسيرته من أصول دينية ثم استقل عنها ثم عاد إليها في شكل الفيثاغورية الجديدة والأفلاطونية الجديدة، هذا التوجه نحو معانٍ دينية لفت النظر لعقائد الشرق؛ كاليهودية، والغنوصية، والمانوية، والمسيحية، وقد استطاعت المسيحية أن تنطلق من أصولها اليهودية المحنطة، وتتشرب فكراً يونانياً، وتقتبس تنظيماً رومانياً محكم الحلقات، فأقامت دولة داخل الدولة الرومانية المتآكلة مما دفعها للأمام فانتصرت وهيمنت على أوروبا هيمنة تامة منذ أن اعترف بها قسطنطين في 313م حتى القرون الوسطى الأوروبية)[1] واستخدم الدين ضد العلم وكرامة الإنسان مما جعله مناقضاً للحداثة، وللإصلاح، فقامت ثورة الإصلاحيين ساخطة على رجال الدين وامتد السخط إلى كل ما له علاقة بالدين، ونودي بإبعاد الدين عن الدولة مما تبلور أخيراً في مفهوم العلمانية. (لقد كان أول تحد لسلطان الكنيسة داوياً على لسان أولئك المفكرين الذين اطلعوا على الفكرالإسلامي، وعبره اطلعوا على تراث الإنسان العقلي، فمضوا ينهلون من الفكر الإسلامي، ويلمون بالفكر اليوناني القديم؛ مما أدى للحركة المسماة بالإنبعاث أو المولد الجديد. كذلك اطلع الأوروبيون في احتكاكهم بالعالم الإسلامي على نظام ديني لا تُوَجِّهه سلطة بابوية دينية مركزية، مما أطلق حركة داخل الكنيسة تنادي بأن يكون التدين ضميرياً؛ غير خاضع لوصاية البابا، قاد هذا إلى حركة الإصلاح في الكنيسة. وأدى التطور السياسي في أوروبا إلى نضج الوعي القومي وإحساس الدولة في الأقطار الأوروبية المختلفة بكينونتها، واطلع بعض القادة والأمراء أثناء الحروب الصليبية؛ على أوضاع العالم الإسلامي، فشهدوا ملوكاً وأمـراء لا تقيدهم إدارة بابوية فشجع هذا على

(1) الإمام الصادق المهدى: نحوثورة ثقافية. ص (103) مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولى: 2006 القاهرة

استقلال كيان الدولة في الأقطار الأوروبية من وصـاية الكنيسة)[1] هذه التطورات خاصة بالمجتمع الأوروبي، غير أننا نجد معظم دعاة العلمانية في العالم الإسلامي؛ أسقطوا مفهوم الدين في الغرب على الإسلام! ونادوا بالفصل بين الدين والدولة في البلدان الإسلامية دون دراسة موضوعية للإسلام ليتعرفوا من نصوصه هل يتفق مع المفاهيم التي سادت في الكنيسة في الغرب أم لا؟! وهل مبادئ الإسلام تناقض العلم أم داعمة له؟ هذا السبب يجعل الحوار بينهم وبين الإسلاميين في الغالب غير مثمر؛ لأنهم يهاجمون الإسلام منطلقين من مواقف رجال الدين في القرون الوسطى، ويعتبرون كل دعوة تنطلق من الدين ـ أي دين ـ هي دعوة إلى التخلف والتسلط ومحاكم التفتيش، وعودة رجال الدين الذين يتحكمون في مصائر الناس، وقد أكدت ممارسات بعض المنتسبين للإسلام هذه الإفتراضات: فتسمية العنف الموجه ضد الأبرياء جهاداً، ورفض الإقتباس من النظم السياسية الحديثة، ومحاربة كل جديد، والتصادم مع حقوق الإنسان، واضطهاد المرأة، وغيرها من الممارسات التي يقوم بها المتطرفون الإسلاميون، والمستبدون الذين يحكمون باسم الاسلام ظلما وعدوانا. فيستند عليها العلمانيون لدعم حججهم، مع أن الإسلام لا يعرف مصطلح رجال الدين، ويقر مصادر المعرفة، ويدعو للتسـامح، وليست لديه أشكال سياسية محددة ملزمة للحكم، وإنما هنالك مبادئ سياسية مرنة تلائم كل الظروف، ومتروك للمسلمين أن يؤطروها فى نظم تلائم ظروفهم وأوضاعهم. والإسلاميون ينظرون إلى العلمانية بمفهومها الفلسفي التاريخي؛ الذي ينكر كل ما غاب عن الحواس، في حين ان كثيراً من دعاة العلمانية في العالم الإسلامي يقصدون الجانب السياسي الذي يرفض تحنيط النظم السياسية في قوالب تاريخية معينة، وينادون بحرية البحث العلمي، ويرفضون الدولة الدينية التي يتحكم فيها رجال الدين وتميز بين مواطنيها على أساس ديني. فلو حُرِّرَت المصطلحات وحُدِّدت مضامينها لانحصر الحوار في القضايا التي سيجد الطرفان أن الخلاف حولها ليس كبيراً في الغالب، وقياساً على ذلك فكل حوار يقوم وأطرافه غير متفقين على مضامين المصطلحات؛ سيؤدى إلى التباعد، وقد تعرض القرآن لمواقف المخالفين الذين يجادلون بغير علم منتقداً

(1) المصدرالسابق: ص: (103)

عدم تدقيقهم في المصطلحات قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف:57-59] والسبب في ذلك كما ذكر ابن إسحاق: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش؛ فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الأنبياء:98-100] ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزَّبَعْرَى السهمي حتى جلس؛ فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم؛ فقال عبد الله بن الزبعري: أما والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمداً أكل من نعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد عيسى؛ فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبعري، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذُكِر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده في النار، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته)) فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:101-102] أي عيسى وعزيرومن عُبِد من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى؛ ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء:26] ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزبعرى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ ـ الآيتين السابقتين ـ وهذا الجدل الذي سلكوه باطل وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن ((ما)) لما لا يعقل فقوله: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:98] إنما أريد بذلك ما كانوا

يعبدونه من الأحجار التي كانت صور أصنام، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور، ولا المسيح، ولا عزيراً، ولا أحداً من الصالحين، لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى)[1]. فالتناقض في المنطلقات التصورية للمتحاورين يعرقل التفاوض ويعيق مسيرته فإذا حُدِّدَت مضامين العبارات المُتَداولة وبُيِّن مقصودها تَيَسَّر الحوار واختفت كثير من مظاهر الصراع الذي يغذيه سوء الفهم.

2. انعدام الثقة:

توفر الثقة بين المتحاورين من أهم عوامل نجاح المفاوضات، فإذا كان أحد الأطراف يشك في نوايا الطرف الآخر فإن ذلك يعتبر من معوقات الحوار، وأعني بالثقة الإطمئنان للنوايا، وعدم الخوف من الخداع، فإن الشك سيجعل الحوار غير مجد، والرسول صلى الله عليه وسلم في أول موقف لإبلاغ الدعوة حرص على التأكد من ثقة المخاطبين فيه قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:214] أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى: ((يا صباحاه)) فاجتمع الناس إليه بين رجل يجئ إليه وبين رجل يبعث رسوله؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا بني عبد المطلب يا بني فهر، يا بني كعب؛ أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أصدقتموني))؟ قالوا نعم! قال: ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد))[2]؛ الشاهد هنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبلغهم رسالة ربه؛ أراد أن يعرف موقفهم منه، وثقتهم فيه، وتقول رواية أخرى إنه عندما سألهم قالوا له ـ نعم ما جربنا عليك كذباً ـ والثقة تترسخ بالثبات على المبادئ، والصدق في القول، والإلتزام بالعهود والمواثيق، وقد شدد الإسلام عليها قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة:1] وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:34] وكان أهل مكة يثقون في رسول الله ثقة كبيرة بالرغم من عدم إيمانهم بالرسالة حتى أنهم كانوا

(1) ابن كثير: البداية والنهاية (ج 3/ ص 86 ـ 87) والسيرة النبوية لابن هشام الجزء الثانى ص (8 – 9)
(2) ابن كثير: البداية والنهاية (ج 2/ ص 37)

يأتمنونه على الأشياء الثمينة التي يخشون ضياعها فيودعونها عنده وقد روت السيرة أنه عندما أراد الهجرة خلف علي ابن أبي طالب وراءه ليرد الودائع إلى أهلها، فهم يثقون في أمانته وصدقه ولكن يصعب عليهم التخلي عن عقائد آبائهم قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:33] ومما يؤكد ثقتهم فيه أنهم قبلوا حكمه بالإجماع عندما اختلفوا حول وضع الحجر الأسود بعد إعادة ترميم الكعبة.

3 ـ عدم التكافؤ:

الحوار المفيد لا بد أن تكون أطرافه متكافئة؛ وإلاّ أصبح إملاء لا حواراً، لأن الطرف الأقوى سيفرض شروطه، ويملي رغباته، فالتكافؤ يحقق أهداف الأطراف المتحاورة بصورة عادلة، هذا إذا كانت أطراف الحوار تسعى للوصول إلى هدف فيه مصلحة مشتركة، وهذا يحدث في مجال المصالح المادية، وفي مجال العلاقات بين الدول والكيانات الإجتماعية والسياسية والمؤسسات الإقتصادية، أما الأديان فمصلحتها تتحقق في ظل التعايش المشترك القائم على السلام وصيانة العيش المتكافئ، اللهم إلاتلك الأديان التي يضعفها نشاط الآخرين بسبب عجزها وتناقض تعاليمها التي يكشفها تماسك تعاليم الديانات المنافسة. وليس بالضرورة أن يكون التكافؤ متماثلاً؛ فقد يتفوق طرف في مجال بينما يتفوق الطرف الآخر في مجال آخر، كأن يمتلك طرف من الأطراف عناصر القوة المادية، مثل التفوق الإقتصادي والعسكري والتقني، بينما يتفوق الطرف الآخر في مجال المعلومات والدعاية والإعلام، وآخر تكمن عناصر قوته في الجوانب الروحية والثقافية والفكرية.. وهكذا فكل منهم محتاج إلى ما عند الآخرين، وعالم اليوم مصالحه متشابكة لا يستغنى طرف فيه بما عنده دون أن يكون محتاجاً للآخرين، فهنالك تكافؤ في الإحتياجات لكل الأطراف.

4 ـ تناقض الخطاب داخل أطراف الحوار:

الملاحظ أن مبدأ الحوار مع الآخر ليس محل اتفاق بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، كما أنه مختلف عليه داخل مؤسسات الآخر الملي والآخر

الحضاري والآخـر الدولي، مما يعتبر عائقاً من عوائق الحوار، فالمتوقع من المتحاورين أنهم يمثلون جميع الذين يشاركونهم في المعتقد أو الثقافة أو الحضارة، ولكننا في الواقع نجد جماعات إسلامية هنا وهناك تتبع نهجاً يدعو لاستئصال الآخر وتدميره، ورفض أي حوار معه، ونجد في الطرف الآخر جماعات رافضة للحوار مع المسلمين وتدعو للقضاء عليهم، وينبغي التركيز هنا على الجانب الإسلامي لأن البحث أصلاً يسعى لاستكشاف مبدأ الحوار في الفكر الإسلامي والتأصيل له؛ فالمطلوب أن يسبق الحوار مع الآخر حوار داخلي؛ يتفق فيه المعنيون على خطاب موحد بحيث لو قام به أيٌّ واحد منهم يعتبر ممثلاً للجميع. والواقع أنه منذ الغاء الخلافة الإسلامية على يد أتاتورك؛ فقد المسلمون عاملاً من عوامل الوحدة. فالخلافة بالرغم من علاتها؛ كانت تمثل قيادة للمسلمين في كل أنحاء العالم، فبإلغائها فقد المسلمون أهم مظهر سياسى من مظاهر الوحدة. وأما المسيحيون فإنهم بالرغم من إلغاء دور الكنيسة السياسي إلا أن لديهم قيادة روحية يلتفون حولها ويحترمون أوامرها، مع العلم أنهم ينقسمون إلى ثلاث طوائف رئيسية هي الكاثوليكية، والأورثوذوكسية، والأنجليكانية؛ ولكل طائفة من هذه الطوائف قيادة دينية تلتزم الطائفة بأوامرها.

أما المسلمون فقد انقسموا إلى دول وجماعات وفقدوا القيادة الموحدة، مما أفقدهم الاتفاق على خطاب موحد فى التعامل مع الآخر، فهنالك من يقرالحوار وينشط فيه، وهنالك من يرفضه ويصدرالفتاوى لعرقلته، مما يتعذر معه التوصل إلى حوارجاد مع الآخر، فالمطلوب التوصل إلى خطاب متفق عليه من المسلمين أو من الناشطين منهم يبين منهج التعامل مع الآخر حتى يزول التناقض بين خطابات الإسلاميين فى هذا المجال.

وخلاصة القول في هذا الفصل: أن الحوار الناجح هو ذلك الذي يقوم على أرضية مشتركة تتمثل في المقدمات السالف ذكرها، وتتوفر شروطه على النحو المبين، مع مراعات آدابه وإزلة معوقاته.

الفصل الثاني:

مشروعية الحوار

- تمهيد
- **المبحث الأول**: الحوار في القرآن والسنة وفي سيرة السلف
- **المبحث الثاني**: مكونات العقل السليم

تمهيد:

القرآن والسنة هما المصدران الأساسيان للتشريع في الإسلام، وقد تضمنا أحكام العبادات والمعاملات وكل ما يتعلق بحياة المسلم في كافة المجالات؛ الروحية، والأسرية، والإجتماعية، والإقتصادية، وغيرها، ولو امتثل المسلمون لهما امتثالاً حقيقياً؛ لتجنبوا كثيراً من الهزائم النفسية، والمادية، ولأصبحوا نموذجاً يحتذى، وينبغي أن يكون حكم الكتاب والسنة هو المطلب الذي يسعى إليه المسلم؛ لأنه خلق للقيام بهذا التكليف وهو تطبيق منهج الله وفق مراد الله، فعندما يقف على الحكم الشرعي المسنود بأدلة قاطعة من الكتـاب والسنة؛ ما عليه إلا الإمتثال بكامل الرضـا. وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الإستمساك بالكتاب والسنة يعصم من الضلال ويجنب من مهاوي الردى قال صلى الله عليه وسلم: ((إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تخافون من أعمالكم فاحذروا إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيكم، إن كل مسلم أخو المسلم، المسلمون إخوة ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، ولا تظلموا، ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض))[1] يتضح مما سبق وبمفهوم المخالفة أن عدم الإعتصام بالكتاب والسنة يوقع في الضلال وينقض عرى الأخوة، فتسود المجتمع مظاهر البغضاء والإحن، وهي مقدمات للحروب والدمار، ووردت عدة آيات في القرآن الكريم تؤكد وجوب الإحتكام لكتاب الله ولسنة نبيه الكريم، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:65] وفي آية أخرى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى

(1) أخرجه أحمد في مسنده (368/ 2) والمنذري في الترغيب والترهيب (41/ 1)

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأحزاب:36] وفيما يتعلق بموضوع البحث ـ الحوار ـ فإن له تأصيلاً محكماً في الكتاب والسنة وفي المبادئ الإسلامية المستنبطة منهما، وفي الواقع العملي الذي جسدته سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين والمصلحين من أئمة الهدى، كما سيتبين في هذا الفصل.

المبحث الأول:

الحوار في القرآن والسنة وفي سيرة السلف

اولاً: الحوار في القرآن:

في مراجعة دراسية لآيات القرآن الكريم المتعلقة بالحوار بصورة عامة.. نجد أن القرآن الكريم تضمن أنواعاً متعددة من الحوارات:

- حوار الله مع الشيطان.
- حوار الله مع الأنبياء.
- حوار الله مع عباده يوم القيامة.
- حوار الأنبياء مع الناس.
- حوار الناس مع الناس.

في ضوء ذلك يمكن إبراز الإحصاءات القرآنية الآتية:

وردت كلمة ((قال)) ومشتقاتها 1713مرة، منها 549 مرة كلمة ((قال)) و355 مرة كلمة ((قالوا)).

وردت كلمة ((جادل)) ومشتقاتها 29 مرة.

وردت كلمة ((فكر)) ومشتقاتها 18 مرة.

وردت كلمة ((فقه)) ومشتقاتها 18 مرة.

وردت كلمة ((حاج)) ((يحاجج)) 13 مرة.

وردت كلمة ((حوار)) ثلاث مرات[1].

(1) مقدمة الى الحوار الإسلامي المسيحي: محمدالسماك ص (77)

ومما سبق يتضح أن الحوار له أهمية كبيرة في الإسلام، فإضافة إلى حوار الله مع الملائكة ومع إبليس والأنبياء؛ هنالك حواره مع عباده، وحواره مع الكون، ومع الطبيعة، ومع كثير من مخلوقاته، كذلك فإن سير الأنبياء مع قومهم كانت جلها حوارات تهدف لإقناعهم بوحدانية الله وبطلان ما هم عليه من الشرك ومن فساد في الأخلاق وانحراف في القيم، ونالت قصص بني إسرائيل الجزء الأكبر من قصص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل:76] ومن المناسب هنا ذكر بعض نقاط الحوار التي وردت في القرآن الكريم لتأكيد أن الحوار هو وسيلة من وسائل الإسلام لإقناع الناس بحقائق الدين ولإقامة الحجة عليهم، بل هو الأبرز بالنسبة لوسائل الإسلام الأخرى:

1. حوار الله سبحانه وتعالى مع ابليس:

ورد الحوار الذي دار بين الله سبحانه وتعالى وبين إبليس في القرآن الكريم بصيغ متنوعة، ففي سورة الأعراف بدأ بصيغة: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:12] وفي سورة الحجر: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر:32] وفي سورة ص: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص:75] وفي سورتي الأعراف وص كان رد إبليس: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:12] وفي سورة الحجر جاء رده بصيغة مختلفة: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:33] فاستحق اللعنة لعدم امتثاله لأمر الله ولاستعماله القياس فيما لا يجوز فيه القياس، قال الشهرستاني (اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة «شبهة ابليس «لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين، وتشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت في الخليقة وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال.. والشبهات السبعة هي: الأولى: لم خلقني الله وهو يعلم ما يصدر مني؟ والثانية: لم كلفني وهو لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية؟ والثالثة: لم كلفني بطاعة آدم؟ والرابعة: لم لعنني وطردني وأنا لم أزد على قولي: لا أسجد إلا لك؟ والخامسة: ما الحكمة من تمكيني من دخول

الجنة لإغواء آدم؟ والسادسة: لم سلطني على بني آدم بحيث أراهم ولا يروننني وتؤثر فيهم وسوستي؟ والسابعة: لم استمهلني إلى يوم يبعثون مع أن في هلاكي مصلحة للعالم؟ فكان الرد الإلهي: أنه أوحى للملائكة بأن يقولوا له: إنك في تسليمك الأول أني إلـهك وإله الخلق غير صادق ولا مخلص إذ لو صدقت أني إلـه العالمين ما احتكمت إلي بـ لِم؛ فأنا الله الذي لا إله إلاأنا لا أُسْأل عما أفعل والخلق مسؤولون)[1] ومما تجدر الإشارة إليه؛ أن أبليس بالرغم من فداحة جرمه، ووسائل إغوائه غير العادية المتمثلة في تعرضه للبشر من كل الإتجاهات، وقدرته على الوسوسة، وتمكنه من الإنسان حتى أنه يجري من ابن آدم مجرى الـدم في العروق؛ مع كل ذلك ـ فإن الله سبحانه وتعالى أبقاه إلى يوم البعث وأعطاه حرية التعبير عن أهدافه ونشر أفكاره مما ينفي أي زعم بأن الإسلام ضد الحريات بكل أنواعها! ولنتدبر هذا الحوار بين الله وإبليس بكل تمعن: ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف:13–18]. هذا الحوار نستنتج منه الآتي:

أولاً: أن الحكمة من وجود إبليس في حياة الناس؛ تتمثل في تأكيد أهمية الإختبار. فلولا الإختبار لادعى كثير من الناس الإيمان والإلتزام بأحكام الشرع، ولكن الإختبار هو الذي يبين معادن الناس، ويصدق هذا ما ورد في القرآن في شأن تحريم صيد البر للمُحْرِم قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[المائدة:94].

ثانياً: أن الكفر والعصيان لا يحرمان الإنسان من حقوقه؛ بدليل أن الله سبحانه وتعالى لم يسلب إبليس الحياة لعصيانه بل أبقاه إلى يوم يبعثون.

ثالثاً: أن الحرية في الإسلام لا حدود لها؛ بدليل أن أبليس أعلن عن منهجه ووسائل إغوائه المتفوقة؛ فلم يمنعه الله من عرض أفكاره؛ بل هيّأ له كل الأجواء للتعبير عما يريد. وأن حرية التبشير مكفولة في الإسلام؛ فإبليس وضح برنامجه؛

(1) الملل والنحل للشهرستانى [بتصرف] ص(7 – 8) دار الكتب العلمية بيروت

بأنه يسعى لصرف الناس عن الصراط المستقيم، ومع ذلك أبقاه الله إلى يوم البعث، ونستخلص من ذلك أن الذين يرفضون لأصحاب الديانات الأخرى، وأصحاب النظريات [الهدامة]، بأن لا ينشروا أفكارهم؛ قد جانبوا الصواب. فالإسلام لا يُضْعِفه نشاط الآخرين، فحجته دامغه، وأسسه متينة، بل وجود الفكر الآخر والمعتقد الآخر؛ يتيح للناس المقارنة، وعندها سيكتشفون الفرق بين الثرى والثريا.

2. حوار الله مع الأنبياء:

ذكر القران الكريم عدة حوارات بين الله والأنبياء والرسل، تتناول عدة مواضيع نختار منها ما يتسع المقام لذكره، ففي حوار الله مع نوح نذكر ما يتعلق بشأن ابنه الذي غرق لرفضه الركوب في السفينة، فلما يئس نوح عليه السلام من استجابة قومه ودعا عليهم الدعاء المشهور الوارد في سورة نوح؛ أبلغه الله بأن قومه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن وأنه قد حكم عليهم بالغرق، ثم أمره ببناء السفينة التي ستحمل من كل زوجين إثنين إضافة لأهل نوح والمؤمنين معه، فلما ركبوا في السفينة طلب نوح من ابنه أن يركب معه ولكنه رفض قائلاً سآوي إلى جبل يعصمني من الماء والنتيجة أنه غرق قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:42-44] وخاطب نوح عليه السلام ربه بشأن ابنه الذي غرق وهو من أهله؛ فبين له الله سبحانه وتعالى أن علاقته بابنه قد انقطعت؛ لأن طريقيهما مختلفان، وأن أواصر الرحم لا تفيد في هذا المجال! قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود:45-48] فالعلاقة الإيمانية مقدمة على العلاقة الرحمية عند الله.

وأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام حاور ربه مستفسراً عن كيفية إحياء الموتى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:260] فالشك يقود إلى اليقين، ويطرد الأوهام والوساوس؛ التي هي من نواقض العقيدة، فمن شروط العقيدة أن تبنى على ثبات لا تزحزحه الرِّيَب يقول الغزالي عن أثر الشك في التوصل إلى الحقيقة: (إذ الشكوك هي الموصلة إلى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يُبصر، ومن لم يُبصر بقي في العمى والضلال. نعوذ بالله من ذلك)[1]. وموسى عليه السلام اشتهر بأنه كليم الله؛ فقد حاوره ربه في مواقف كثيرة؛ عند جبل الطور في أول تكليفه بالرسالة، وعند ابتعاثه إلى فرعون، ومدة إقامته مع بني إسرائيل. ونشير هنا إلى جانب من هذه الحوارات قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ۚ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:143-144].

إن تساؤلات الإنسان لا تنتهي؛ فهو ينشد المعرفة ويتطلع لها، وإذا كان رسل الله يتساءلون حول قضايا تعتبر خطوط حمراء؛ فمن باب أولى أن يتساءل العباد دون خوف ولا وجل. إن حرية البحث يكفلها الإسلام بل يدعو لها عندما يطلب من الناس السير في الأرض لمعرفة آثار الذين سبقوا حتى يتعلموا منهم.

وفي حوار الله مع عيسى أشير إلى ما ورد في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ ۚ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:116-118].

(1) قنواتي: الفلسفة وعلم الكلام: ص (244)

3. حوار الرسل مع قومهم:

لقد جاءت قصص الأنبياء والرسل مع قومهم في القرآن الكريم كلها تقريباً في صيغة حوارات تشرح مهمة الرسل التي جاءوا بها، وتبين المنهج الذي أنزل إليهم، وتدعو الناس إلى الإمتثال لأمر الله. نختار من تلك الحوارات بعضها: فقد حاور إبراهيم عليه السلام قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام مبيناً بطلان اعتقادهم وموضحاً لهم بصورة مشاهدة وبحجة عملية عجز آلهتهم المزعومة عندما كسر أصنامهم. وردت هذه الحوارات في سورة الأنعام وفي سورة الأنبياء وفي سورة الشعراء وفي سورة العنكبوت وفي سورة الصافات؛ كذلك كان حوار إبراهيم مع أبيه نموذجاً لأسلوب الداعية الحكيم الذي يسعى لإخراج قومه من الظلمات إلى النور، ويدحض باطلهم بحجج دامغة وبأسلوب غاية في الرُّقِي واللباقة: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ [مريم:41-48]. ونبي الله شعيب كان يسمى خطيب الأنبياء؛ لما تميز به من أسلوب بليغ في المحاورة، والحوار الذي دار بينه وبين قومه في سورة هود يؤكد ذلك قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ [هود:84-93].

4. حوارات متفرقة:

هنالك عدة حوارات مع جهات مختلفة في القرآن الكريم؛ أشير هنا إلى حوار الله مع الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها فتساءل أنى يحيى هذه الله بعد موتها؟ فأجابه الله على سؤاله بصورة عملية حيث أماته مائة عام ثم بعثه، وسأله كم لبثت فقال إنه لبث يوماً أو بعض يوم؛ فبين له أنه لبث مائة عام، وفي حوار الله مع عباده أشير إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طـه:125-126]. والحوارات التي تضمنتها سورة يوسف: حوار يعقوب مع بنيه، وحوار يوسف مع عزيز مصر، وحواره مع إخوته، كذلك أشير إلى حوار نبي الله سليمان مع الهدهد ومع ملكة سبأ، وحوارملكة سبأ مع قومها حين دعاها سليمان للإسلام، وحوار موسى مع فتاه وحواره مع العبد الصالح، وحوار ذوالقرنيين مع القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً كما جاء في سورة الكهف.

وفي حوار الأنبياء مع الناس أشير إلى ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة:1].

كما أشير إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:258].

وفي حوار الناس مع الناس، أشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف:34]. وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف:37]))[1].

ثانياً: الحوار في السنة:

تضمنت السنة نماذج كثيرة من الحوارات؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفذ أمر الله الذي كلفه بتبليغ الرساله، وبين له كيف يدعو الناس إلى دين الله

(1) مقدمة الى الحوار الإسلامي المسيحي: محمدالسماك ص (77 ـ 78)

قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل:125] فامتثل أمر الله وبلغ الرسالة مستخدماً كل الأساليب وكان الحوار أحدها: فقد حاور أهل مكة، وبعث الرسائل للملوك والزعماء، واستقبل الوفود، وجادل أهل الكتاب؛ والسيرة بينت ذلك بوضوح كما سبقت الإشارة، وكان يشاور أصحابه ويحاورهم، ويستمع إلى آرائهم ويأخذ بالصائب منها، ومن لم يأخذ برأيه بين له الأسباب، وسيتعرض البحث في هذا الجانب للحوار في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين باعتبار أن عهد الخلفاء الراشدين مندرج في عهد النبوة على أساس قوله صلى الله عليه وسلم: ((..فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي..))[1] ولأن الصحابة هم الذين تربوا على يد رسول الله وتوفي وهو عنهم راض، وقد شاهدوا كيف يجسد الرسول صلى الله عليه وسلم تعاليم الإسلام، بل شاركوا في إقامة مجتمع الإسلام الأول:

1 ـ الحوار في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

لقد وصف الله سبحانه وتعالى رسوله بعدة صفات كلها تقتضي أن يكون الحوار من خصائصها: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب:45-46] وجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الصفات في أرض الواقع فقد حاور أهل مكة وحاور اليهود والنصارى وحاور الملوك عبر مكاتباته لهم؛ بل إن علاقته مع أصحابه قامت على الحوار؛ تطبيقاً للشورى وتبيينا لأحكام الدين، وسنذكر طرفاً من هذه الحوارات مع هذه الأطراف:

(أ) حواره مع أهل مكة: عن المغيرة بن شعبة قال: إن أول يوم عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأبي جهل: ((هل لك إلى الله وإلى رسوله، وأدعوك إلى الله)) فقال أبوجهل: يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت، فنحن نشهد أن قد بلغت، فوالله لو

(1) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك؛ فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عليّ فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن [يمنعني] شـئ؛ إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا نعم، ثم قالوا فينا السقاية، فقلنا نعم، ثم قالوا فينا الندوة، فقلنا نعم، ثم قالوا فينا اللواء، فقلنا نعم، ثم أطعموا وأطعمنـا. حتى إذا تحاكت الركب قالوا منا نبي، والله لا أفعل[1].. الشاهد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ييأس فبالرغم من عداوة أبي جهل وتشدد موقفه الرافض للدعوة فقد كان صلى الله عليه وسلم يطمع في إسلامه، وقد دعا الله أن ينصر الدين بأحب الرجلين إليه؛ عمر بن الخطاب؛ أو بعمرو بن هشام [أبي جهل] فكان عمر هو أحبهما إلى الله. وهذا الحوار يفسر سبب رفض كثير من زعماء العرب للإسلام؛ لأنهم نظروا إليه من زاوية منافستهم لقريش، فالغيرة حرمتهم من التصديق والتعصب حجبهم من نور الله فحرموا الإيمان.

(ب) **حواره مع أهل الكتاب**: قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج ثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أجمعوا لي من كان هاهنا من يهود)) فجمعوا له فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ((إني سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقي عنه؟)) قالوا: نعم يا أبالقاسم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أبوكم؟)) قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كذبتم بل أبوكم فلان)) قالوا: صدقت وبررت، فقال: ((هل أنتم صادقي عن شئ إذا سألتكم عنه؟)) قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أهل النار؟)) فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والله لا نخلفكم فيها أبداً)) ثم قال لهم: ((هـل أنتم صادقي عن شئ إذا سألتكم؟)) فقالـوا: نعـم يا أبا القاسم فقال: ((هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟)) فقالوا: نعم! قال: ((ما حملكم على ذلك؟)) قالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك[2]. هذا

(1) البداية والنهاية: ابن كثير: (2/ 62 – 63)

(2) (المصدرالسابق، الجزء الثانى ص: (209) انظر طرفا من الفصة في السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثالث ص(215)دار التقوى – القاهرة

الحوار يوضح النهج اليهودي في التعامل مع غير اليهود، فلم يقابلوا المعاملة الحسنة من قبل الرسول إلا بالجحود والنكران، ثم إنهم لم يتورعوا من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما بين لهم كذبهم الذي لا شك أنه عرفه عن طريق الوحي لم يؤمنوا، وخالفوا قولهم بزعمهم أنه لو كان نبياً لم يضره السم ولما ثبت لهم أن السم لم يضره لم يؤمنوا!

(ج) رسائله للملوك: بعد صلح الحديبية وفي فترة الهدنة مع قريش؛ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم برسائل إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام ومن الذين حملوا الرسائل كان حاطب بن أبي بلتعة حيث بعثه صلى الله عليه وسلم برسالة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية فلما وصله الكتاب قبله وأكرم حاطباً وأحسن نزله وسرحه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين. قال حاطب: (بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك الإسكندرية، قال: فجئته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزلني في منزله وأقمت عنده، ثم بعث إليّ وقد جمع بطارقته وقال: إني سائلك عن كلام فأحب أن تفهم عني قال قلت هلم، قال: أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي؟ قلت بل هو رسول الله، قال: فماله حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ قال: فقلت عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله؟ قال: بلى، قلت: فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا؟ فقال لي: أنت حكيم قد جاء من عند حكيم..)[1].

إن بعث الرسائل للملوك يؤكد عالمية الإسلام، وهذه القصة توضح أن سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم قد تم اختيارهم بعناية فهم لديهم إلمام تام بالمهمة التي كلفوا بها، كما لديهم معرفة جيدة بعقائد من أُرْسلوا إليهم إضافة إلى أنهم يجيدون فن الحوار مع سرعة البديهة وبلاغة الأسلوب.

(د) حواره مع أصحابه: جاء صلح الحديبية يحمل بنوداً ظاهرها في غير مصلحة المسلمين، فمن بنود الصلح أن من جاء إلى المسلمين من أهل مكة مسلماً

(1) (البداية والنهاية لابن كثير (4/ 271)

يردونه إليهم، ومن لحق بأهل مكة من المسلمين لا يلزمون برده، كذلك عدم كتابة البسلمة في وثيقة الصلح، ورفضهم كتابة رسول الله، فغضب بعض المسلمين ومنهم عمر بن الخطاب الذي قال: يا رسول الله! ألسنا على حق، وهم على باطل؟ قال: ((بلى))، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: ((بلى)) قال ففيم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولم يحكم بيننا وبينهم؟ قال: ((يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولم يضيعني الله أبداً)) فانطلق عمر ولم يصبر متغيظاً، فأتى أبا بكر، فقال له مثل ذلك فقال أبو بكر: إنه رسول الله ولم يضيعه الله أبداً: فنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح، فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله، أوفتح هو؟ قال: ((نعم)) فطابت نفسه ورجع))[1] ففي أحلك الظروف كان الرسول صلى الله عليه وسلم رابط الجأش مطمئن النفس واثقاً من نصر الله له، فأهل مكة منعوه من العمرة، والنفس مجبولة على الإنتقام، ولم يعرف المجتمع ثقافة التنازل التكتيكي تمهيداً للهدف للإستراتيجي، ومشاعر الغضب تملكت معظم المسلمين خاصة عندما جاء أبو جندل بن سهيل هارباً من الأسر؛ فأمره الرسول بالرجوع مع أبيه تنفيذا للعهد، كان هذا هو المناخ الذي تم فيه صلح الحديبية، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم استطاع بعظمته وحكمته وحسن قيادته أن يمتص مشاعر الغضب، وأن يعلم النفس الإنسانية وسائل جديدة للنصر ليس العنف من بينها، وقد أفلح فما هي إلا فترة وجيزة حتى فتح مكة سلمياً.

(هـ) كان الصحابة يراجعون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأوامر التي يصدرها اجتهاداً منه إذا رأوا المصلحة في غيرها: عن أبي بكر رضي الله عنه قال: (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج فناد في الناس: ((أن من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وجبت له الجنة)) فخرجت فلقيني عمر فسألني فأخبرته، فقال عمر: ارجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له: دع الناس يعملون، فإني أخاف أن يتكلوا عليها فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ما قال عمر؛ فقال: صدق عمر، فأمسكت)[2].

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1162/ 3) ح (3011) من حديث سهل بن حنيف
(2) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (51/ 1)

فالحوار في عهد رسول الله لم يكن مقيداً بموضوع معين وإنما يشمل كافة الجوانب، والموضوع الأخير يبين مكانة عمر في الإسلام وصدق فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون [ملهمون] فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر))[1].

2 ـ الحوار في عهد الخلفاء الراشدين:

الفترة التي أعقبت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم شهدت أحداثاً كثيرة استوجبت اجتهاداً من الصحابة رضوان الله عليهم لمواجهتها، وقد شهد هذا العصر مشاورات كثيرة وحوارات بين الصحابة حول الخلافة، والتعامل مع المرتدين، وجمع المصحف، وأثر الفتوحات الكبيرة التي تمت على حياة المسلمين؛ وغير ذلك من مجالات الحوار التي سترد في ثنايا هذا البحث، وسأذكر طرفاً منها في هذا الفصل:

- في عهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه: عن الزبير بن المنذر بن أبي أسيد الساعدي: (أن أبا بكر بعث إلى سعد بن عبادة أن أقبل فبايع الناس وبايع قومك، فقال: لا والله لا أبايع حتى أراميكم بما في كنانتي وأقاتلكم بمن تبعني من قومي وعشيرتي، فلما جاء الخبر إلى أبي بكر قال بشير بن سعد: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه قد أبى ولج ـ أي تمادى في الخصومة ـ وليس بمبايعكم أو يقتل، ولن يقتل حتى يقتل معه ولده وعشيرته، ولن يقتلوا حتى تقتل الخزرج، ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الأوس؛ فلا تحركوه، فقد استقام لكم الأمر، فإنه ليس بضاركم؛ إنما هو رجل وحده ما ترك، فقبل أبو بكر نصيحة بشير فترك سعداً، فلما ولي عمر لقيه ذات يوم في طريق المدينة فقال: إيه يا سعد فقال [سعد] إيه يا عمر، فقال عمر: أنت صاحب ما أنت صاحبه، فقال سعد: نعم أنا ذلك، وقد أفضى إليك هذا الأمر، كان والله صاحبك أحب إلينا منك، وقد أصبحت والله كارهاً لجوارك، فقال عمر: إنه من كره جوار جار تحول عنه، فقال سعد: أما أنى غير [مستنسئ] بذلك وأنا متحول إلى جوار من هو خير منك [قال] فلم يلبث إلا قليلاً حتى خرج مهاجراً إلى الشام في أول خلافة عمر فمات بحوران)[2] فهنا نجد أن خليفة رسول الله لم يتشدد مع سعد باعتبار أنه زعيم

(1) رواه البخارى في صحيحه (3689)
(2) الطبقات الكبرى لابن سعد (616/ 3)

الأنصار وهو صاحب شوكة لو عومل بالشدة فقد يؤدى إلى ضرر أكبر وربما تندلع الفتنة كما أشار لذلك ابنه، ورفض سعد أن يبايع أبا بكر وبعده عمر إلى أن مات! فلم يتهم بالخروج على الجماعة، ولم يحكم عليه بالكفر؛ مما يوضح أن الخلافة مصلحة شرعية وليست ركناً دينياً، ويتضح أيضاً مقدار التسامح في عهد الخلفاء الراشدين.

- في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه: عن سعيد بن يسار قال: (بلغ عمر أن رجلاً بالشام يزعم أنه مؤمن، فكتب عمر، فقدم على عمر فقال: أنت الذي تزعم أنك مؤمن؟ قال: هل كان الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا على ثلاثة منازل مؤمن، وكافر، ومنافق، والله ما أنا بكافر، ولا نافقت. فقال عمر ابسط يدك رضا بما قال)[1] فابن الخطاب يريد أن يطمئن إلى أن الرجل ليس متصيداً للشبهات لإحداث بلبلة وسط العامة، ولم يكتف بالتقارير وإنما حرص على أن يسمع من الرجل مباشرة، فلما حاوره علم سلامة مقصده فأعجب بوعيه وحسن رده، وما فعله عمر ليس حجراً على حرية التفكير كما يوهم سياق القصة، وإنما حماية للمجتمع من الشبهات التي إذا تحكمت على عقل الإنسان قادته إلى التطرف؛ خاصة وأن الرجل يقول كلامه هذا في مجتمع المؤمنين وليس في غيره، فأول شبهة الخـوارج بدأت بقولهم لا حكم إلا الله!

- عن الشعبي أن عمر بن الخطاب قال: (إني لأبغض فلاناً فقيل للرجل: ما شأن عمر يبغضك؟ فلما كثر القوم في الدار جاء، فقال: يا عمر، أفتقت في الإسـلام فتقاً؟ قال لا، قال: فجنيت جناية؟ قال: لا، قال: أحدثت حدثاً؟ قال: لا، قـال: فعلام تبغضني، وقال الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:58] فقد آذيتني فلا غفرها الله لك، فقـال عمر: صدق والله ما فتق فتقاً ولا ولا فاغفرها لي، فلم يزل به حتى غفر له)[2] في مجتمع الإسلام لا حصانة لأحد فخليفة المسلمين يحاسب إذا أخطأ، ويعتذر إذا تجاوز؛ لأن الإسلام دين المساواة، وقد نهى عن الإيذاء والضرر.

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (6/ 169)

(2) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (6/ 658) وكنزالعمال للمتقى الهندى ص(261) موقع الوراق:www.alwaraq.net

- عن أبي يزيد، قال: (لقي عمر بن الخطاب امرأة، يقال لها خولة وهي تسير مع الناس فاستوقفته، فوقف لها ودنا منها، وأصغى إليها رأسه، ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز؟ قال: ويحك أتدري من هذه؟ قال: لا. قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضى حاجتها)[1] إن موقف عمر هذا نستخلص منه ثلاثة أشياء: أولها: أن النساء في صدر الإسلام كن يمارسن حياتهن الطبيعية دون حجر، وأنهن يخرجن لحاجاتهن دون تضييق، وأنهن معروفات لدى المجتمع؛ مما يؤكد أن التضييق على المرأة ليس من هدي الإسلام بل هو من مخلفات الجاهلية. وثانيها: أن الحوار بين الجمهور والحكام كان أمراً مألوفاً دون قيود بدليل أنها استوقفته في الطريق فلم يستنكر ذلك. وثالثها: أن الحكم في الإسلام يفرض على الحاكم مسئوليات كثيرة، ولا يحول منصبه بينه وبين الناس؛ بل من واجبه أن يستمع لشكاوى الجميع ويعالجها.
- في عهد عثمان رضى الله عنه: في أواخر سِنِيّ عثمان كثر النقد لسياسته، وأكثر الناس من المقالة عليه، ونالوا منه، فكلم الناس علي بن أبى طالب أن يدخل على عثمان، فاستجاب لطلبهم ودخل عليه فأخبره أن الناس كلموه بشأنه وأنه جاء بناء على طلبهم ودار بينهما حوار في غاية الصراحة أنقله بتصرف لطوله، قال علي: (والله ما أدري ما أقول لك، وما أعرف شيئاً تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شئ فنخبرك عنه، ولا خلونا بشئ فنبلغكه، وما خصصنا بأمور خفي عنك إدراكها، وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ونلت صهره، وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك، ولا ابن الخطاب بأولى بشئ من الخير منك.. إلى أن قال: فالله في نفسك، فإنك والله ما تُبَصَّر عن عمى، ولا تُعَلَّم عن جهل، وإن الطريق لواضح بين، وإن أعلام الدين لقائمة.. وختم بقوله: وإني أحذرك الله، وأحذرك سطوته ونقمته، فإن عذابه أليم شديد، واحذر أن تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنه كان يقال يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، وتلبس أمورها عليها، ويتركون

(1) أخرجه ابن كثير في تفسيره (4/ 319).. والسيوطي في الدر المنثور (8/ 70)

شيعاً لا يبصرون الحق من الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرحون فيها مرحاً. فقال عثمان: قد والله علمت لتقولن الذي قلت، أما والله لوكنت مكاني ما عنفتك ولا أسلمتك، ولا عبت عليك، ولا جئتك منكراً، إني وصلت رحماً وسددت خلة، وآويت ضائعاً، ووليت شبيهاً بمن كان عمر يولي، أنشدك الله يا علي هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: نعم! قال: فتعلم أن عمر ولاه؟ قال: نعم! قال: فلم تلوموني أن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته؟ فقال علي: سأخبرك أن عمر كان كلما ولى أميراً فإنما يطأ على صماخيه[1]، وأنه إن بلغه حرف جاء به ثم بلغ به أقصى الغاية في العقوبة، وأنت لا تفعل ضعفت ورفقت على أقربائك. فقال عثمان: تعلم أن عمر ولى معاوية خلافته كلها فقد وليته، فقال علي: أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمرمن [يرفأ] غلام عمر منه؟ قال: نعم! قال علي: فإن معاوية يقطع الأمور دونك وأنت تعلمها، ويقول للناس: هذا أمرعثمان، فيبلغك فلا تنكرولا تغير على معاوية)[2]..

هذا المشهد يوضح حجم الحرية السائدة في مجتمع الخلافة الراشدة، فالمناصحة بين الحاكم والمحكومين من مقومات الحكم الراشد، فعلي ابن أبي طالب نقل إلى عثمان مآخذ الناس على حكمه دون مواربة ولا تمييع، والخليفة دافع عن نفسه بأنه يتبع نهج من سبقه، ويبين له علي أوجه الإختلاف بينه وبين عمر، وهكذا يجري الحوار بين الرجلين العظيمين دون أن تكدره أمراض السلطة وأدواء الحسد؛ فقد نزع الغل من صدورهم، ولا أتصور أن النظم الديمقراطية الحديثة تتجاوز كثيراً هذا الحوار في مناقشاتها؛ اللهم إلا في إقامة النظم والآليات التي تنظم ممارسة النقد والمحاسبة، وهي ثمرة للتطور الإجتماعي الذي لم تتوصل إليه البشرية إلا بعد قرون من الممارسة، ولو استمر الحال كما كان في عهد الخلفاء الراشدين لوصلنا إلى نظام أشبه بما توصلت إليه النظم الحديثة بشأن ممارسة الحكم من حيث الإختيـار والمحاسبة والتداول السلمى للسلطـة.

- في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شهد عهد أمير المؤمنين علي بن أبي

(1) أذنيه

(2) البداية والنهاية لابن كثير (4/ 175 – 176)

طالب أحداثاً كثيرة فتحت أبواباً للجدل والحوار إمتلأت بها كتب المؤرخين منها الظروف التي تمخضت عن مقتل عثمان وانقسام الصحابة إلى فريقين؛ فريق مع علي وفريق مع عائشة أم المؤمنين، وبلغ الصراع قمته في معركة الجمل التي انتصر فيها علي، كذلك الصراع بينه وبين معاوية رضي الله عنه ثم صراعه مع الخوارج الذي أخذ بعداً أيديولوجياً يستند إلى تأويل لبعض النصوص، وشهد هذا العصر حوارات عدة شارك «علي» في بعضها وكان أشهرها حوار ابن عباس مع الخوارج الذي تضمن هذا البحث طرفا منه وأذكر هنا حوارا بين علي وابنه الحسن، فقد بلغ علياً أن طلحة والزبير وعائشة توجهوا إلى البصرة، وأن أهل البصر بايعوا طلحة، فخطب في الناس حاثاً لهم على التوجه معه إلى البصرة؛ ليمنعهم من دخولها إن أمكن، أو يطردهم عنها إن كانوا قد دخلوها؛ فتثاقل عنه أكثر أهل المدينة واستجاب له بعضهم، وخرج علي في نحو تسعمائة مقاتل من المدينة فجاءه ابنه الحسن وقال له: (لقد نهيتك فعصيتني! تقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك؛ فقال له علي: إنك لا تزال تحن عليَّ حنين الجارية، وما الذي نهيتني عنه فعصيتك؟ فقال: ألم آمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها؛ فيقول قائل أو يتحدث متحدث؟ ألم آمرك ألا تبايع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا؛ فعصيتني في ذلك كله؟ فقال له علي: أما قولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما مبايعتي قبل مجئ بيعة الأمصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ماذهبوا إليه. فتريد مني أن أكون كالضبع التي يحاط بها، ويقال ليست هاهنا، حتى يشق عرقوبها، فتخرج، فإذا لم أنظر فيما يلزمني في هذا الأمر ويعنيني، فمن ينظر فيه؟ فكف عني يا بني)[1].

فمما تقدم يتبين أن الحوار كان أسلوباً شائعاً بين كافة قطاعات المجتمع دون حجر أو تقييد، فالحسن يخاطب أباه بهذا الأسلوب الذي لا يستطيع أبناء زماننا أن يقولوه لآبائهم، مما يؤكد أن منهج التربية كان يختلف عن ماهو عليه الحال في

(1) البداية والنهاية لابن كثير(4/ 245)

زماننا، فالأبناء هناك تربوا على المشاركة والإفصاح عن ما يعتقدون دون رهبة، وأبناء زماننا تربوا في ظل أوضاع يفرض فيها الأب سلطته على الجميع، وتنفذ قراراته دون مناقشة، فمثل هذه البيئة تقتل الإبداع عند الإنسان وتفرز مجتمعاً مستنسخاً لا يتوقع منه تغيير الواقع!.

المبحث الثاني:

مكونات العقل المسلم

المبادئ الإسلامية التي يتشبع بها المسلم وتكون عقليته وتعزز ثقافته؛ تهيِّئُه للتعامل مع الناس باحترام، ومن ثم يستطيع أن يتفهم الإختلاف؛ فيتعامل معه كواقع إجتماعي وجبلة إنسانية، وضرورة حياتية، والدين الإسلامي يقوم على مبادئ وقواعد وسنن إضافة للعقائد والعبادت والأحكام، فبمعرفة كل ذلك يدرك الإنسان طبيعة هذا الدين ومنهج تعامله مع المخالفين، والنقاط التالية إذا فهمت فهماً صحيحاً فإنها ستشكل العقلية الإسلامية التي تستطيع بالحوار أن تتعاطى مع المخالفين فكرياً ومذهبياً وحضارياً:

1. معرفة حقيقة الإسلام:

الإسلام ليس ديناً خاصاً بقوم دون غيرهم، وليس ديناً محصوراً بمكان أو زمان، وإنما هو الدين الخاتم الذي جاء لكافة الناس عبر الزمان وعبر المكان، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:1] وأمة الإسلام اختصت بالرسالة الخالدة، وبالكتاب المعجز، وبالرسول الخاتم، وهي خيرأمة أخرجت للناس بنص القرآن. هذه الخصائص تفرض عليها إدراك العوامل التي كرمت لأجلها، لتعلم أنها بالمحافظة عليها تحافظ على التكريم، وبالتفريط فيها تفقد هذه الميزة، كذلك فإن على الأمة أن تحقق النموذج الحي لمجتمع الإسلام الذي تسوده القيم والمعاني التي جاءت بها الرسالة الخاتمة، ومطلوب منها من ناحية أخرى أن توصل هذه الرسالة بالوسائل الملائمة لكل شعب من الشعوب، ولكل عصر من العصور. وقد جاء الإسلام بمبادئ وأحكام تخاطب البعد الإنساني

الممتد عبر الزمان وعبر المكان، والقيم الإسلامية استصحبت أصول الرسالات السابقة، والنافع من العطاء الإنساني، وصاغت كل ذلك في كلمات تتميز بثبات النص وحركة المحتوى، وهنا يكمن سر الإعجاز الإلهي في القرآن الكريم؛ فقد جاء بمبادئ وتعاليم فهمها البدوي في صحراء الجزيرة العربية وفهمها الحضري في عصر العولمة دون تناقض. قال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:105–106] وهنالك أحكام جاء بها كل الرسل وأكدها الإسلام وهي ما أطلق عليها بعض المفكرين؛ الأخلاق الإجتماعية، وقد وردت إجمالاً في هذه الآيات من سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:151–153] ووردت هذه المعاني أكثر تفصيلاً في سور الإسراء وآخر سورة الفرقان وفي سورة لقمان وسورة فصلت. كما وردت قيم ومبادئ متفرقة على طول سور القرآن الكريم.

إن الدراسة المتعمقة لنصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تبين الحقائق الآتية:

أولاً: القرآن هو معجزة الرسول الخاتم؛ الذي مختلفا عن معجزات الرسل السابقين؛ التي كانت كلها خوارق مادية وقتية محصورة في زمانها؛ وإعجاز القرآن شمل النص وبلاغته، والأحكام وصلاحيتها، والمعارف التي أكدتها التجارب اللاحقة، والتنبؤات التي صدقها الواقع، والمفاهيم والمبادئ التي تؤطر لعلاقات إنسانية تتجاوز الحدود العقدية والحواجز الإثنية وعقبات العصبية. عن الحارث الأعور قال: (مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على [علي] فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت نعم، قال: أما أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنها ستكون فتنة)) قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: ((كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما

بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن:1-2] من قال به صدق، من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى الصراط المستقيم)) خذها إليك يا أعور)[1]. وصدقت نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فالفتنة أحاطت بالمسلمين من كل الإتجاهات، ولا مخرج منها إلا بالرجوع لكتاب الله الذي أنزل من حكيم حميد، فلم تستطع النظريات البشرية أن تحل مشاكل الإنسانية حلاً جذرياً؛ لأنها صادرة من مخلوق محدود المعرفة، وأما القرآن فهو صادر من خالق الكون ومبدعه؛ فهو أعلم بما يصلحه، والبشر مهما بلغت مداركهم فإنهم عاجزون عن الإتيان بمثل القرآن، وقد طلب الله سبحانه وتعالى منهم أن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا، والتحدي قائم إلى قيام الساعة؛ بأن الجن والإنس لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. وأساليب القرآن في الإقناع تقوم على المقارنة والحجة والبرهان، وهو كلام الله الذي يؤجر من تلاه، ويهتدي من اتبع تعاليمه، وأهله هم أهل الله وخاصته قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٢ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٣٣ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر:32-35] والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد من بين الكتب المنزلة اتفق عليه جميع المؤمنين به، وأجمعوا بأنه كلام الله المنزل، ونصه محفوظ من أي تحريف، ومعارفه خالية من التناقض، وصدق الله حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر:9].

(1) أخرجه الدارمي في السنن (435/2).. والبغوي في شرح السنة (438/4).. والقرطبي في تفسيره (5/1)

ثانياً: رسالة الإسلام الخاتمة ليست حجراً على قوم دون غيرهم، وليست محصورة في زمان بعينه، أو مكان مخصوص، بل جاءت لكل الناس في كل العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك فهي تخاطب شعوباً مختلفة، وبيئات مختلفة، وقضايا مختلفة، ومن هنا تأتى عالمية الإسلام، وتاريخيا حقق الإسلام إعجازا كبيرا؛ ظهر في قدرته على إحداث التحولات الكبيرة في عالم البشر، فتعاليمه هي التي غيرت الطبيعة البدوية للعرب الذين كان من طبعهم العصبية القبلية وجلافة الأسلـوب، والإفتخار بالأنساب، والتعالي على الآخرين بصورة عبر عنها أبلغ تعبير عمرو بن كلثوم في معلقته التي جاء فيها:

ألا لا يجهلن أحـــد علينا فنجهل فـوق جهل الجاهلينا
ونـعـدو حيث لا يعدى علينا ونضرب بالمواسى من يلينا[1]

هذه النزعة غيّرها الإسلام وأحلّ محلها مفاهيم ومعاني جديدة عبّر عنها الشريف الرضي بقوله:

ملكت بحلمي فرصة ما اسْتَرَقَّها من الدهر مفتول الذراعين أغلب[2]
فإن تك سني مـا تطاول باعها فلي من وراء المجد قلب مدرب
فحسبى أنى في الأعادى مبغض وأنــى إلــى غر المعالي محبب
وللحلم أوقـات وللجهل مثلهـا ولكن أيامي إلـى الحلم أقرب
يصول علي الجاهلون وأعتلي ويعجم في القائلون وأعـرب[3]

لقد غيرت تعاليم الإسلام العرب وحولتهم من شعب بدوي إلى أمة تحمل الحضارة للإنسانية في عصر الإسلام الأول. والإسلام في نهجه الجديد لم يسقط كل القيم التي كانت سـائدة في المجتمع وإنمـا استصحب النـافع منها قال صلى

(1) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب تأليف السيد أحمد الهاشمى ص: (486) دار المعرفة بيروت لبنان
(2) استرقها: ملكها – الأغلب: الأسد
(3) ديوان الشريف الرضى المجلد الأول ص(107) شرح د. يوسف شكرى فرحات : دار الجيل بيروت الطبعة الأولى 1995

الله عليه وسلم: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[1] مما يؤكد أن للآخر قيماً يجوز استصحابها، فالعرب بالرغم من صفات الجاهلية السابقة التي عرفوا بها؛ إلا أنهم كانوا أهل كرم ونجدة وإباء، هذه الأخلاق احتفي بها الإسلام وحث عليها، كما أن فهم التعاليم والمبادئ الإسلامية ليس وقفاً على عصر بعينه، بل إن رسول الإسلام أمر بالإجتهاد وأقره، وسيرته العطرة أوضحت أنه كان يخاطب كل إنسان بالأسلوب الذي يفهمه، مراعياً اختلاف البيئات والعادات والتقاليد. وجذوة الإسلام لم تنطفئ؛ فعلى طول تاريخ الدعوة حدثت ثورات غيرت مجريات الأمور وكان المحرك الأساسي لها العامل الديني، فابن تيمية كان مجتهداً ومجاهداً، وصلاح الدين الأيوبي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعمر المختار، والشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، والإمام المهدي في السودان؛ وغيرهم من الرواد الذين نصروا الإسلام وجددوا وسائله لتلائم العصور والبيئات التي عاشوا فيها. واليوم فإننا نشهد صحوة دينية إسلامية في كل أرجاء المعمورة بالرغم من ضعف المسلمين في كثير من عوامل التفوق المادي والتقني والتكنولوجي؛ وهي عناصر التفوق في العصر الحديث، مما يؤكد أن هذا الدين محفوظ ومنصوروسوف ينتصرمرة أخرى بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:105].

ثالثاً: الإسلام ميز بين تعاليمه المعجزة كأحكام مقدسة؛ وبين تطبيق البشر لها كاجتهاد إنساني، فالقرآن نصه معجز وأحكامه صادرة من عزيزحكيم: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:50] والسنة الصحيحة جاءت تبين مجمله، وتخصص عامه، وتقيد مطلقه، وتميز بين محكمه ومتشابهه، فالتعاليم والأحكام المنزلة تمثل إعجازاً مقارنة بالتشريع الوضعي، لسبب بسيط فحواه أن من أنزل الكتاب وأرسل الرسل؛ هو الذي خلق الإنسان من عدم، فالخالق يعرف من خلق ويعلم مصلحته، ولكن التطبيق البشري لتلك الأحكام؛ لا يأخذ صفة القدسية ولا خاصية الإعجاز؛ فالإنسان تعتريه عوامل القصور البشري: مثل نقص الإدراك، وضعف النفس، وتحكم الهوى؛ فيأتي تطبيقه ناقصاً، فلا بد من التمييز بين

(1) رواه أحمد المصدر البداية والنهاية لابن كثير (38/ 4)

التعاليم المعجزة وبين التطبيق البشري لتلك التعاليم، فبقدر معرفة الإنسان لسنن الحياة، ونواميس الطبيعة، ودقة تطبيقها، والتزامه بالتعاليم الإسلامية؛ يكون عطاؤه رائعاً. وبقدر إخفاقه تكون النتيجة سلبية. قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:110] فإذا انتفي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وضعف الإيمان؛ انتفت الخيرية. وهنالك سنن تاريخية تحكم مجتمع المسلمين وهي لا تتخلف أبداً قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:7] ومفهوم المخالفة: أنكم إن لم تنصروا الله لن يتحقق لكم النصر وستزل أقدامكم، وهذا مشاهد في عصرنا الحاضر، وهكذا فكل إنجاز مرتبط بتوفر شروطه، فإن تخلفت الشروط كانت النتيجة سلبية، فمن أسباب ضعف الأمة الإسلامية تخليها عن عوامل الإستخلاف وموجباته، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:112] هذه الآية خير دليل على أن تراجع الأمة ناتج عن أعمالها، فالعدو الخارجي لا يفرض هيمنته ما لم يجد مدخلاً، وما أكثر المداخل التي تُؤْتَى الأمة من قِبَلِها: فالصراعات الداخلية أحد المداخل، وغياب العدل مدخل، وعدم إشباع الحاجات الضرورية مدخل، والتطرف مدخل، والإستبداد السياسي مدخل.. فما لم تغير الأمة ما بنفسها فلن يغير الله حالها.

رابعاً: مبادئ الإسلام العامة مقنعة بذاتها؛: فوضوح العقيدة، وتماسك المفاهيم التى لا تتناقض مع العقل السليم، والاستجابة للمطالب الفطرية للإنسان؛ كلها مبادئ مقنعة لأصحاب العقول السليمة. ووسائل الدعوة إليها تقوم على التدرج، والتيسير، والتبشير، وعدم الإكراه، وعدم الإساءة إلى معتقدات الآخرين، والحكمة والموعظة الحسنة، واللين، والرفق بالناس، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الناس وأنزل لهم الدين الذي ينظم حياتهم، وحدد الأسلوب الذي يدعون به، فلا يجوز لأي كائن من كان أن يغير ما أمر الله به. وبين الله في كتابه أن الإساءة لعقائد الآخرين تدفعهم للإساءة لديننا فنهي عن ذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:108] والمؤسف حقاً أن الإسلام اختطف أخيراً من خوارج العصر؛ فقدموه بأساليب قوامها: التطرف في الأفكار، والعنف في الأفعال، والإساءة في الأقوال، والجهالة في الأحوال، وقصر النظر في التصرفات، فجرُّوا على أمتنا وبالاً ودماراً وأصبحت مكان سخرية من الآخرين، وعندما تقع كارثة من الكوارث يلقون باللوم على المؤامرات الدولية! والمخططات الصهيونية! والأجندة الأمريكية! مغفلين العوامل الداخلية التي هي السبب الأول لما يحدث لنا، وبهذه الغفلة أوالإستغفال يظل العامل الداخلى ينتج الأزمات تلو الأزمات دون أن يلتفتوا إليه ويصوبون أعينهم نحو العدو الخارجي، الذي حدد سلفاً وهو في هذه الحالة الغرب: ـ- أوروبا وأمريكا- ـ فيعلنون الحرب على الدول وشعوبها دون استثناء، حتى المستأمنين الذين يدخلون بلداننا بتأشيرة دخول رسمية يكونون هدفاً للقتل؛ الذي يسمونه جهاداً! إنتحالاً لهذه الشعيرة المقدسة، من أناس لا تتوفر فيهم أهلية من يعلن الحرب، كما أن شروط الجهاد لا تنطبق على الممارسات التي يقومون بها، فحرب هؤلاء حرب معولمة تطال الجاني المُتَوَهَّم ومن ينتمي لدولته أو شعبه؛ في تعميم لا يتماشى مع المفهوم الإسلامي للجريمة، حيث يحصرها في مرتكبها ـ إن ثبت أنه الفاعل،ـ ومن حرّضه، ومن تواطأ معه. وتقتصر العقوبة على الجاني وحده سواء أكان مباشراً أو محرضاً أو متواطئاً؛ ولا تشمل أسرته ولا عشيرته؛ اللهم إلا في دية القتل الخطأ قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء:15] وعندما أساءت بعض الصحف الغربية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ثار المسلمون وعبّروا عن غضبهم التلقائي المفهوم؛ ـ الذي يعتبرالحسنة الوحيدة الباقية من مظاهر الوحدة الإسلامية ـ أي وحدة المشاعر ـ لكن الأجدى ـ بعد أن خفت الحدة؛ـ أن يأخذ علماء الأمة زمام المبادرة ليوصلوا دعوة الإسلام باسلوب هدفه هداية الآخرين لا هلاكهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور لا إغراقهم فيها، وإنقاذهم من حبائل الضلال لا تدميرهم، وتصحيح صورة الرسول صلى الله عليه وسلم التي شوهها المستشرقون وافتروا عليها ونقلوها للغرب كما يريدون هم وليس على حقيقتها التي أكدتها الوقائع التاريخية المثبتة، إن مخاطبة الشعوب الغربية وتوضيح حقائق الإسلام وتبيان

صفات رسول الله لهم واجب شرعي وضرورة عصرية لاستئصال الفهم المغلوط من أذهانهم؛ ليعلم الرأي العام في الغرب حقيقة هذا النبي الخاتم الذي جاء بالرحمة لا بالعذاب، وللسلم لا للحرب، ولتعمير الدنيا في سبيل الله لا لتخريبها ودمارها، قال صلى الله عليه وسلم: ((أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة))[1] بهذه الرحمة استمال قلوب الناس للإسلام وألف بينهم قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:159] وعالم اليوم ضاق حتى صار كالقرية الواحدة، وصاحب ذلك متغيرات كثيرة؛ جعلت العالم متداخلاً في كثيرمن علاقاته، والمسلمون الذين يعيشون في بلدان غير مسلمة؛ يزداد عددهم بشكل مطرد، كما يقيم عدد من أصحاب الديانات الأخرى في دول إسلامية كمواطنين؛ لهم كل الحقوق وعليهم كافة الواجبات، وثورة الإتصالات كمَّشت الزمان، وثورة المواصلات قرَّبت المكان، هذه المتغيرات أوجدت واقعاجديدا تشابكت فيه المصالح. مما يجعل الحوار ضرورة عصرية لفض الإشتباك الذي يحدث بسبب التعدد الديني والتنوع الثقافي في مجتمع مصالحه متشابكة، وباستعراض مسيرة الدعوة نجد أن الحوار هو الأصل وما عداه كان الإستثناء فالرسول صلى الله عليه وسلم بدأ دعوته بحوار مع أهل مكة عندما أمره ربه بإنذار عشيرته الأقربين، واستمر الحوار طيلة الفترة المكية، وفي المدينة حيث كان اليهود وهم أهل جدل استمر الحوار وتشعبت دروبه، وامتد من عهد رسول الله مروراً بعهد خلفائه الراشدين، ولما انتقلت عاصمة المسلمين للشام أولاً والعراق ثانياً؛ احتك المسلمون بقوميات كثيرة: فارسية وتركية وكردية وهندية وغيرها، واطلعوا على الأفكار اليونانية والنحل الفارسية والعقائد الشرقية: الهندية والصينية، ومن الطبيعى أن يكون الذين دخلوا الإسلام من هذه القوميات قد حملوا معهم أفكارهم فانتشر الجدل والمنطق، واستعمل عدد من العلماء أدوات الفلسفة والمنطق للدفاع عن العقيدة الإسلامية

(1) أخرجه ابن أبى شيبة في مصنفه (504/ 11) والبغوى في شرح السنة (213/ 13) والسيوطى في الجوامع (9631) والبيهقى في دلائل النبوة المصدر: موسوعة أصول الفكر إعداد خديجة النبراوى المجلد الثانى ص (697)

والرد على الشبهات التي تثار من وقت لآخر، هذا من شأنه أن يجعل الحوار هو السائد في تلك الفترة. (طلب بعض الملحدين المنكرين لوجود الله تعالى ووحدانيته؛ من الإمام الشافعي رضى الله عنه دليلا عقليا يثبت لهم به وجود الله تعالى ووحدانيته. ففكر الإمام الشافعي برهة ـ وكان يجلس تحت شجرة توت ـ فأتى بورقة منها وقال: أنا أثبت لكم بهذه الورقة وجود الله تعالى ووحدانيته، قالوا له كيف ذلك يا شافعي؟ قال رضى الله عنه: هذه الورقة طعمها واحد في شجرتها، ولونها واحد، وطبعها واحد، أليس كذلك؟ قالوا: بلى! قال: ورغم ذلك تأكلها الدودة؛ فتخرجها حريراً طرياً، وتأكلها الظباء والغزلان؛ فتخرجها مسكاً نديا، وتأكلها الأبقار والأغنام؛ فتخرجها لبناً صافياً، وتأكلها النحلة؛ فتخرجها عسلاً شهياً، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الأصل واحد؟ فاستحسن الناس كلام الشافعي رضي الله عنه، وأعجبوا بذكائه وفطنته، وأسلم كثير من الملحدين على يديه)[1] فوسائل الإدراك إن كانت عاجزة عن إدرك كنه كثير من حقائق الأشياء واكتفت بمظاهرها وهي مخلوقة؛ فهي أعجز عن الإحاطة بالخالق! ولذلك أمرنا أن نتفكر في مخلوقاته لا في ذاته. قال صلى الله عليه وسلم: ((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين))[2].

نحن اليوم أحوج من أي وقت مضى إلى أسلوب الحوار في التعامل مع الآخرين، فالظروف التي استجدت في حياتنا جعلت التداخل في علاقات الشعوب في العصر الحاضرغير مسبوق، والمصالح المشتركة لاسقف لها، وقبل هذا وذاك فإن ديننا يأمرنا بذلك.

2 ـ مشروعية الحوار في الإسلام:

إن خلود الدين الإسلامي، وصلاحيته لكل العصور والأمكنة وقدرته على التعاطي مع المستجدات؛ حقائق تؤكدها مبادؤه وتعاليمه ويصدقها الواقع، وهي

---

(1) مناظرات الأئمة: محمد عبدالملك الزغبى، المصدر موسوعة مناظرات الأذكياء ومحاورات البلغاء: سيد محمد عبدالفتاح (19/ 2)

(2) أسد الغابة لابن الأثير ص(25) موقع الوراق:www.alwaraq.net

مبادئ تؤصل للحوار لأنها تُرَبّي المسلم على ثبات العقيدة وحركة الحياة، ونسبية العلم البشري، والمبادئ الإسلامية إذا تأملناها جيداً نجدها تهدف إلى تأكيد أن الإسلام هو الدين الخاتم الذي استصحب أصول الرسالات السابقة، وطلب من المسلمين الإيمان بها، وبالرسل الذين جاءوا بها، وبالكتب المنزلة من قبل، كذلك هو يخاطب كل الناس دون استثناء ولا يفضل أحداً على أحد إلا بعطائه وتقواه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجر:13] والتعاليم الإسلامية لا ترفض العطاء الإنساني النافع؛ بل تستصحبه وتقره وتشيد به، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: لما أُتِيَ بسبايا طيء، وقفت جارية حمراء لعساء ذلفاء عيطاء شماء الأنف، معتدلة القامة والهامة، درماء الكعبين، خدلة الساقين، فلما رأيتها أعجبت بها، وقلت: لأطلبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعلها في فيئى، فلما تكلمت أنست جمالها، لما رأيت من فصاحتها، فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني وما تشمت بي أحياء العرب، فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله تعالى يحب مكارم الأخلاق)) فقام أبو بردة بن نيار فقال يا رسول الله، الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق))[1] هذه المبادئ تجعل الحوار أمراً مطلوباً ومفيداً فكل المتحاورين لو تأملوها لوجدوا فيها ما يلبي حاجاتهم، وما ذلك إلا لأنها ربانية المصدر، ولأنها تتضمن بعداً إنسانياً كما سنوضح في الآتي:

أولاً: العقيدة الإسلامية واضحة، ومبسطة، ومقنعة؛ فخالق الكون إله واحد قادر حكيم، خلق فسوى وقدّر فهدى، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور،

(1) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (424/ 3).. وابن كثير في البداية والنهاية (213/ 2).. والبهقي في دلائل النبوة (341/ 5)

وهو يقول لمن أشرك به أن يطلب من هذا الشريك المزعوم أن يأتي بمثل ما خلق، بل يبين له في تحد أن هذا المعبود الباطل ضعيف وعاجز عن استنقاذ ما يسلبه منه أضعف المخلوقات قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [الحج:73-74]. إن العقيدة الإسلامية تقوم على الإقتناع واليقين والثبات؛ لأنها تستند إلى برهان وحجة، وعطاء الله سبحانه وتعالى مطلق لا حدود له ولا نفاد، قال رب العزة في الحديث القدسي الجليل: {{يـاعبادى إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يـا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يـا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يـا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يـا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه}}[1] وقدرة الله سبحانة وتعالى غير متناهية ولا تخضع للمقاييس الزمانية ولا المكانية ولا يحول بينها وبين التنفيذ حائل فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول للشيئ كن فيكون قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [لقمان:27-28] وعقيدة الإسلام لا تعرف الغموض كما هو نهج بعض

(1) رواه مسلم في صحيحه (2577) في كتاب البروالصلة والآداب: باب تحريم الظلم ص(1284) مكتبة الإيمان - القاهرة

العقائد التي تقول: «أغمض عينيك ثم اتبعني» ولا تعرف التعقيد الذي اتبعته بعض النحل الوضعية، فعقيدة الإسلام سهلة الفهم، وتتماشى مع الفطرة البشرية، فأصل التوحيد الشهادتان تتضمنه سورة الإخلاص مع معرفة معانيها تكفي، بهذا الوضوح وعدم التعقيد استطاعت العقيدة الإسلامية أن تتغلغل في النفوس وتحقق للذين آمنوا بها الطمأنينة والتماسك والتوازن النفسي، وتعطيهم عزيمة قوية يواجهون بها الرياح العواصف وعندما اختلط الإيمان بلحمهم ودمهم ومخهم وعظمهم؛ هانت عليهم الدنيا وقابلوا ابتلاءاتها بصبر وجلد، وتوجهوا إلى ربهم متضرعين يقولون: (واجعلنا ممن آثر التقوى والوفاق والصبرعلى الشدائد والمشاق رغبة في دوام القرب والتلاقي وقوّ نورنا ليهون علينا ذلك، واجعل لنا قوة منك على تحمل ما يرضيك)[1].

ثانياً: الإنسان هو المخلوق المكلف بأمر الإستخلاف في الأرض؛ ولذلك كرمه الله وفضله على كثير من خلقه وجاءت تعاليم الإسلام محققة لمصالحه وملائمة لفطرته ومتفهمة لمشاعره ومراعية لمؤثراته وعوامل ضعفه، فالخطأ يتجاوز، والحسنات يذهبن السيئات، والتوبة النصوح تجب ما قبلها، والإستغفار يرفع العذاب، ورحمة الله سبقت غضبه، والحسنة بعشرة أمثالها وتزيد، والسيئة بمثلها وتغفر، فالإنسان هو المحور الذي تدور حوله الأحكام وفي النهاية فإن مقصدها الأسمى تكريمه في الدنيا وفلاحه في الآخرة. ولا يوجد مخلوق وجد تكريماً من الله سبحانه وتعالى كما وجده الإنسان، فالملائكة أمروا بالسجود له، وكلف بالإستخلاف في الأرض وسخر الكون لخدمته، ونزل التشريع لمصلحته، والكعبة المشرفة مع عظمتها وحرمتها ومكانتها الروحية وقف عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها: ((ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه وأن يظن به إلا خيراً))[2].

فمن ثوابت الإسـلام تكريم الإنسان وكفالة حقوقه وحرياته، والتكريم في الإسلام ليس خاصاً بشعب أو عرق أو ملة بل هو تكريم عام لجنس الإنسان دون التفات إلى لونه أو جنسه أو معتقده، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ

(1) الراتب: كتاب أدعية مأثورة جمعها الإمام المهدى

(2) أخرجه ابن ماجة في السنن (3932).. والسيوطي في الدر المنثور (565/ 7)

فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ [الإسراء:70] عن عمر رضي الله عنه قال: (جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً مع بلال وعمار وصهيب وخباب بن الأرت في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حقروهم، فأتوا فخلوا به، فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، وإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: ((نعم)) قالوا: فاكتب لنا كتاباً، فدعا بالصحيفة ليكتب لهم ودعا علياً ليكتب، فلما أراد ذلك ونحن قعود في ناحية إذ نزل عليه جبريل فقال: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:[الأنعام:52]])[1]. هذا النهج الذي اختطه الإسلام جعل كثيراً من الشعوب المستضعفة والشرائح المظلومة اجتماعياً تندفع بقوة للدخول فيه لتحقق إنسانيتها كما أنه أعطى المسلمين القدرة على التواصل مع أهل الملل الأخرى والتعاون معهم في البر والخير وبالمقارنة نجد اليهودية تميز بني إسرائيل على غيرهم وتعطيهم حق الإستعلاء على الآخرين بل واستعبادهم وأكل أموالهم ظلماً وعدوانا. (فاليهودية التلمودية قد تحولت إلى «ديانة عنصرية» يقول لها: «عهدها القديم» إن اليهود ـ بحكم الولادة والعرق والدم والجنس.. وليس بحكم التدين والصلاح والتقوى ـ هم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحباؤه! يقول لهم: عهدهم القديم هذا إن علاقتهم بالآخرين ـ كل الآخرين ـ ليست فقط الكراهية واللعن والإنكار، بل المطلـوب منهم «أن يأكلوا» الشعوب الأخرى أكلاً!.. فإبادة الآخرين ـ عندهم ـ تكليف إلهي: ((..والآن اقتل كل ذكر بين الصغار، وكل امرأة عرفت رجلاً ضاجعها))[2] ((لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.. مباركاً تكون فوق جميع الشعوب.. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تشفق عيناك عليهم))[3])[4]. وقد أكد القرآن هذا النهج اليهودي قال تعالى: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ

(1) أخرجه السيوطي في جامع الأصول (616).. والقرطبي في تفسيره (6/ 431)
(2) سفر الأعداد: 17:31
(3) سفرالتثنية. إصحاح 6:7، 7، 14 ـ 16
(4) محمد عمارة: الغرب والإسلام، أين الخطأ وأين الصواب ص (28)

﴿قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:75] وهذا ما جعلهم منبوذين في معظم البلدان لأنهم لا يستطيعون التكيف مع غيرهم بسبب إعتقادهم الإستعلائي وأسلوبهم الإستعدائي وسخريتهم من الآخرين. والنصرانية تعتبر الناس أنجاساً بسبب الخطيئة الموروثة التي ارتكبها آدم عليه السلام ولا يطهر منهم من رجس الخطيئة إلا من آمن بفداء السيد المسيح، وكثير من النِّحل الوضعية لديها مفاهيم تقيدها عن الإعتراف بقيمة للآخر بل تقوم على مفاهيم تطرد الإنسان طرداً من الإعتقاد الديني مثل: عقيدة شعب الله المختارعند اليهود، وزعم اليهود والنصارى بأنهم أبناء الله وأحباؤه، ومفهوم التثليث والقول بطبيعة إنسانية الهية للسيد المسيح والقول بالخطيئة الموروثة في عقيدة المسيحيين، وعقيدة الجهل أساس المعرفة كما تقول بعض النحل الشرقية القديمة إلى غيرها من المفاهيم التي لا يقبلها العقل السليم.

إن تعاليم الإسلام ترفض هذه المفاهيم التي تنتقص من قدر الإنسان وتحط من كرامته، فالإنسان في الإسلام مكرم كإنسان خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً والتكريم مكفول له على طول مسيرته، فالحمل يجب أن يكون حملاً شرعياً من زواج صحيح، ولا يجوز إسقاط الجنين من بطن أمه دون سبب شرعي أو صحي يتعلق بحياة الأم، وبعد الميلاد يسمى إسماً حسناً ويتمتع بحقوق الطفولة: الرضاعة والعناية والرعاية والصحة والتعليم والعيش في ظل أسرة تعطيه الحنان وتشمله بالمحبة والرعاية حتى يبلغ رشده ويتحمل مسئولياته، وكرامته مصانة فلا يهتك عرضه، ولا يقذف ولا يساء إليه ولا يؤذى بأي نوع من أنواع الأذى، وحرم الإسلام الغيبة والنميمة والسخرية والتجسس وإلحاق الضرر بالغير بل حتى الظن السيئ يتجنب الكثير منه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات:11-12] وفي ظل الإسلام وجد الآخر حقوقاً متساوية مع المسلمين، كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ـ عامله على مصر

ـ كتاباً جاء فيه (.. واعلم يا عمرو أن الله يراك ويرى عملك فإنه قال تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:74] يريد أن يقتدي بهم، وأن معك أهل ذمة وعهد وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم به وأوصى بالقبط، فقال: ((استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً)) ورحمهم أن أم إسماعيل منهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة))[1] احذر يا عمرو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لك خصماً فإنه من خاصمه خصمه، والله يا عمرو لقد ابتليت بولاية هذه الأمة وآنست من نفسي ضعفاً، وانتشرت رعيتي ورق عظمي، فاسأل الله أن يقبضني إليه غير مفرط، والله إني لأخشى لو مات جمل بأقصى عملك ضياعاً أن أسأل عنه يوم القيامة)[2] وأشاد الإسلام بالعقل ودوره وجعله شرطاً في التكليف، والمسلم مطالب أن يعمل عقله في فهم النصوص الإسلامية، وفي التفكر في الكون وما أودع فيه من قوانين وسنن، وفي المقارنة بين الحقائق والأشياء لفهم سر هذا الوجود وتسخير منافعه لتحقيق وظيفة الإستخلاف قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:164] لقد تناولت هذه الآية الكريمة الكون بسمائه وأرضه والآيات المبثوثة فيه، لافتة العقول للتفكر والتدبر والإعتبار، فاستنتاجات العقول هي محل اعتبار في الإسلام وتعطيل العقول ممقوت بل اعتبر سبباً في دخول النار: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:10] كذلك فإن كتاب الإسلام المقروء لا يتناقض مع الكتاب الكوني بكل فصوله: الفلكية والطبيعية والأحيائية والإنسان مطالب أن يقرأ الكتابين ليقف على الحقائق فيؤمن على يقين ويكتشف سنن الموجودات وقوانينها فيوظفها لمصالحه، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ

(1) أخرجه أبوداود في السنن (3052) وفي روايته زيادة [..أو انتقصه أوكلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغيرطيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة]

(2) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (299/ 3)

نَطِقُونَ﴾ [الـذاريـات:20-23] وأكد البحث الذي قدّمه موريس بوكاي بعنوان «الإنجيل والقرآن والعلم» أن القرآن لا يتناقض مع الحقائق العلمية بينما الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد مليئاً بما يناقض الحقائق العلمية المثبتة.

لقد أقر الإسلام بكل مصادر المعرفة: الروحية والعقلية والتجريبية، وتعاليمه لا تتصادم مع العطاء الإنساني المفيد بل إن عطاء الإنسان جزء من قدر الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11] فالإسلام هو الدين الذي تعترف تعاليمة بقيمة إنسانية للإنسان وإن خالفه في المعتقد ولا شك أن الدين الذي يحترم الإنسان لإنسانيته أولى بالخلود.

ثالثاً: من خصائص التعاليم الإسلامية المرونة والإعتدال ومراعاة البيئة التي تطبق فيها. هذه الخاصية جعلت الإسلام قادراً على التكيف مع القضايا المختلفة مهما تعددت بيئاتها وتنوعت، ومهما اختلفت أماكنها وأزمانها وتباينت، والتجربة تؤكد أن العرب، والأتراك، والفرس، والهنود، والروم، والأفارقة؛ حققوا أعظم عطائهم في ظل الإسلام، ولم يتحرج المسلمون من الإقتباس من تجارب غيرهم؛ لأن دينهم يرحب باستصحاب النافع من عطاء الإنسانية وإن اختلف معها في المعتقد، فعندما أشار سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة لصد عدوان الأحزاب المتحالفة؛ أمر رسول الله بحفره ولم يرفضه باعتباره تجربة فارسية، والخليفة عمر بن الخطاب أمر بتدوين الدواوين؛ اقتباساً من تجربة الروم، فعندما كانت هذه المفاهيم هادية في المجتمع الإسلامي تفتقت عقول علماء الإسلام؛ فرفدوا الإنسانية بكل فنون المعرفة: في الطب، والكيمياء، والصيدلة، والفيزياء، والفلسفة، والفن المعماري، وعلم العقائد، والأديان المقارنة، والجغرافيا، والفلك، والصناعة، وغيرها؛ من العلوم التي بنت عليها الحضارات اللاحقة صرحها.

لقد ظلم بعض الدعاة الإسلام؛ عندما علبوه في الماضي، وجعلوا اجتهاد السابقين ملزماً! بحجة أن باب الإجتهاد قد أغلق. هذا النهج يحصر الإسلام في حقبة تاريخية معينة؛ ويعطل دور الخلَف وهذا يتناقض مع قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:134] فالإسلام

جاء لكل الناس، وكما خاطب القرآن السلف فهو يخاطب الخلف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومطلوب منا أن نجتهد كما اجتهدوا وأن نفهم أن العطاء الإسلامي متجدد والقرآن هو كتاب الله لكل الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فواجب كل مكلف أن يجتهد ليعرف حكم الله من كتابه وسنة نبيه الصحيحة لا من كلام البشر، وطبعاً هنالك ثوابت ليست محل اختلاف وإنما الكلام عن القضايا الإجتهادية فبالمرونة والإعتدال والإجتهاد تتحقق عالمية الإسلام ويتجدد عطاؤه الذي لا ينضب: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [ابراهيم:24-25].

رابعاً: التجارب التاريخية عند الآخرين، والممارسات المغالية من بعض المسلمين شوهت صورة الأديان فالتحالف الآثم بين الكنيسة وبين الحكام في أوروبا القديمة، وادعاء الكنيسة احتكار المعرفة، ووقوفها ضد العلم التجريبي، وتحريمها للمادة؛ أدى إلى طرد الإنسان المعاصر طرداً من الإعتقاد الديني في الغرب، والتجربة الصهيونية الحديثة قائمة على مفاهيم دينية بموجبها تدعي حق العودة لأرض الميعاد في فلسطين، وكذلك فإن الفهم الخاطئ للإسلام عند بعض الناس، وحماقات الجماعات الإسلامية المتشددة، هذه العوامل جعلت كثيراً من الناس يعتقدون أن الدين ينشر التخلف، ويكرس النظم الإجتماعية البالية، ويعادي العلم والتطور، هذه المفاهيم غذتها التجارب المذكورة، وقد تكون تعاليم بعض الأديان تؤكدها، ولكن حقائق الإسلام ترفض هذا الإطلاق: فالإسلام ثوابته معروفة؛ محصورة في العقائد والعبادات والأخلاق، وتحكمها قاعدة قطعيات الورود والدلالة من النصوص، والدين الإسلامي أهتم بعالمي الغيب والشهادة، واعترف بالمطالب الفطرية العشرة للإنسان: الروحية، والمادية، والعقلية، والمعرفية، والخلقية، والإجتماعية، والعاطفية، والذوقية، والرياضية، والبيئية. والإسلام لا يقدس نظماً إجتماعية معينة، وليس لديه شكلاً معيناً ملزماً للحكم؛ وإنما هنالك مبادئ سياسية تحدد شرعية الحكم في الإسلام من عدمها، ولا يعرف الإسلام مصطلح رجال الدين، وإنما هناك علماء للدين كغيرهم من علماء الفنون الأخرى، ولا قدسية لاجتهاد فقيه أو عالم.

والإسلام هو الرسالة الخاتمة التي اشتملت على أصول الرسالات السابقة وتفوقت عليها بالختام والعموم وصلاحية التطبيق في كل زمان ومكان، ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال: قال صلى الله عليه وسلم: ((أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة))[1] والإسلام يقوم على مبادئ وأحكام ومقاصد، وغالباً ما يهمل الناس المقاصد ولذلك تكون النتيجة سلبية بالرغم من مشروعية المقدمات وسلامة المواقف وصحة الأعمال.

خامساً: المقاصد في الإسلام مرتبطة بالنصوص، فهي تراعي عند إصدار الأحكام فكتاب الإسلام المقدس هو القرآن الكريم والسنة النبوية جاءت مفسرة ومبينة لما أجمل في القرآن وهو كتاب فيه نصوص محكمة ونصوص متشابهة لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا و أهل البصيرة هم المتذكرون، وأما المتعجلون فيتبعون المتشابهات ويضلون بها الناس. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:7] فالنصوص تحتاج إلى معايير توضح مدلولاتها، وموازين ترجح معانيها، وضوابط لاستنباط أحكامها ولأجل ذلك ربطت بالمقاصد حتى لا يتعامل الناس مع النصوص مغفلين مآلاتها فتؤدي إلى فساد في الفهم والمعتقد. يقول عبد الله دراز: (هذه الشريعة المعصومة ليست تكاليفها موضوعة حيثما اتفق، لمجرد إدخال الناس تحت سلطة الدين. بل وضعت لتحقيق مقاصد الشارع في قيام مصالحهم في الدين والدنيا معاً. وروعي في كل حكم منها: إما حفظ شئ من الضروريات الخمسة: «الدين والنفس والعقل والنسل والمال» التي هي أسس العمران المرعية

(1) متفق عليه رواه البخارى في صحيحه (335) في كتاب التيمم، و رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (521) صحيح مسلم ص(241) مكتبة الإيمان واللفظ لمسلم

في كل ملة والتي لولاها لم تجرمصالح الدنيا على استقامة، ولفاتت النجاة في الآخرة، وإما حفظ شئ من الحاجيات، كأنواع المعاملات التي لولا ورودها على الضروريات؛ لوقع الناس في الضيق والحرج، وإما حفظ شئ من التحسينات، التي ترجع إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، وإما تكميل نوع من الأنـواع الثلاثة بما يعين على تحقيقه. ولا يخلو باب من أبـواب الفقه ـ عبادات ومعاملات وجنايات وغيرها ـ من رعاية هذه المصالح، وتحقيق هذه المقاصد، التي لم توضع الأحكام إلا لتحقيقها)[1] وكما نلاحظ فالمقاصد راعت مصلحة الإنسان، ومن هنا يتضح أن التشريع الإسلامي معظمه يتعلق بالإنسان حماية له وصوناً لمصالحه وكفالة لحقوقه، فأي تصرف يؤدي إلى إهدار تلك المصالح والحقوق فهو باطل وإن دعم بالنصوص، وقد صاغ علماء الأصول قواعد كلية للتشريع الاسلامى منها: حرمة الأبدان مقدمة على حرمة الأديان، والمشقة تجلب التيسير، وعلى أساسها فهموا الحكمة من التشريع وهذه الأمثلة توضح ذلك:

- حرم الله الميتة، ولكن إذا جاع الإنسان ولم يجد الا الميتة أباح الله له الأكل منها حفظا لحياته وحمـاية لنفسه من الهلاك.. قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:145].

- أمر الله سبحانه وتعالى المؤمن بالوضوء إذا قام إلى الصلاة، والغسل إن كان جنباً، ولكن إذا كان الماء يحدث له مرضاً، أو يزيد مرضه، أو يؤخر شفاءه، أو محتاج إليه للشرب ولغيره فقد أباح الإسلام له أن ينتقل إلى التيمم حماية لنفسه من الضرر قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم

(1) عبد الله دراز: في شرحه لكتاب الموافقات في أصول الشريعة، لأبي اسحاق الشاطبي (ج1 ص 5 ـ 6) المكتبة التوفيقية

مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [المائدة:6].

- إذا اختنق الإنسان وليس أمامه إلا الخمر أبيح له أن يأخذ منها ما يزيل الاختناق فحفظ الحياة مقدم على غيره؛ لأن بفواتها تتعطل المصالح الدينية والدنيوية.

فالمقاصد تعتبر من القضايا المهمة في الدين الإسلامي، وقد روعيت في فتاوى ومواقف الفقهاء المحققين، فالخليفة عمر بن الخطاب راعى المقصد من التشريع عندما منع المؤلفة قلوبهم من سهمهم في الزكاة؛ لأن الغرض من تشريعه قد زال في ذلك الوقت، وعندما رفض توزيع سواد العراق على المجاهدين كان يراعي مصلحة الأجيال اللاحقة، وعلي بن أبي طالب انتقل من القصاص إلى الدية في حكم القتل؛ مراعياً المقصد الكلي فى حفظ الحياة فانقاذ نفس واحدة كأنه إنقاذ للناس جميعاً، وسبب ذلك أن أحد الناس قتل نفسا واختفى من مسرح الجريمة، وقبض على شخص آخرتشير قرائن الأحوال إلى أنه القاتل. فلما حكم «علي» بقتله [وهو بريء] ظهر القاتل الحقيقي منقذاً المتهم البريء فعفى علي عن القاتل وأخرج الدية من بيت المال. روى ابن القيم في كتابه الطرق الحكمية الآتي: (ومن قضايا علي رضي الله عنه: أنه أُتِيَ برجل وُجِد في خربة بيده سكين متلطخ بدم، وبين يديه قتيل يتشحط في دمه، فسأله فقال: أنا قتلته. قال: اذهبوا به فاقتلوه؛ فلما ذهبوا به أقبل رجل مسرعاً؛ فقال: يا قوم، لا تعجلوا، ردوه إلى علي، فردوه؛ فقال الرجل: يا أميرالمؤمنين، ما هذا صاحبه، أنا قتلته؛ قال علي للأول: ما حملك على أن قلت: أنا قاتله ولم تقتله؛ قال: يا أمير المؤمنين، وما أستطيع أن أصنع؟ وقد وقف العسس على الرجل يتشحط في دمه، وأنا واقف، وفي يدى سكين، وفيها أثر الدم، وقد أُخِذْت في خربة، فخفت أن لا يُقبل مني، وأن يكون قسامة، فاعترفت بما لم أصنع واحتسبت نفسي عند الله، فقال علي: بئسما صنعت، فكيف كان حديثك؟ قال: إني رجل قصاب [جزار] خرجت إلى حانوتي في الغلس، فذبحت بقرة وسلختها، فبينما أنا أصلحها والسكين في يدي؛ أخذنى البول، فأتيت خربة كانت بقربي فدخلتها، فقضيت حاجتي، وعدت أريد حانوتي، فإذا أنا بهذا المقتول يتشحط في دمه، فراعني أمره، فوقفت أنظر إليه والسكين في يدي، فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا عليَّ،

فقال الناس: هذا قتل هذا، ماله قاتل سواه، فأيقنت أنك لا تترك قولهم لقولي، فاعترفت بما لم أجنه، فقال علي للمُقِر الثاني: فأنت كيف كانت قصتك؟ فقال: أغواني إبليس فقتلت الرجل طمعاً في ماله، ثم سمعت حس العسس، فخرجت من الخربة واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصف، فاستترت منه ببعض الخربة حتى أتى العسس، فأخذوه وأتوك به: فلما أمرت بقتله علمت أني سأبوء بدمه أيضاً، فاعترفت بالحق. فقال للحسن: ما الحكم في هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن كان قد قتل نفساً فقد أحيا نفساً. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:32] فخلى علي عنهما، وأخرج دية القتيل من بيت المال)[1] ففي هذه الحادثة اعتبر أن إنقاذ نفس بريئة من القتل سبباً وجيهاً لتجاوز حكم القتل العمد! بالرغم من إعتراف القاتل، لكنه بتصرفه هذا قد أنقذ حياة إنسان؛ فكأنه أحيا الناس جميعاً كما نصت الآية! وعلماء المذاهب استصحبوا المقاصد في أصول مذاهبهم وفي فتاواهم، وقد قال العلماء القدماء والمحدثون: إن المقاصد الضرورية التي يحافظ عليها الإسلام هي المقاصد الخمسة السابق ذكرها. وقد اختلف الفقهاء حول ترتيبها فمنهم من قدم الدين على النفس، ومنهم من قدم العقل على الدين، ومنهم من قدم النفس على الدين.. ومن المعاصرين نجد أن الدكتور علي جمعة المفتي العام لجمهورية مصر العربية؛ له رؤية حول هذا الموضوع تساهم في ترسيخ ثقافة قبول التعدد الديني، وهي قائمة على تأصيل مقنع؛ يجعل المسلم يتعامل مع الآخر الديني دون حرج؛ بل يبتغي بما يقوم به وجه الله؛ لأنه يقف موقفاً يؤجر عليه، يقول الدكتور علي جمعة: (.. وترتيبي الخاص للمقاصد ـ وهو: ترتيب مخالف للشاطبي ـ هو: النفس، العقل، الدين، كرامة الإنسان، المال..

- ومقصدي من هذا: هو قبول التعددية بصفة معينة في المجتمع المسلم.
- ومقصدي من هذا: هو تحويل المقاصد إلى نظام عام.
- ومقصدي من هذا: هو بعث محاولة التفكير.

والمقاصد الخمسة كلها موصلة إلى بعضها البعض في المستوى الثاني،

(1) ابن القيم: الطرق الحكمية ص (56 ـ 57)

وهنالك علاقات بينية بين هذه المقاصد الخمس، وهو مستوى الظاهرة، فقد يسمح بقبول المسيحيين في المجتمع وإدراجهم تحت الحضارة الإسلامية وليس تحت الدين الإسلامي، فهناك ترتيب يرى أن الدين هو المقصد الأول والدين هنا هو الدين الإسلامي، وأنا أرى أن الدين ليس فقط الدين الإسلامي، ولذلك وضعت الدين في المرتبة الثالثة؛ لأن الأولوية هي للحفاظ على الإنسان كإنسان، ثم الحفاظ على عقله الذي هو مناط التكليف، ثم أحافظ على دينه -أي دين- والإسلام هو الخمسة مقاصد وليس فقط أن يكون المقصد الأول، فوضع الدين كمقصد أول هو خطأ منهاجي ولذلك قدمت النفس والعقل ووضعت الدين في المرتبة الثالثة وأطلقت معنـاه، ثم أطلقت الإسلام ليشمل المقاصد الخمس كلها بحيث نقبل بذلك التعددية. والمهم هو الإجتهاد والتفكير، لأن الأمة قد غفلت لقرون طويلة واعتادت على عدم التفكير، وعلى عدم قبول أي رأي جديد، وعلى القلق من أي اجتهاد جديد، والمطلوب هو التفكير بلا خوف)[1] ويمضى الدكتور علي جمعة مستعرضـاً مكونات العقل المسلـم فيقول: (أن العقل المسلم قد ترسخت فيه مجموعة من المبادئ التي يمكن أن نطلق عليها ((المبادئ القرآنية)) والتي يمكن أن نوسعها إذا ما أضفنا السنة إلى القرآن؛ فنطلق عليها المبادئ الإسلامية، ويؤكد أنه بعد البحث الأكاديمي وجدنا أن في القرآن نحو خمسين مبدءا، منها: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:164] ونعني بالمبدأ أنه ليس حكماً شرعياً مثل: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسـراء:78] فـ ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ حكم شرعي، وإيتاء الزكاة حكم شرعي، وصيام رمضان حكم شرعي، وهكذا فالحكم الشرعي وصف للفعل البشري، والفعل البشري هو موضوع علم الفقه، وأوصافه خمسة: (واجب ـ حرام ـ مندوب ـ مكروه ـ مباح) نصف بها أي فعل يصدر من البشر، هذا فقه وهذه أحكام، وقد اشتمل القرآن واشتملت السنة على أحكام افعل ولا تفعل في مجملها. فالعقل المسلم تكونه المبادئ الإسلامية مثل: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ [المائدة:95] و﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ

(1) (خصائص الثقافة العربية والإسلامية ص (50) الطبعة الآولى 2006 دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ش.م.م القاهرة

تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:179] والمقاصد الكلية: وهي الخمسة المذكورة، والقواعد الكلية مثل: (لا ضرر ولا ضرار) وقولهم: (المشقة تجلب التيسير) والسنن الإلهية: كسنة التدافع قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة:251] وسنة التعارف وسنة التكامل وسنة التوازن)[1].

وخلاصة القول في هذا الفصل: أن الكتاب والسنة مصدرا التشريع في الإسلام يتضمنان تشريعاً صريحاً للحوار في كل مجالاته ومع جميع الجهات، فإذا دُرِسا بتعمق فإن الدارس سيتبين الأهمية التي أولاها الإسلام للحوار. وبدراسة السيرة سيتبين الباحث كيف أن هذا الموضوع قد تجسد في أرض الواقع؛ خاصة في عهد رسول الله وخلفائه الراشدين؛ ذلك العصر الذي يعتبرعصرالإسلام الذهبي بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ومكونات العقل المسلم لها دور أساسى فى ترسيخ التسامح وقبول الآخر، إن اهمال المقاصد الشرعية والقواعد الكلية والمبادئ الاسلامية يوقع أصحابه فى لبس وخطإ منهجى؛ تجلت آثاره فى كثير من التصرفات التى أضرت وتضر بدعوة الاسلام..

(1) (راجع المرجع السابق من خصائص الثقافة العربية والإسلامية ص (25 ـ 29)

الفصل الثالث:

الحوار الداخلي

- **تمهيد**
- **المبحث الأول**: طبيعة الإختلاف داخل ملة الإسلام
- **المبحث الثاني**: ضرورة الحوار داخل الملة

تمهيـد:

الحوار مع الآخر لا يأتي بنتيجة إيجابية ما لم يسبقه حوار داخلي يؤدي إلى توحيد خطاب الأمة في مواجهة الآخر، لأن أي حوار تقوم به فئة من الناس قبل هذا الحوار الداخلي ستفسده فئة أخرى بالمفاهيم التي تطرحها والمواقف التي تتخذها، مما يؤدي إلى فقدان الثقة في الطرف المحاور من قبل الآخر، ويواجه بالأفكاروالمفاهيم المناقضة لما يقول، والتي تتبناها جماعات تنتمي إلى ملة الإسـلام، عليه ينبغي أن يسبق حوار الداخلي أي حوار مع الآخر للإعتبارات المذكورة. والحوار الداخلي يتطلب خطوة تمهيدية تتمثل في تكييف موضوع الخلاف داخل الملة وتحديد طبيعته فبتحقيق ذلك ينفتح الباب لحوار داخلي يهيئ لحوار مع الآخر.

لقد هيمنت على الأمة مفاهيم تضخم من الخلافات داخل الملة، وتخرجها من مجال الإجتهاد المأجور صاحبه في الحالتين - إن أخطأ وإن أصـاب - إلى مجال الخلاف بين حق وباطل، وبين هدى وضلال، وأُوِّلت نصوص كثيرة تأويلاً يعمق الخلاف بين الأمة ويغير طبيعته، وفُسِّرت نصوص السنة التي تحدثت عن إختلاف الأمم؛ تفسيراً حصر معنى الأمة في المسلمين وحدهم؛ مع أن كلمة الأمة تحتمل بعداً أوسع يدخل فيه كل الذين عاشوا في عصر الرسالة الخاتمة باعتبارهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويتوزعون بين أمة البلاغ وأمة الإجابة، بهذا الفهم الواسع نستطيع إدراك معنى الأحاديث التي تناولت موضوع الإختلاف الذي سيعتري الأمة وتكون الناجية فرقة واحدة والباقـون هلكى، ولكي ينجح الحوار الداخلي؛ ينبغي أن نحدد أولاً طبيعة الإختلاف داخل الملة والعوامل المؤدية إليه حتى يُحصر في إطاره.

المبحث الأول:

طبيعة الإختلاف داخل ملة الإسلام

الخلاف والإختلاف بمعنى واحد هو المغايرة ومترادفاتها. وهنالك نوعان من الإختلاف هما: اختلاف التنوع، واختلاف التصادم. اختلاف التنوع محمود؛ لأنه يقوم على التخصص والتكامل؛ منطلقاً من مرجعية واحدة هادفاً لتحقيق غاية واحدة. وأقرب مثل لإختلاف التنوع نجده في اختلاف وظائف الأعضاء في الجسد الواحد، فالعينان للنظر، والأذنان للسمع، والانف للشم، واللسان للتذوق، واليدان للبطش، والرجلان للسعي، وكلها تعمل في تكامل لخدمة صاحبها، وتحقيق مصلحته؛ بل اذا تعطلت وظيفة أي عضو اختل البناء الإنساني. ومن أمثلة إختلاف التنوع في الإسلام؛ إختلاف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حول التعامل مع أسرى بدر: فأبو بكر دعا للعفو وعمر دعا لقتلهم.

أما اختلاف التصادم فهو مذموم؛ لأنه يتحول الى نزعة اقصائية متعصبة وحاقدة لا يرى صاحبها الحق إلا ما وافق هواه. ويحصل النزاع والشقاق؛ مما يؤدى إلى إضعاف الأمة وذهاب ريحها كما أوضح القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال:46].

العوامل الموضوعية للإختلاف:

الإنسان خلق حراً ذا إرادة، وهذه الحرية تعطيه القدرة على الإختيار بين البدائل، فالقرآن يشير إلى أن الإختلاف بين الناس وراؤه حكمة إلهية؛ باعتبار أن الله سبحانه وتعالى منزه عن العبث في أفعاله قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ

جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود:118-123].

والإختلاف الذي حدث ويحدث داخل ملة الإسلام هنالك اسباب موضوعية تجعله مبرراً بل وضرورياً في بعض الأحيان، لأن الشعوب التي يخاطبها دين الإسلام شعوب مختلفة العادات والطبائع والأعراف والتقاليد، وعالمية الإسلام تعني مخاطبته لكل العالمين، وهم يعيشون في بيئات مختلفة، وأحوال مختلفة، وأزمان متعاقبة، فلا بد للدين الخاتم أن يستجيب لهذا الإختلاف وهذا التنوع. فهذه الإستجابة من شروط عالمية الدين وخلوده. والعوامل التي تجعل الإختلاف الإجتهادي في داخل الملة واقعاً حتمياً ومشروعاً؛ كثيرة أذكر منها الآتي:

أولاً: اللغة:

مصدر التشريع الأول في الإسلام؛ هو القرآن الكريم وقد نزل باللغة العربية الفصيحة، والعربية حبلى بالمعاني؛ فقد تحمل الكلمة الواحدة أكثر من معنى، وتعدد المعاني يؤدى لاختلاف الأحكام، ورد في القرآن الكريم حكم عدة المطلقة؛ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:228] القروء: جمع قرء، والقرء له معنيان: فالقرء بمعنى الحيض، والقرء بمعنى الطهر من الحيض. فمن أخذ القرء بمعنى الحيض أفتى بأن المرأة المطلقة تخرج من عدتها بمجرد دخولها في الحيضة الثالثة. ومن أخذ القرء بمعنى الطهر من الحيض فالحكم عنده أن المرأة المطلقة لا تخرج من عدتها الا بعد طهرها من الحيضة الثالثة. فهنا نجد أن اختلاف الحكم راجع الى تعدد المعنى في اللغة.

ثانياً: اختلاف القراءات:

القرآن نزل على سبعة أحرف؛ أي أن صيغ المفردات اللغوية واللهجات داخل

اللغة العربية التي نزل بها القرآن؛ سبع. وعلى هذا الأساس جاء اختلاف القراءات. فمثلاً جاء في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾ [المائدة:6] قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص ((وأرجلَكم)) بفتح اللام عطفاً على الأيدي، فالأيدي تغسل والأرجل تغسل على هذه القراءة. وقرأ ابوعمرو بن العلاء وحمزة وشعبة ((وأرجلِكم)) بجر اللام عطفاً على الرؤوس، فالرأس يمسح والأرجل تمسح على هذه القراءة، وقال الجمهور: إن جر أرجلكم؛ جاء على الجوار والإتباع. وحمزة والكسائي في قوله تعالى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ قرآها ((أو لمستم النساء)) فالحكم يختلف من اللمس الى الملامسة.

كذلك قرأ حمزة والكسائي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات:6] قرآها ((فتثبتوا)) بدَل ((فتبينوا)) وهنالك فرق في الحكم بين التثبت والتبين، فالأولى تطلب الإنتظار حتى تتضح الحقيقة، والثانية توجب البحث لمعرفة الحقيقة.

ثالثاً: السنة النبوية:

قسمت السنة من حيث السند؛ الى ثلاثة أقسام كبيرة تحتها فروع، هي: السنة المتواترة، والسنة المشهورة، وسنة الآحاد، وقد اختلف الأصوليون حول السنة؛ لأسباب ترجع بعضها إلى الرواية: من حيث الجرح والتعديل؛ فقد يكون الراوي ثقة عند بعض علماء الحديث؛ وقد يُجَرِّحه عالم آخر لعلة ظهرت له، وقد يصح السند عند بعضهم فيقبل، وقد لا يصح عند آخرين فيُرد، ومن حيث الدراية فقد يُقبل الحديث من حيث الرواية؛ ويرد دراية؛ لأنه يناقض أصلاً أقوى منه، وبعض أسباب الأختلاف ترجع إلى الناسخ والمنسوخ: فقد يقف أحد الفقهاء على حديث ناسخ لحديث لم يقف عليه غيره، وقد يكون الخلاف حول حجية حديث الآحاد ونطاق تطبيقه، وتوجد أسباب كثيرة في هذا المجال تعرض لها الأصوليون في مظانها، كما ان السنة لم تُدَّون بصفة رسمية إلا في القرن الثاني الهجري؛ في عهد الخليفة عمر

ابن عبد العزيز، والأحاديث جاء تصنيفها من حيث الصحة، والحسن، والضعف، والدرجة؛ وفقاً لمناهج علماء الحديث. وهي مناهج من وضع المجتهدين، والسنة ليست على مرتبة واحدة: ففيها القطعي، وأغلبها ظني، والأحاديث جاءت متفرقة حسب الحوادث على مدى ثلاثة وعشرين عاماً. ولم تُرَتَّب ترتيباً زمانياً؛ بل حسب موضوعاتها، وبعض الناس سمعوا حديثاً في زمن ما وتفرقوا في الأمصار؛ وربما أتى حديث لاحق ناسخ للسابق ولم يسمعوا به. وهذا ما دعا الإمام مالك أن يقول للمنصور عندما رأى أن يُلزم الناس بالموطأ؛ قال له: (يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا، فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وأُتُوا به من اختلاف الناس، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم..)[1] فالإمام مالك بهذا يقر بحق الآخر المختلف، ويجد له تبريراً مشروعاً، ولا يهمل اختلاف البلدان وما يتبعه من إختلاف العادات والطبائع، ويفهم من كلامه أنه يتمتع بسعة أفق وسماحة غابت عن المتأخرين من أتباع مذهبه الذين عبر عنهم صاحب جوهرة التوحيد بقوله:

ومالك وسائر الأئمة كذا أبو القاسم هداة الأمة
فواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بقول يفهم[2]

والسنة على أنواع: فهناك سنة تشريعية؛ وأخرى تُكَيَّف ضمن العادات البشرية، وأخرى تعتبر من الخصوصيات النبوية، وهي تنقسم الى اربعة اقسام: وحي، وفتيا، وقضاء، وسياسة شرعية، فالوحي والفتيا ملزمان للأمة؛ لأنهما دين، والقضاء أصدره الرسول بحسب حيثيات القضية، والبينات التي ظهرت له؛ ولذلك قال: ((إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار))[3]. والسياسة الشرعية لا إلزام فيها؛ لأن الظروف تتغير، والأحكام تتغير تبعاً لتغير أحوالها

(1) حجة الله البالغة (307)

(2) متن جوهرة التوحيد تأليف برهان الدين ابراهيم بن ابراهيم اللقانى ص(19) الطبعة الثانية 2005م دارالسلام للطباعة والنشر – القاهرة

(3) أخرجه البخارى في صحيحه (7169) في كتاب الأحكام مكتبة الإيمان

وأزمانها، وقد لخص هذا الأمر الإمام المهدي بقوله: «لكل وقت ومقام حال؛ ولكل زمان وأوان رجال»[1]. يقول الامام القرافي: «اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الامام الأعظم، والقاضى الأحكم، والمفتى الأعلم ، .. فما من منصب دينى الا وهو متصف به فى أعلى رتبة غير أن غالب تصرفه صلى الله عليه وسلم بالتبليغ، لأن وصف الرسالة غالب عليه، ثم تقع تصرفاته صلى الله عليه وسلم منها ما يكون بالتبليغ والفتوى اجماعاً، ومنها ما يجمع الناس على أنه بالقضاء، ومنها ما يجمع الناس على أنه بالامامة، ومنها ما يختلف العلماء فيه لتردده بين رتبتين فصاعدا، فمنهم من يغلب عليه رتبة، ومنهم من يغلب عليه أخرى، ثم تصرفاته صلى الله عليه وسلم بهذه الأوصاف تختلف آثارها فى الشريعة، فكل ماقاله صلى الله عليه وسلم أو فعله على سبيل التبيلغ، كان ذلك حكما عاما على الثقلين إلى يوم القيامة، فإن كان مأمورا به أقدم عليه كل أحد بنفسه، وكذلك المباح، وإن كان منهيا عنه اجتنبه كل أحد بنفسه، وكل ما تصرف فيه – عليه السلام – بوصف الإمامة، لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن الإمام اقتداء به صلى الله عليه وسلم، ولأن سبب تصرفه فيه بوصف الإمامة دون التبليغ يقتضى ذلك، وما تصرف فيه صلى الله عليه وسلم بوصف القضاء، لايجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بحكم حاكم، اقتداء به صلى الله عليه وسلم، ولأن السبب الذى لأجله تصرف فيه صلى الله عليه وسلم بوصف القضاء يقتضى ذلك»[2]. هذا التمييز له أهمية كبيرة؛ لأنه يوضح الفرق بين السنة التشريعية وغيرها، وعدم التمييز هو أحد أسباب الأخطاء التى وقع فيها كثير من الناس، حيث ينزلون الحكم فى غير موضعه! فتكون النتيجة سلبية، وبعضهم يُقْدم على فعل الشيئ مستندا على السنة؛ مع أن الفعل قد يكون خاصاً بالقضاء، أو بالإمامة؛ لا يجوز تنفيذه بواسطة الأفراد.

رابعاً: مصادر التشريع:

أجمع المسلمون على أن الكتاب والسنة هما المصدران الأساسيان للتشريع في الإسلام، واستنبطوا منهما المصادر الأخرى كالإجماع والقياس، هذه المصادر

(1) ابو سليم: الآثار الكاملة للإمام المهدي: الجزء الأول دار النش جامعة الخرطوم

(2) الفروق للإمام العلامة شهاب الدين أبى العباس الصنهاجى المشهور بالقرافى الجزء الأول صفحة(221) الطبعة الأولى 1423ه – 2002م المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت

تعتبر مصادر أصلية عند أهل السنة، وهنالك مصادر فرعية: كعمل أهل المدينة، والإستصحاب، وشرع من قبلنا، والإستحسان، والمصالح المرسلة، وغيرها من المصادر الفرعية المعروفة. هذه المصادر الفرعية اختلف الفقهاء حولها بين مُضَيِّق ومُوَسِّع ومُقَدّم ومُؤَخّر، وهنالك أصول منسوبة لأئمة الفقه، هي في الواقع مُخَرَّجة على أقوالهم تخريجا قام به المتأخرون، هذا الإختلاف حول مصادر التشريع أدى إلى اختلاف في الفتاوى والأفكار.

خامساً: مشروعية الإجتهاد:

لقد أقر الإسلام الإجتهاد وحث عليه، وورد في الفصل السابق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرَّ اجتهاد صحابته في حياته في مواضع شتى، وقد طبق المسلمون الإجتهاد في مراحل متعددة من تاريخهم، ذكر الشعبي عن شريح أنه قال: قال لي عمر: (اقض بما استبان لك من كتاب الله، فإن لم تعلم كل كتاب الله فاقض بما استبان لك من قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم تعلم كل أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بما استبان لك من أئمة المهتدين، فإن لم تعلم كل ما قضت به أئمة المهتدين فاجتهد رأيك واستشر أهل العلم والصلاح)[1] ففي كلام عمر مرونة شديدة؛ حيث طلب من شريح أن يقضي بما استبان له، ومعلوم أن الإستبانة نِسْبِيَّة فقد يَسْتَبِين الأمر للإنسان في وقت ولايستبين له في وقت آخر، وأوضح نص على مشروعية الإجتهاد قوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران. وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر))[2] كذلك يفهم معنى الإجتهاد من قوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر:2] فمن الطبيعي ان تختلف اجتهادات الفقهاء وفقاً لظروف كل فقيه وقدرته على الإستنباط، والبيئة التي عاش فيها، خاصة وأن الإسلام أعطى المجتهد أجرين إن أصاب، وأجراً واحداً إن أخطأ، ما دام ملتزماً بشروط الإجتهاد.

سادساً: اقرار الرسول للإختلاف النوعي والمحافظة عليه في اطاره:

فقد كان كثير من الصحابة فقهاء مجتهدون، واختلفوا حتى في حياته صلى الله عليه وسلم في مواقف كثيرة أقرهم عليها، وأشهر تلك المواقف اختلاف أبي بكر وعمر

(1) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية المجلد الأول ص: (164) دار الحديث القاهرة

(2) أخرجه البخارى في صحيحه (7352) في كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة مكتبة الإيمان القاهرة

حول التعامل مع أسرى بدر، واختلافهم في صلح الحديبية، واختلافهم في الخروج من المدينة في غزوة أحد، واختلافهم في صلاة العصر عندما أُمِروا ألا يصلوا إلا في بني قريظة، كما أن كل واحد منهم تميز بصفة دون غيره حتى اشتهر بها، ومع مرور الزمن صارت الصفات الفردية والإهتمامات الشخصية مدارس داخل الأمة؛ قال صلى الله عليه وسلم: ((أرحم هذه الأمة بها أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأفْرَضُهم زيد بن ثابت، وأقضاهم علي بن طالب، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وأقرؤهم لكتاب الله أُبَيْ بن كعب، وأبو هريرة وعاء من العلم، وسلمان عالم لا يدرك، ومعاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وما أظلت الخضراء ولا أقَلَّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر))[1].

إن المدارس الفقهية تطورت من مناهج فردية حتى أصبحت مذاهباً، واشتهر عند الفقهاء تشدد ابن عمر، ووسطية ابن مسعود ورخص ابن عباس.

سابعاً: المستجدات:

كما هو معروف فإن النصوص متناهية والحوادث غير متناهية، والممارسة العملية تبرز تحديات تحتاج الى معالجة، واجه هذا التحدي الصحابة يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فاختلفوا هل مات الرسول أم لم يمت، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه؛ من أشهر رافضى القول بموت الرسول! وجرد سيفه قائلاً: إنه سيضرب كل من يقول إن الرسول قد مات، حتى جاء ابو بكر رضي الله عنه وتلى الآية: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:144]. ويبرر عمر موقفه ذلك بقوله لابن عباس في خلافته: (يا ابن عباس هل تدري ما حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله؟ قال: قلت لا أدري يا أمير المؤمنين أنت أعلم. قال: فإنه والله ما كان الذي حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(1) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (6/201) والعجلونى في كشف الخفاء (1/118) والعقيلى في الضعفاء (2/159). الخضراء السماء. المختار(139) المصدر: موسوعة أصول الفكر السياسى والإجتماعى والإقتصادى من نبع السنة الشريفة وهدى الخلفاء الراشدين. إعداد خديجة النبراوى المجلد الثانى (1085)

[البقرة:143] فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها؛ فإنه الذي حملني على أن قلت ما قلت)[1] إذاً فهو لم يقف موقفه ذاك؛ لأنه صدم فحسب، ولكنه قاله عن فهم واجتهاد. فلما ظهرت له الحقيقة امتثل لأمر الله. كذلك اختلفوا في مكان دفن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى حسم ذلك أبو بكر بقوله: (سمعت من الرسول يقول: ((ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض)) فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه فحفروا له تحته)[2]. كذلك اختلفوا في أمر خلافته: (فقال الأنصار أنهم أحق بخلافة لأنهم آووه ونصروه وقبض عندهم، وقال المهاجرون إنهم أحق بها لأ نهم أهل السبق في الإسلام وأنهم هاجروا معه وتركوا أموالهم وديارهم نصرة للدين، وان العرب لا تدين إلا لقريش، وغضب بنو هاشم لأنهم غُيّبوا عن الشورى لانشغالهم بتجهيز جثمانه صلى الله عليه وسلم)[3] واختلفوا حول مانعي الزكاة هل يحاربونهم أم لا؟ واختلفوا في تقسيم الخراج.. وهكذا فرضت المستجدات واقعاً جديداً اقتضى اجتهاداً لمواجهة تحدياته وقضاياه التي لم تكن موجودة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وخلاصة القول: أن هنالك أسبابا موضوعية ـ سبق ذكرها ـ تجعل الإختلاف أمراً حتمياً وضرورياً. ولهذا الإختلاف فوائد كما يقول الدكتور: طه بن جابر العلواني منها: (أنه يتيح التعرف على جميع الإحتمالات التي يمكن أن يكون الدليل قد رمى إليها بوجه من وجوه الأدلة. وثانياً: إنه يتيح رياضة للأذهان وتلاقحاً للآراء ويفتح مجالات التفكير للوصول إلى سائر الإفتراضات التي تستطيع العقول المختلفة الوصول إليها. وثالثاً: إنه يتيح تعدد الحلول أمام صاحب كل واقعة ليهتدي إلى الحل المناسب للوضع الذي هو فيه بما يتناسب مع يسر هذا الدين الذي يتعامل معه الناس من واقع حياتهم)[4]. إنها فوائد يؤكدها الإنتاج الفكري والعلمي الذي تذخر به الساحة الإسلامية ويصدقها الواقع الذي أفرز قضايا معقدة تمكن الفقهاء من التعامل معها.

---

(1) سيرة ابن هشام: (661/ 2 ـ 666)

(2) البداية والنهاية لابن كثير(233/ 5) والسيرة النبوية لابن هشام الجزء الرابع ص(207) مكتبة دار التقوى – القاهرة طبعة 1999م

(3) البداية والنهاية لابن كثير: (215/ 5 – 222)

(4) طه جابر العلواني: أدب الإختلاف في الإسلام ص (25)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي

إن الإختلاف بهذا الفهم ضـرورة؛ ولكنه يصبح وبالاً عندما يتحول إلى شقاق وفجور في الخصومة! وهذا ما حدث في عصر الخوارج وفي عصرنا هذا؛ حيث تصدى للفتوى من لا فقـه له! ففرض على الناس فهماً قاصراً وحاكمهم على أساسـه، وحمل لواء الإسلام الغلاة فضلوا وأضلوا.

إن اختلاف الناس حول الحوادث المعاصرة مثل الأخذ بوسائل العصر، والإستفادة من تجارب الآخرين، والتعامل مع غير المسلمين، والأخذ بالنظم الحديثة التي انتجها العقل البشري؛ كالديمقراطية، والأحزاب، ومنظمات المجتمع المدني، وكذلك الموقف من المرأة، والفن، والرياضة، والنظم الإقتصادية، وأخيراً الإختلاف حول الجهاد، كل هذه الإختلافات وغيرها؛ ترجع الى منهج كل جماعة وطريقة تفكيرها ورؤيتها للخلاف، فمنهم من يضعه في إطاره النوعي، ومنهم من يغالي فيرفع سقفه إلى خلاف بين حق وباطل! والربانيون من الأمة أُجبروا على محاربة مخالفيهم ومع ذلك لم يكفروهم، سأل بعضهم علي بن ابي طالب عن أهل الجمل الذين حاربوه: (أمشركون هم؟ فقال رضي الله عنه: من الشرك فروا. قال: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، فقال له من هم إذن؟ قال كـرّم الله وجهه: إخواننـا بغوا علينـا!!)[1]. فبالرغم من أنه الخليفة المبايع من جمهور الأمة، وقد خرج عليه أهل الجمل وشقوا عصا الطاعة وفرقوا كلمة الأمة؛ وسالت دماء ودموع؛ لكن أمير المؤمنين لم يغب عن ذهنه أنه حامي رسالة وليس منتصراً للذات، ولا منتقماً يجرد خصمه من أي فضيلة، وهذه الروح لم تغب عن عظماء الأمة في عصورها المتعاقبة فأبو حنيفة يقـول: (هذا الذي نحن فيه رأي لا نجبر أحداً عليه ولا نقول يجب على أحد قبوله بكراهية فمن كان عنده أحسن منه فليأت به)[2] فالمؤمن دائماً طالب حق لا يتعصب لرأيه إن ظهر الصواب عند غيره، ومعلوم أنه في عصر التابعين ظهرت مدرستان: مدرسة أهل الحديث التي قامت على فقه الصحابة وآثارهم؛ وكان على قمتها سعيد بن المسيب، وعليها اعتمد المالكية والشافعية والحنابلة. ومدرسة أهل الرأي التي تعتمد على الرأي إن غاب الأثر وكان على قمتها إبراهيم النخعي.

(1) أخرجه البيهقي في السنن (173/ 8)
(2) الإنتقاء (140)

وعليها سار الأحناف دون أن يكفر بعضهم بعضاً، بل في عصور لاحقة عندما احتك كل فريق ببيئة الفريق الآخر أدرك أسباب هذا الإختلاف بينه وبين نظيره؛ وما آفة الفتوى إلا عدم الإحاطة بالموضوع محل الحكم، والواقع الذي تتنزل عليه ـ فعدم الربط بين النص والواقع وعدم ربط كل ذلك بالمقاصد يؤدي إلى إصدارأحكام توقع الناس في الحرج. إن كثيراً ممن تصدوا للفتوى في عصرنا هذا يمكن وصفهم بأنهم حفظة نصوص ولكنهم ليسوا فقهاء، فالفقيه من يمتلك القدرة على استنباط الأحكام من النصوص مع اعتبار الواقع ومراعاة المقاصد. فاستخراج الحكم مجرداً دون مراعاة الواقع وتعقيداته يوقع صاحبه في حرج. فلا بد لمن يتصدى للفتوى أن يدرك طبيعة الواقع المعاصر بتعقيداته وعلاقاته السياسية والإقتصادية والإجتماعية والإدارية حتى لا يغرد خارج السرب. والفتوى الفردية في القضايا العامة؛ لا تكون مجدية في هذا العصر الذي توفرت فيه المعلومة بصورة غير مسبوقة، فهناك ضرورة إلى قيام مؤسسات للفتوى تضم كل التخصصات الشرعية والمدنية، تجمع علماء الشرع وعلماء السياسة والإقتصاد والطب والإجتماع والفلسفة والعلاقات الدولية والقانون حتى تتمكن من إصدار فتاوى تقل فيها نسبة الخطأ وتكون جامعة مانعة. ومن المنكرات في هذا العصر إطلاق التهم والأحكام جزافاً: فهذا كافر لأنه أدلى بتصريح يخالف هوى المفتي، وذاك زنديق لأنه تبنى فكرة لا يعرف المفتي كنهها وآخر مرتد لأنه اتخذ موقفاً يتعارض مع موقف المفتى. هذه الفتاوي التكفيرية تدخل في إطار البدعة لأنه لم يعرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أطلق مثل هذه الأحكام بهذه الصورة بل كان نهجه النهي عن التكفير، قال صلى الله عليه وسلم: ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر))[1]. إن دراسة سيرة الرسول القدوة بعيون باصرة ستعطي نبراساً يضئ الطريق للسالكين وتبين سماحة الإسلام بترجمتها لأحكامه ومقاصده لواقع ملموس، وتجعل المسلمين يصرفون أنظارهم عن نهج التشدد والتكفير والتضييق على الناس، فالإسلام دين الرحمة والتيسير ورفع الاصر والحرج عن الناس وهو لا يتصادم مع الفطرة مطلقاً قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ

(1) متفق عليه رواه البخارى في صحيحه (48) ومسلم (116) مكتبة الإيمان – القاهرة

وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الروم:30] إن فهم الرأي الآخر والفكر الآخر والإجتهاد المخالف في إطارالتنوع يعتبر أول خطوة في منهج الإصلاح الداخلي وتوفير الطاقات المهدرة في الصراعات لتوظيفها للنهضة في كافة مجالاتها، علينا أن نسقط من قاموسنا عبارات [كافر وملحد وزنديق وخائن وعميل ومهزوم..الخ] في مجال خلافاتنا الفكرية والسياسية. ومطلوب منا أن نجد مساحة في داخلنا لقبول الإجتهاد المخالف أو تفهمه على أقل تقدير

المبحث الثاني:

ضرورة الحوار داخل الملة

الحوار الاسلامي الاسلامي له أولوية في عصرنا الحالي؛ لأن الأمة أُوتِيَت من قِبَل صراعها الداخلي؛ أكثر مما أوتيت من قِبَل صراعها مع الآخر، لقد تعرضت أمة الإسلام لهزات داخلية وخارجية؛ أدت إلى اختلال أوضاعها، وتراجع عطائها، وانحراف سلوكها؛ على مستوى الفرد والجماعة، وعلى نطاق الدولة والأمة، فغابت الوسطية وحل محلها التطرف، وانعدم التسامح ليملأ مكانه التعصب، وتراجع دور المفكرين والعلماء ليختطف الشعار الغلاة والحمقى، ومن أكبرالعوامل التي أدت إلى انحراف الأمة عن مسارها الصحيح؛ التخلى عن روح الإسلام والتمسك بالشكليات والمظاهر. ولا مخرج من هذه الحال؛ إلا بإعادة النظر في كثير من المفاهيم والمسلمات التي قبلناها دون تحقيق.

والحوار الداخلي ينبغى أن يؤسس لثقافة ترسيخ منهج للتعامل مع الآخر المذهبي في الإسلام؛ يقوم على الإيمان المشترك بالقطعيات، والإعتراف المتبادل بالإجتهادات، على أساس أن التقليد في الإجتهاد غير ملزم، وأن القاعدة السنية من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد.

إن عصرنا الحالي يمتاز بإلغاء المكان عن طريق المواصلات، وإلغاء الزمان عن طرق الإتصالات؛ مما يتيح وسائل أفضل للتعامل مع المستجدات، والأسلوب الأمثل هو تحديد هيئة أو هيئات فنية ذات معرفة وتخصص في كل المجالات تقوم بدور استشاري. واتخاذ هيئة أو هيئات تشريعية ذات تفويض شعبي للتداول بشأن المستجدات واتخاذ قرار بشأنها[1]. هنالك قضايا تقتضى حواراً داخلياً بين أهل

(1) العقوبات الشرعية وموقعها من النظام الاجتماعي الإسلامي؛ الصادق المهدي

الملة للإتفاق عليها أولاً؛ حتى يختفي التناقض الذي يحدث بين العلماء والمفكرين المسلمين عند تناولها، ليتم التوصل إلى وحدة الخطاب في التحاور مع الآخر، والقضايا المطلوب الإتفاق عليها هي:

1 – تحديد أساس واضح للتعامل مع الآخر الملي في أوطان المسلمين، خاصة وأنهم بحكم المواطنة مواطنون أصيلون وليسوا وافدين، هذا الأساس يحفظ الحقوق الدينية والثقافية للمجموعات الوطنية المختلفة، و بصورة تمنع الإنتقاص من حقوق المجموعات التي تتكون منها الدولة، ويستفاد في ذلك بما تم في صحيفة المدينة، ومن التجارب التاريخية التي أعطيت فيها عهود لأصحاب الديانات الأخرى في الدولة الإسلامية.

2 – كيفية التعامل مع النظام الدولي الحالي الذي يقوم عليه نظام الأمم المتحدة؛ التي تضم دولاً إسلامية وغير إسلامية فهل تنطبق عليه مبادئ العهد والبر والقسط؛ التي دعا إليها الإسلام أم لا؟ ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الاسراء:34] و﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:8].

3 – الحضارة الغربية الحالية فرضت سلطانها على العالم بوسائلها المتفوقة؛ إقتصادياً وتقنياً وعسكرياً وإعلامياً، وهنالك استحالة لرفضها، فالمطلوب تحديد المنجزات التي حققها الغرب والتي لا تتعارض مع الأصول والمبادئ الإسلامية، وتحديد مرابطها في مقاصد الشريعة الإسلامية، ويمكن استصحابها دون أدنى حرج مثل: المؤسسات التي تكفل: (الحرية الفكرية، وحرية البحث العلمي، والنظام السياسي الذي يقوم على رضا المحكومين ومساءلة الحكام ويحقق التداول السلمي للسلطة، ـ وخضوع المؤسسة العسكرية للشرعية الدستورية، ـ والنظام الإقتصادي الذي يقوم على آلية السوق الحر؛ لا سيما في مجال الإستثمار والإنتاج والتبادل التجاري، ـ والإلتزام بحقوق الإنسان على أساس أن الله كرّمه وأوجب له حقوقاً مقدسة).

4 – المرأة؛ هي الوالدة والزوجة والأخت والبنت للرجل. والنساء في مفهوم الإسلام شقائق الرجال. والنصوص الإسلامية واضحة في مساواتها إنسانياً

وإيمانياً. إن حقوق المرأة في الإسلام تعتبر طفرة تحريرية مقارنة بما كانت عليه المرأة في السابق، وجاءت ظروف انتكس فيها المسلمون وألقت الجاهلية بظلالها على وضعية المرأة، وعالم اليوم أحدث طفرة في حقوق الإنسان عامة؛ وحقوق المرأة على وجه الخصوص. التحدي الذي يواجه المسلمين في هذا المجال؛ يتمثل في كيفية تحقيق دورالمرأة في ظل الإسلام؛ بحيث لا تضطر للجوء إلى غيره لتحقيق ذلك، خاصة في عصر المواثيق الدولية التي تتجاوز السيادة الوطنية.

5 - الجهاد هو ذروة سنام الإسلام. والجهاد هو رهبانية أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والجهاد ماض إلى قيام الساعة. إنّ مادة جهد هي أساس الصلاح والفلاح والنجاح في كل مجالات الحياة ولا يفلح الإنسان في أي مجال إذا لم يبذل الجهد: لا بد لنيل الشهد من إبر النحل؛ الجهاد في هدي الإسلام هو بذل الجهد كله للإلتزام بأمر الله. إنه يبدأ دائماً بإلزام النفس على الفضيلة، وهذا هو الجهاد الأكبر لأن فاقد الشئ لا يعطيه. ثم يتجاوز الإنسان نفسه إلى أسرته وإلى مجتمعه وعليه بذل الجهد كله وبكل الوسائل للإلتزام بهدي الله. هذا الإلتزام يصير التزاماً قتالياً في حالة فتنة الناس عن دينهم أي إكراههم على الخروج من دينهم. وفي حالة الدفاع عن النفس. أي دفاعاً عن العقيدة ودفاعاً عن الحياة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:39-40] لقد اختطف الغلاة شعار الجهاد وأعلنوه في مواقف تفتقر إلى شروط الجهاد، بل أعلن الجهاد على المسلمين المخالفين في الرأى. المطلوب تعريف شرعي للجهاد وشروطه ومقتضياته حتى يتم التمييز بينه وبين الإرهاب.

6 - وسائل الدعوة: العصرالحالي يختلف عن ما سبقه من عصور، فالعلاقات الدولية محكومة بمواثيق الأمم المتحدة، وطبيعة التقسيم الحالي للدول تختلف عن تقسيم دار الحرب ودار الإسلام، والعلاقات صارت توجهها المصالح وليست المبادئ والقيم، وحدثت طفرة تكنولوجية وإعلامية أتاحت ضخ

المعلومات بصورة لم يسبق لها مثيل. هذا العصر يحتاج إلى تجديد وسائل الدعوة لتلائم ظروفه المعقدة. إن اتحاد أهل القبلة حول هذه القضايا يتيح لهم سهولة الحوار مع الآخر ويمكنهم من التواصل الحضاري[1].

تيارات الحوار الداخلي:

إن نجاح الحوار الداخلي يتوقف على تحديد عوامل التوتر، وحصر الجهات التي تقتضي المصلحة إجراء حوار معها على المحيط الداخلي، فعلى المستوى الداخلي؛ هنالك تيارات داخل الأمة المسلمة مشدودة للماضي، ومحبوسة في قوالبه؛ لا تقبل أي جديد؛ لأنها تعتبره ضلالة مبتدعة، وتتعامل مع حقائق الإسلام دون تمييز بين الثابت والمتحرك منها، وتتعامل مع الآخر بمقاييس ماضوية. وتقابل هذه التيارات تيارات أخرى؛ تأثرت بفعل الإستلاب، أو بسبب الحقائق المغلوطة؛ فأصبح إنتماؤها لحضارتها الإسلامية؛ بالصورة والجسد فقط! أما روحها وعقلها وثقافتها؛ فخارج الحدود. هؤلاء وأولئك من المنتمين لهذه التيارات؛ ينبغي تحديدهم، وتشخيص حالتهم، وحصر شبهاتهم، والتحاور معهم حولها؛ ليتبينوا الحق من الباطل، حتى يبطل شغبهم الذي أقعد الأمة وشل حركتها. أيضاً حدث في عصر الإسلام الأول إنقسام تاريخي أدى إلى تصنيف أمة الإسلام إلى سنة وشيعة! هذا الإنقسام كان له أثر كبير على مسيرة الإسلام؛ مما يتطلب إحتواءه، وتوجيه الطاقات المهدرة في الصراعات الداخلية؛ إلى مواجهة التحديات والمخاطر التي تواجه أمتنا بمختلف تياراتها. عليه يمكن أن نقول إن هنالك ثلاثة تيارات داخل الأمة تستحق التحاور هي:

1 – الشيعة

2 – تيار الحداثة

3 – التيارالمتشدد.

(1) راجع نداء المهتدين إصدار هيئة شئون الأنصار 2000م

1 ـ **الحوارالسني الشيعي:**

لقد انقسم المسلمون تاريخياً إلى مجموعتين كبيرتين هما: السنة والشيعة، ودارت بين الفئتين صراعات كبيرة أثرت في علاقة الطرفين، وصدرت فتاوى متبادلة فيها نوع من الغلو، ومع مرور الزمن خفت حدة الخلافات بعض الشئ نتيجة لتفهم الطرفين لبعضهما بعضاً بسبب الإحتكاك وزوال الظروف المغذية للعداء. وفي العصر الحديث وقعت عدة أحداث قربت الشقة بين السنة والشيعة منها: إنتصار الثورة الإسلامية في إيران، وتصدي حزب الله للإحتلال الإسرائيلي، كما أن عداء الدوائر المتطرفة في الغرب لا يميز بين سني وشيعي، وأيضاً قامت مؤتمرات كثيرة حول التقريب بين المذاهب وحوار الحضارات وغيرها جمعت بين الطرفين مما ساعد في إزلة كثير من العقبات التي تعترض وحدة الأمة. عليه هنالك ضرورة لاستكمال الحوار بين الفئتين، فالشيعة لهم وجود كبير في العالم الإسلامي ولهم تأثيرعلى مجريات الأحداث والخلاف بينهم وبين أهل السنة يمكن إحتواؤه بمزيد من الحوار وقليل من الحكمة، وأهم إشكالاتهم مع أهل السنة يمكن تلخيصها في الآتي:

- الإمامة هل هي ركن من أركان الدين أم مصلحة شرعية؟
- ما هو الأساس لإثبات السنة الصحيحة؟
- النظر إلى الصحابة وعدالتهم.
- أساس الخلاف هل هو سياسي أم عقدي؟.

2 ـ **الحوار مع تيار الحداثة:**

أعنى بتيار الحداثة ذلك التيار الذي أعجب بإنجازات الحضارة الغربية؛ وطالب باتباع نفس النهج للحاق بالعصر، ويرفع هذا التيار شعارات كثيرة أهمها: الدعوة لحرية البحث العلمي، واتباع النهج العلماني في الحكم، وتحرير المرأة، والإلتزام بكل المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان. ولعل العلمانية أبرز شعارات هذا التيار. العلمانية بشكلها التقليدي لم تعد موجودة حتى في البيئة التي أفرزتها، وقد تخطت الإنسانية مرحلة انكار الغيب، والدين ثبت أنه عامل مهم في حياة الإنسان، فقط مطلوب إيجاد معادلة توفق بين الإلتزام الديني القائم على الثبات

والنشاط الإجتماعي القائم على الحركة، وهذا التيار يشكل وجوداً مؤثراً في المجتمع خاصة بين النخب. فالقضايا التى يطرحها ترتبط بواقع الناس المعاش، لايجوز انكارها أو التقليل من أهميتها، فالحوار مع هذا التيارضرورة اجتماعية بقصد تفهم مطالبه التي يمكن الإستجابة لها من داخل الإسلام، والقضايا التي يثيرها ليست معقدة ويمكن إجمالها في الآتي:

- العلمانية
- الحريات
- المرأة
- الديمقراطية
- التسامح الدينى
- حرية البحث العلمى
- التحفظ من تطبيق الحدود الإسلامية
- حقوق الإنسان

3 ـ الحوار مع التيار المتطرف:

حالة التراجع التي تمر بالأمة أفرزت تيارات كثيرة؛ اتبعت وسائل خاصة بها للتعبيرعن رفضها للواقع المرير، والتبشير بعودة الخلافة، ولعل أخطر تلك التيارات: التنظيمات الإسلامية المتشددة؛ التي اختطفت الشعار الإسلامي؛ ومضت تشكل الرأي العام وفق رؤاها، وتطرح أفكارا تسرى فى المجتمع نتيجة لحالة الاحباط التى تعتريه، كما أنها ترفع شعارات تخاطب الوجدان وتدغدغ المشاعر، وتجد من يتبناها ويروج لها، وقد حددت هذه الجماعات عدوها الخارجي؛ المتمثل في الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. ودخلت مع هذا العدو في صراع بلغ قمته في قارعة الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة؛ وما تلاها من أحداث لازالت تلقى بظلالها على الواقع الاسلامى، وهذا التيار بالرغم من تفكيك شبكاته إلا أن أفكاره تجد طريقها إلى عقول الشباب خاصة فى ظل الأخطاء التى ترتكبها الولايات المتحدة بسياساتها

المستفزة لمشاعر المسلمين، وعجز الأطروحات الاسلامية الماثلة فى تحقيق تطلعات الأمة، وهذا التيار يمكن إجمال قضاياه في الآتي:

- الإسلام هو الدين الخاتم والمهيمن فلا يقبل معه أي دين آخر.
- كل ما يحتاجه المسلم موجود في الكتاب والسنة فلا حاجة بنا إلى الإقتباس.
- الجهاد فرض عين على كل مسلم لإخضاع غير المسلمين لأحكام الإسلام.
- الخلافة تعتبر نظام الحكم الوحيد في الإسلام وواجبنا أن نقيمها.
- كل من لم يطبق أحكام الإسلام يعتبر كافراً يجب أن يقتل.
- الغرب هو عدو الإسلام فيجب أن يحارب حتى يقضى عليه أو يكف عن عداوته أو يدخل في الإسلام.

الفصل الربـع:

الحوار مع الآخر

- **المبحث الأول**: مشروعية الحوار مع الآخر
- **المبحث الثاني**: أهمية الحوار مع الآخر

المبحث الأول:

مشروعية الحوار مع الآخر

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات:13].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله قد أذهب عنكم عُبِيّة الجاهلية وفخرها بالآباء؛ مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن))[1].

تعاليم الإسلام تؤكد على أن الإنسانية مهما اختلفت ألوانها وأعراقها وأنواعها وأجناسها فإنها ترجع لأصل واحد، وطينة واحدة، فالناس من آدم وآدم من تراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:1] واختلاف الألسنة والألوان آية من آيات الله، ومجال للتفكر والتدبر، وليس سبباً للتفاضل والتفاخر: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ [الروم:22] ويعترف الإسلام بصلته بالرسالات السابقة؛ ويؤكد أنه جاء مكملاً لها، ومصدقاً لها: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران:1-3] فالرسالات جاءت من مصدر واحد، وكل رسل الله إخوة قال صلى الله عليه وسلم: ((أنا أولى الناس

(1) أخرجه الترمذى في السنن (3955) والمنذرى في الترغيب والترهيب (573/ 3)

بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة؛ الأنبياء إخوة أولاد عَلَّات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وليس بيننا نبي))[1].

كما يؤكد الإسلام أن أصل الدين واحد وإن اختلفت الشرائع. قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:13] والمسلمون مطالبون بالإيمان بكل الرسل دون تفريق: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:285].

أهمية الدين في حياة الإنسان:

الإعتقاد الديني قاسم مشترك بين بني البشر. فلا يخلو مجتمع إنسانى من عقيدة دينية، وقد صحب الدين الإنسان على طول تاريخه، إما عن طريق الرسالات المنزلة التي جاء بها الرسل، وإما عن طريق سعي الإنسان نحو الله بإنشاء نحل من وضع البشر، وحتى أولئك الذين عبدوا الأصنام كانوا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفي.

إن تكوين الإنسان القائم على عنصري المادة والروح؛ يجعله عرضة للصراع بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فيحتاج للإعتقاد لتفسير هذا الصراع، ولتحقيق التوازن النفسي، والدين يقوم بهذا الدور، كذلك وجود الإنسان داخل المجتمع البشري، يجعله محتاجا للآخرين لتحقيق بعض مطالبه، ومحتاجون له ليقدم لهم ما يستطيعه حسب سنة تبادل الحاجات، هذا الواقع القائم على التبادل يجعل الصراع بين بني البشر أمرًا واردًا، وعندها ستكون الحياة للأقوى والأقدر، وسوف يضيع الضعفاء، فالدين له دور كبير في تحقيق العدل الإجتماعي وبناء الوازع الأخلاقي؛ الذي يجعل الإنسان رحيماً عادلاً باذلاً للخير، شفيقا بالضعفاء والمُعْوَزين، ومن ناحية ثالثة فإن الكون الذي يضمنا؛ تعيش فيه أمم لا تحصى من خلق الله، وتكمن فيه سنن وقوانين تعجز البشرية عن الإحاطة بها دون إرشاد من قوة أسمى، والإنسان

(1) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والإمام أحمد

المستخلف في سعي مستمر للمعرفة ولاكتشاف سر هذا الكون ودوره فيه، ومآله، ولا شك أن الدين له إسهام كبير في التعريف بهذا الوجود الكوني، عليه يتضح مما سبق أن الدين في حياة الإنسان ليس مهماً فحسب؛ بل هو ضرورة نفسية، وضرورة إجتماعية، وضرورة كونية؛ ومما يؤكد ذلك؛ أن الدراسات الإنسانية أثبتت أن الإنسان حيث ما وجد؛ احتاج إلى دين يعتقد فيه، إما عن طريق الوحي المنزل، وإما عن طريق السعي البشري نحو المثل الأعلى. وقصة «حَيّ بن يقظان لابن الطفيل» خير دليـل على ذلك. وحتى أولئك الذين أنكروا الأديان واعتبروها مرحلة طفولة فكرية؛ وجندوا طاقاتهم لهدمها؛ ما لبثوا أن أقاموا ديانات وضعية، حلت محل الأديان المبعدة، فكأنهم طردوا الدين المنزل من الباب وأدخلوا ديناً وضعياً من النافذة.

أخطاء المتدينين:

لقد عالجت الأديان تلك الإشكالات، ولكنها من جانب آخر؛ تحولت إلى عصبية عند كثير من الناس؛ فدفعتهم إلى التطرف والإقصاء، وشهد تاريخ الإنسان حروباً دينية مدمرة، تفانى فيها بنو البشر نتيجة للتعصب ومحاولة إلغاء الآخر (إن قيمة الإعتقاد الديني، والإنتماء الثقافي للإنسانية؛ ينبغي ألا تغفلنا عن الأضرار التي لحقت بالحياة، نتيجة للتعصب الديني والإنكفاء الثقافي؛ هذان العاملان: التعصب والإنكفـاء. أوقعا أصحاب الإنتماءات الدينية في ثلاثة أخطاء فادحة: الخطـأ الأول: حصر المعرفة: كل المعرفة الإنسانية؛ في المصادر الغيبية النقلية! ورفضهم المعارف العقلية والتجريبية. هذا الخطأ جعلهم أعداء لتطور العلوم واكتشافاتها، والأبحاث العلمية واستنتاجاتها. الخطأ الثاني: قاسوا ضرورة الإلتزام الديني بالقيم الروحية والخلقية؛ بالتزام مماثل أوجبوه في المعاملات الإجتماعية والسياسية. الخطـأ الثالث: اعتبروا أن الإخلاص لعقيدتهم؛ يوجب نفي العقائد الأخرى ومواجهتها مواجهة دائمة)[1]. وقد أدرك الآن معظم أتباع الأديان أهمية التوصل إلى صيغة تعايش سلمي بين الأديان يحل التسامح فيها محل التعصب والسلام محل الحرب.

(1) الصادق المهدي: نداءات العصر 2001م

الإسلام والتسامح:

الإسلام منذ نزوله كان يحمل مقومات التواصل مع الآخر ولك عندما رافض الإكراه في الدين، وبسط العدل، وساوى بين الناس؛ رغم اختلاف عقائدهم، وأنه أعطى موضوع الحوار أهمية كبرى؛ كما تبين في الفصل السابق. والمسلم مطالب باحترام عقائد الآخرين مهما كانت درجة بطلانها؛ لأن الدين لا يفرض بالإكـراه، قـال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99] وطبّق رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ؛ فلم يكره أحداً على الدخول في الإسلام، وتسامح مع الآخرين بصورة لم تعرف في عصره، عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البعثة ثلاثة عشر عاماً في مكة، تعرض فيها هو وأصحابه لكل أنواع الأذى والعدوان، فلم يردوا على المعتدين؛ بل كان التوجيه الإلهي لهم أن: ﴿كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1] وبالرغم من إنتشار الأصنام حول الكعبة؛ لم يتعرض لها رسول الله، ولم يسئ لعابديها! وظلت قائمة حتى فتح مكة، فالعقائد مهما كانت غرابتها وسذاجتها؛ فإنها تشكل لأصحابها أهمية. ولذلك كان التوجيه القرآني للمسلمين واضحاً: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:108] وعندما حاور الإسلام عبدة الأصنام كان حواره هادئاً مرناً؛ يدعوهم لاستعمال عقولهم، وأن يتفكروا في عجز آلهتهم؛ التي لا تستطيع أن تدفع الضر عنها؛ فهي أعجز عن أن تدفعه عن غيرها: روى صاحب كتاب حياة الحيوان الكبرى؛ أن غاوى بن ظالم كان سادناً لصنم، فجاء يوماً ووجد الثعلب قد بال على الصنم فقـال:

لقد خـاب قوم أملـوك لشـدة ... أرادوا نـزالاً أن تكون تحارب
فلا أنت تغني عن أمور تواترت ... ولا أنـت دفـاع إذا حـل نائب
أرب يبـول الثعلبـان برأسـه ... لقد ذل من بالـت عليه الثعلب

ثم كسر الصنم وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه

(1) سورة النساء الآية (77)

وسلم: ((ما اسمك؟)) قال: غاوى بن ظالم، قال: ((لا؛ بل أنت راشد بن عبد ربه))[1] والقرآن الكريم لفت أنظار عبدة الأصنام إلى عجز أصنامهم ودعاهم لاستعمال عقولهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف:194-195].

الإسلام والأديان:

الأديان السماوية جاءت من مصدر واحد؛ وهي متفقة في الأصول، وبالرغم من التحريف الذي لحق بها؛ إلا أن الآخر الديني لا يعتبر كله على نسق واحد في نظر الإسلام، فأهل الكتاب أقرب إلى الإسلام من الوثنيين؛ لأنهم ينتمون إلى ديانات سماوية. وهم أنفسهم ليسوا سواء؛ فبعضهم أقرب إلى المسلمين من الآخرين قال تعالى: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:113-115] وهنالك توجيه واضح في التشريع الاسلامي للمسلمين؛ أن يتعاملوا مع أهل الكتاب على أساس أنهم أصحاب ديانات سماوية، وأن هنالك قواسم مشتركة بينهم وبين المسلمين: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة:136] والإسلام لا يطلب من أهل الكتاب التخلي عن دينهم بل يأمرهم بالإلتزام به، فعندما حمل الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى {المقوقس} عظيم القبط بمصر ودار بينهما حوار، بدأه حاطب، قال للمقوقس: (إن لك ديناً لن تدعه إلا لمن هو خير منه، وهو الإسلام؛ الكافي به الله فقد ما سواه، وما بشارة موسى بعيسى؛

(1) حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى الجزء الأول ص(204) بتصرف دارالفكر للطباعة والنشر- بيروت: الطبعة الأولى: 1425ه - 2005م

إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن؛ إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل.. ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به.)[1] هذه النظرة التي ينظرها الإسلام لأهل الكتاب؛ جعلته يطلب من المسلمين أن يعاملوا أهل الكتاب معاملة حسنة، ويجادلوهم بالتي هي أحسن، ويعلنوا إيمانهم بالكتب المنزلة على السابقين، ويؤكدوا أن الإله المعبود واحد هو الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:46].

(1) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص (46) طبعة ليدن 1920م نقلًا عن: هذا هو الإسلام، لمحمد عمارة

المبحث الثاني:

أهمية الحوار مع الآخر

منذ مجئ الإسلام تناول القرآن الكريم موضوع الحوار بين أصحاب الديانات السماوية؛ وذلك لما بينهم من قواسم مشتركة، وقربى دينية، ولا بد من إدراك أن الحوار ليس بالضرورة يهدف إلى حمل الآخر على التخلي عن دينه، والدخول في دين هذا الطرف، فقد يكون الحوار للبحث عن الحقيقة المجردة، وما دام الجميع يبحثون على الحقيقة كما يقولون؛ فإن الحوار ينطلق من أمر أساسي وجوهري جداً: هو البحث عن الحقيقة في وجهة نظر الآخر، بمعنى أن الحقيقة ليست حكراً لأي طرف. إن الإعتقاد بأن أيّ واحد منا على صواب لا يعني بالضرورة أن الآخرين على خطأ. إن الحوار هنا يعني عدم الإهمال أو التجاهل أو التقليل من أهمية وجهات النظرالأخرى. يقول مونتجمرى وات في كتابه الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر: (إن الحوار كما أرى؛ يتضمن الإستعداد للقبول الإيجابي بمقولات الدين الآخر رغم عدم التحول إليه، وبدون شيئ من الإستعداد ليتعلم أصحاب كل دين من أصحاب الأديان الأخرى، يصبح الحوار نوعاً من الهداية المُعَطِّلة. إنّ كثيرين يفهمون الحوار بطرائق مختلفة، فهو بالنسبة للبعض مؤتمرات ذات سلطات قد تنتهى بقرارات تم الإتفاق عليها.. وهو بالنسبة لآخرين، لا يعدو أن يجتمع عدد من اللاهوتيين المسيحيين والعلماء ليصدروا قرارات فيما يتعلق بالمسائل الخلافية في العقائد.. بل هنالك من يتحدث عن الحوار بشكل منغلق وكأنما ليس هناك إلا طرف واحد- مثل كاتب سويسرى اختتم كتابه الموسوم باسم Dialogue With Islum بهذا النداء الذي وجهه للمسلمين: «إننا نطلب منكم بشكل خاص جداً، نطلب منكم يا من تؤكدون بشدة القرابة القوية بين دينينا، أن تؤمنوا أن لدى الغرب شيئاً أكثر وأفضل

من ثقافتكم: إنه كلمة الحياة، رؤية مملكة الرب، وأمل نهائى، أمل لا ينتهي، نعبر عنه بكلمة واحدة وباسم واحد: إنه يسوع المسيح» إن مثل هذا الكلام ليس ـ حواراً ـ بأي معنى من المعاني ذات الأهمية. فمثل هذه العبارات لا تعنى شيئاً أو لا قيمة لها بالنسبة للمسلم الذي وصل إلى درجة عالية من التعليم. إنه ببساطة سيجيب عن مثل هذه النداءات غير المجدية بأن لديه بالفعل ـ كلمة الحياة ـ ممثلة في القرآن، وأنه يعتقد أن إرادة الله ومشيئته هي التي تحقق العدالة على ظهر الأرض)[1] هذا الفهم الذي ذهب إليه العالم القدير مونتجمري وات؛ هو عين ما دعا إليه الإسلام. إذ أنه يطلب من أهل الكتاب أن يتمسكوا بكتابهم كما أنزل دون تحريف أو تبديل، فأحكام التوراة والإنجيل جاءت تحمل الهدى والنور، كما نص القرآن الكريم، وأن التحريف الذي حدث هو الذي عماهم عن رؤية الحق الذي جاء به الرسول الخاتم، فالإسلام أكد صحة الأحكام التي جاء بها التوراة، والأحكام التي جاء بها الإنجيل، وأن القرآن جاء مصدقاً لتلك الكتب ومكملاً لأحكامها؛ ومن المناسب نقل الآيات بتمامها لتوضيح كيف أن الإسلام جعل التواصل والتكامل مع تلك الرسالات من صميم دعوته. قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا

(1) الإسلام في عيون غربية: محمد عمارة (176)

كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:44-50]

إنه أوضح تأكيد على أن المصدر الذي جاءت منه الأديان السماوية واحد، فالكتاب اللاحق يؤمن على أحكام الكتاب السابق، وكل رسول جاء صدق من سبقه من الرسل، وأن اختلاف الأحكام ما هو إلا اختلاف في التشريع الذي جاء ليلائم ظروف كل عصر وبيئة. والإسلام في حواره مع أهل الكتاب بعد كل هذه الحجج يقول: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡ﴾ لم يحكم عليهم الإسلام بالدمار والهلاك، ولم يقطع منهم الأمل. ويخفف من نقده فيقول ببعض ذنوبهم! أيّ سماحة هذه وأي احترام أبلغ من هذا لحرية الإنسان؟! هذا النهج معناه أن نُقْدِم على الحوار مع الآخر من أجل التوصل إلى الحقيقة. وإذا وضعنا في الإعتبار التحولات التي حدثت في الساحة الكونية، والمستجدات في العلاقات البشرية، مما يفرض علينا وعياً بالواقع المعاصر؛ فما عاد اليهود اليوم مجموعة من الناس يتنقلون بين الحواضر بحثاً عن جمع الأموال بوسائل تقليدية، ويقيمون في حصون يُجْلَوْن منها من وقت لآخر. وما عاد النصارى كيانات مبعثرة في نجران والشام ومصر وغيرها. لقد حدثت تطورات لدى هؤلاء وأولئك فأصبحت لديهم دول يحكمونها، ومؤسسات تعليمية تدرس أديانهم، ومفكرون وعلماء في جميع التخصصات، ومؤسسات إقتصادية تمتلك رؤس أموال ضخمة، وهم في مجال التفوق المادي، والتقني والعسكري؛ يتقدمون على المسلمين، مما يستلزم إدراك هذا الواقع ونحن نقدم على حوار يتطلب شروطاً معينة، يقول مونتجمرى وات: (وإذا وضعنا في اعتبارنا أن ـ الحوار ـ المقصود هنا يكون بين أشخاص ينتمون إلى ثقافات مختلفة، اتضح لنا ضرورة أن يكون المشاركون في هذه الحوارات أناس على درجة عالية من التفتح وتقبل ما يقوله الآخرون، فلا يمكن أن يكون هنالك حوار من أي نوع ما لم يتكلم أحد الأطراف بينما يصغي الطرف الآخر لما يقال محاولاً أن يفهم، وهذا ليس بالأمر اليسير بين ثقافات غريب بعضها عن الآخر، لأسباب: منها اختلاف المفاهيم والقيم والأفكار؛ فإذا راح طرفان أحدهما مسيحي والآخر مسلم؛ يبحث كل منهما للآخر عن حجج وبراهين لدعم الخلاف بينهما، فهما

سيجدان بسهولة كثيراً من العناصر لدعم الخلاف، لكن هذا لن يؤدي إلى قيام حوار حقيقي. فمن شروط الحوار الرغبة في التعلم، وإذا كان الأمر متعلقاً بثقافات مختلفة، فهذا يعنى صبراً عظيماً ومحاولة التآلف والتعارف بكل جوانب العقلية الأخرى، أو العقلية الغريبة؛ والتدرب على فهم عقليات الآخرين يجعل المرء أكثر تفتحاً، فإذا تقبل القيم الموجودة في الدين الآخر، فإنه سيبدأ بالبحث عن سبيل لإدماجها في دينه. فالمؤلف المسيحي السويسري ـ الذي اقتبسنا من كتابه تلك العبارات ـ كان يشجع المسلمين ـ بلطف ودماثة ـ على أن يضيفوا إلى دينهم شيئاً دون أن يتخلوا عن الجزء الأساسي من تراثهم، ولكنه فشل في أن يرى ـ كمسيحي ـ أنه لا بد أن يسأل نفسه فيما إذا كان لدى الإسلام شئ يقدمه ليضاف إلى المسيحية؟ ربما كانت ثقة المسلم العادي العميقة في الله، هي الفكرة التي يجب أن تأخذها المسيحية من الإسلام. ويبدو ضرورياً لحوار حيقيقي أن يفرق كل مشارك في الحوار بين رسالة دينه الإيجابية، وبين حججه الدفاعية، فتكرار الحجج الدفاعية يعني الرغبة في منع معتنقي هذا الدين من الخروج منه، كما يحفز معتنقي الديانات الأخرى على صياغة حجج مضادة، والدفاعات والحجج المختلفة قد تنشأ بين أصحاب دين واحد على تفسير نص، مع أن هذا النص يلقى اعترافاً من الطرفين المتجادلين. وفي الحوار مع الإسلام يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمداً لم يتلق وحياً، والأفكار الشبيهة..)[1].

الجهات الخارجية التي ينبغي التحاور معها هي:

1 - **اليهودية**: فاليهود إشكاليتهم مع العالم الإسلامي تتمثل في وجود إسرائيل التي قامت على أساس إحتلال الأرض، وإبدال الشعب الفلسطيني بشعب يهودي، هذا الإجراء هل يوافق عليه كل اليهود باعتباره عقيدة دينية؟ أم هو خاص بالحركة الصهيونية التي تستغل الدين لأغراض سياسية؟ وما هو موقفهم من حق الشعب الفلسطيني في استعادة أرضه المغتصبة؟ أما القضايا الدينية فنحن نؤمن بكل أنبيائهم فليست لدينا مشكلة في التعامل معهم.

---

(1) مونتجمري وات: الإسلام والمسيحية، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، طبعة القاهرة مكتبة الأسرة _ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 2001م ـ نقلاً عن الإسلام في عيون غربية د. محمد عمارة ص (176 ـ 178)

2 – **المسيحية**: أما المسيحية فيمكن حصر قضايا الحوارمعها في الآتي:

- عقيدة الثليث تشكل عقبة أمام علاقة إيمانية بينهم وبين المسلمين.
- الزعم بأن الرسالة الإسلامية نسخة مشوهة من المسيحية غيرمقبول.
- الحروب الصليبية لديها ظروفها وأسبابها التاريخية ينبغى التخلص منها.
- الحرية الدينية في المعتقد وممارسة العبادة وإنشاء دور لها في بلدان العالم الإسلامي التي فيها ديانات مسيحية، مع الحق في حرية التبشير.
- الإرتباط بين مسيحيي الشرق وبين الغرب الذي لديه أجندة سياسية.

3 – **المجتمع الغربي**: الغرب إشكالياته معقدة ويمكن إجمالها في الآتي:

- دوره الإستعماري؛ وما خلفه من آثـار سلبية تعيق علاقته بالعالم الأسلامي.
- نظرته للحضارة الإسلامية نظرة غير منصفة.
- دوره في قيام دولة إسرائيل ودعمه لها.
- محاولته المستمرة للهيمنة والسيطرة على العالم الإسلامي وإخضاعه لنفوذه.
- تعريفه للإرهاب ووسائله لمكافحته.
- مواقفه من بعض التشريعات الإسلامية المتعلقة بالمرأة والحدود وتقييد الحرية الشخصية.
- دعمه للنظم المستبدة في العالم الإسلامي مادامت تحافظ على مصالحه.
- المسلمون في الغرب وحماية حقوقهم الدينية وأسس التعامل معهم.

هذه القضايا وغيرها؛ يمكن أن تعتبر أساساً للحوار مع هذه الجهات، وتلك التيارات؛ لكي يصبح الحوار ثقافة عامة في العلاقات الإنسانية، وقد بدأت بعض التيارات والجهات حواراً فعلياً كالذي حدث في لبنان بين المسلمين والمسيحيين،

ومثله ما حدث في السودان بين المسلمين والمسيحيين، وكان ثمرته إنشاء مجلس التعايش الديني؛ الذي يتكون من الطرفين، كمنبر للحوار، ولفض النزاعات، وللأنشطة المشتركة، ولكن تعطل دوره بعد انفصال جنوب السودان! كذلك أثمر الحوار بين الإسلاميين والقوميين في تكوين المؤتمر القومي الإسلامي الذي وصل إلى مراحل متقدمـة في العلاقة بين التيارين؛ ولكنه اصطدم بالواقع بعد الربيع العربي ووصول تيارات إسلامية للسلطة؛ فقد فشل القوميون والإسلاميون في تطبيق الكلام النظري الذي اتفقوا عليه على أرض الواقع، وتقاطعت مصالحهم بعد وصول فريق منهم إلى السلطة، بل دخلوا في حروب مدمرة كما يحدث في الساحة السورية.

ميادين الحوار:

الحوار له ميادين كثيرة؛ فعالم اليوم فرض التعايش المشترك بوجود التعددية الدينية في الوطن الواحد، ولظروف الهجرة التي جعلت الإنسان ينتقل من مكان إلى آخر بقصد الإقامة الدائمة؛ مما يعني أنه انتقل إلى وطن جديد يكون خاضعاً لدستوره وقوانينه، وسيجد نفسه يقيم مع آخرين يوحدهم الوطن الجديد وتختلف أديانهم، كذلك فإن نسبة الكوارث تزداد يوماً بعد يوم مع ازدياد السكان، وتطورالعلوم والصناعات؛ التي تترك مخلفات تضر بالبيئة؛ الملك المشترك للإنسان، هذه الأوضاع توجب حواراً بين أهل الأديان؛ للبحث عن دور الأديان في ترسيخ ثقافة التعايش السلمي، والتعاون على البر، وفي كيفية فض النزاعات التي تنشأ بين بني الإنسان، فالحوار ميادينه كثيرة: [**هنالك أولاً**: حوار الحياة، وهو يعني الإهتمام بالآخر، وتفهم خلفياته والإعتراف بتميزاته، ومن ثم بناء عيش مشترك معه على قاعدتي التفهم والإعتراف. **وهناك ثانياً**: حوار العمل، وهو يعني العمل معاً إجتماعياً وإنسانياً واقتصادياً، ومن شأن ذلك أن يحقق انصهاراً مجتمعياً وتداخلاً في العلاقات وتكاملاً في المصالح. **وهناك ثالثاً**: حوار النقاش، النقاش الفكري، وحتى العقدي، ليست غاية هذا الحوار توحيد الديانات، إنما تفاهمها، وليست الوسيلة إلى ذلك التوقف أمام التباين؛ بل البحث عن المشترك فيما بينها. **وهناك رابعاً**: حوار التجارب بما في ذلك التجارب الدينية، وهنا أيضاً ليست الغاية ممارسة العبادة مثل

الآخر، ولكن إدراك الحقيقة بأن الآخر يمكن أن يعبد الله بطريقة مختلفة][1]. ومما تجدر الإشارة إليه أن الآخر أيضاً معْنِيٌّ بشأن الحوار؛ مثلما أن المسلمين مَعْنِيُّون به، والواجب التعرف على رؤية الآخرين، والوقوف على طريقة تفكيرهم وآلياتهم؛ حتى تسهل عملية الحوار، فقد أقيم عدد من حلقات النقاش وورش العمل، وكذلك مؤتمرات خُصّصَت للحوار؛ شارك فيها مسلمون ومسيحيون ويهود وأصحاب ديانات أخـرى، وأصدرمعهد الدراسات الإسلامية المسيحية التابع لجامعة القديس يوسف ببيروت؛ كتابا جمع البيانات الإسلامية المسيحية المشتركة في الفترة من عام 1954 – 1992م ضمّ [29] بياناً مشتركاً، كما أنه قام بإحصاء للإجتماعات والمؤتمرات الخاصة بالحوار الديني في الفترة من عام 1941 – 1992م فكانت الحصيلة [251] لقاء ومؤتمراً. الأول كان في القاهرة وموضوعه إنشاء جمعية الإخاء الديني؛ والأخير كان في جنيف وموضوعه: الدين والشريعة والمجتمع[2]، وباستعراض هذه المؤتمرات واللقاءات نجد أن المسلمين والمسيحيين شاركوا فيها كلها، بينما كانت اللقاءات التي ضمت مسلمين ومسيحيين ويهود [26] واللقاءات المتعددة الأديان كانت [41] وقد تناولت جل المواضيع ذات الإهتمام بين أهل الأديان إن لم تكن كلها؛ كما نلاحظ تطوراً واضحاً في العلاقة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية. فقد كان موضوع الحوار الذي عقد في الخرطوم عام 1969م هو [من أجل اللقاء مصادفة] وموضوع اللقاء الذي تم في [ملطان بباكستان] عام 1992م كان[العمل معاً في سبيل انسجام العالم المخلوق] هذه اللقاءات والمؤتمرات أثمرت تقدماً في العلاقة بين الأديان وهيأت الأطراف المختلفة للعمل المشترك وللتعاون في أوجه الخير والبر، وباستعراض بعض البيانات المشتركة يتضح مستوى ما وصلت إليه العلاقة في بعض المناطق:

---

(1) محمد السماك: مقدمة الى الحوار الإسلامي المسيحي ص 142 ـ 142 الطبعة الأولى 1998م، دار النفائس

(2) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة: جمعها جوليت حداد إشراف الأب أوغسطين دوبرة لاتور والدكتورهشام نشابة: إصدار معهد االدراسات الإسلامية المسيخية – جامعة القديس يوسف – بيروت الطبعة الأولى: دارالمشرق 1995 بيروت

أ – إنعقد لقاء إسلامي مسيحي في مدينة هونغ كونغ بتاريخ 4–10 كانون الثاني 1975م الموافق 20–26 ذوالحجة 1394م نظمه كل من مجلس الكنائس العالمي، ولجنة الحوار الإسلامي – المسيحي لجنوب شرق آسيا، تحت عنوان [المسلمون والمسيحيون في المجتمع] «لأجل الإدارة الحسنة والتشاور والعمل معاً في جنوب شرق آسيا» وصدر عن اللقاء بيان مشترك وافق عليه المشاركون بالإجماع يعلنون فيه عزمهم على تخطي التعايش السطحي؛ للوصول إلى تعامل وتعاون حقيقي. ويستنكرون النواحي السلبية للتبشير والدعوة؛ الراميين إلى اجتذاب الآخرين. واشتمل البيان على الآتي:

- الحاجة إلى حوار إسلامي مسيحي في جنوب شرق آسيا: سادت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في جنوب شرق آسيا؛ مواقف وممارسات تتضمن النبذ والعداء. فنحن المسيحيين والمسلمين الذين دخلنا الحوار في هونغ كونغ؛ آتين من مناطق ذات أوضاع مختلفة بعضها يتجسد بالتعاون والإنسجام والآخر يشوبه التوتر والصراع بين جماعاتنا في جنوب شرقي آسيا نعلن أن أياً من المواقف أو الممارسات السلبية لا يعكس وجه الإيمان المسيحي أو الإسلامي. فمثل هذه المواقف أو الممارسات تظهر الهوة القائمة لدى الديانتين بين المبادئ السامية للتعاليم الدينية وممارسات المنتمين إليهما. وكان هدفنا أن نواجه واقع كوننا من مجتمعات متعددة حيث لا يعتبرالصراع وحده كمأساة؛ بل التعايش السلمي ذاته عنصراً غير ملائم للحاجات الملحة في مجتمعاتنا الآخذة بالنمو. فمجتمعاتنا الوطنية المختلفة، برأينا لديها الحق أن تنتظر من الجماعات المؤمنة المسيحية والإسلامية، لا الصراع ومجرد التعايش فحسب، بل الإدارة الحسنة، والإستعداد للتداول معاً، والحماسة للتعاون في كل اتجاه ممكن. إن المسلمين والمسيحيين بحاجة بعضهم للآخر للتعاون في تخفيف حدة التوتر، وتأمين العدالة، وتخفيف الآلام، وتوفير الحياة اللائقة للشعوب كافة على الصعيد الإجتماعي والمادي والروحي.
- الأسس اللاهوتية للعلاقات بين المسلمين والمسيحيين، وبينهم وبين

المنتمين إلى ديانات أو أيديولجيات أخرى: دعت هذه الفقرة إلى إنشاء علاقة محبة مع الكائنات البشرية التي خلقها الله الرحمن الرحيم الذي يحب ويحب، كما دعت لاستعمال القدرات المالية والسياسية والإجتماعية والثقافية والفكرية والروحية بمسئولية وتعاطف باعتبارها أمانة إلهية لا يجوز إساءة إستعمالها بهدف إكتساب مصالح أنانية على صعيد الفرد أوالجماعة أو الأيديولجية، كذلك تعرضت للتخوف الإسلامي من الموارد التي يتلقاها المسيحيون من الغرب وتخوف المسيحيين في بعض الأمكنة من ميل كفة القدرة السياسية والمالية لصاح المسلمين حيث دعت إلى ضرورة التطمين المتبادل بعدم إساءة إستعمال القدرات، ودعت إلى الإعتراف المتبادل بحقوق المواطنة، وأكدت هذه الفقرة على العلاقة الخاصة بين الديانات الثلاثة ـ اليهودية والمسيحية والإسـلام ـ بانتمائها للأسرة الإبراهيمية الروحية، وشددت على تقدير الكتب المقدسة للطرفين باعتبارها كنوزاً ثمينة تأمر بعدم الإكراه ولكن لا تزال طرق الإكراه، البين والخفي، المعلن والمبيت، تستخدم من أجل اجتذاب الناس من معتقد إلى آخر، يجب الإقلاع عن اللجوء إلى وسائل كهذه فهي غير جديرة بالمسيحية والإسلام، كذلك دعت إلى إبراز القيم السامية والفاضلة في الديانتين من خلال السلوك والتعليم.

- حقول الإهتمامات المشتركة في الأوضـاع الإجتماعية والسياسية: نحن نؤمن أن لله مقاصد خاصة لكل من جماعاتنا؛ ونؤمن أن علينا أن نتجاوب مع مقاصده في عملنا من أجل مجتمع أخلاقي وعادل. فالإزدهار الحقيقي لا يتم من دون الإلتزام الفردي والشخصي بالأخلاق والعدالة، وإننا نعيش في عالم يساء فيه استعمال القدرة، تقع علينا مسئولية المساعدة على تحقيق الشروط لإقامة حق القـدرة. فاتخاذ القرارات على يد مسئولين لديهم حس العدالة والشعور بحاجات جميع الناس؛ يرفع من فاعلية استعمال القدرة، إن التوافق السياسي شأن هام لكلا الجماعتين. فجميع التطلعات والأمنيات الإنسانية يمكن تحقيقها بطريقة أفضل في

جو من السلام والنظام. ولكن مثل هذا الجو لا يتم البلوغ إليه إلا في إطار سياسي وقانوني يؤمن الحرية والتفاعل الإيجابي بين الجماعات الدينية، يمكن للإستقرار السياسي في بعض الحالات أن يغذي الإكتفاء الذاتي، فعلى المسلمين والمسيحيين أن يظلوا متنبهين للأساليب التي تتمكن الميول الأنانية أن تتغلغل بواسطتها، ويمكن للحرية أن تتفتت وتضيع بسبب تعديات خفية أكثر مما تضيع في تعديات صارخة ومأساوية، ويحدث هذا عندما تطغى المصالح الشخصية أو الفئوية على الخير العام، لذلك يجب أن يسعى المسلمون والمسيحيون بكل وعي للتعاون من أجل الدفاع عن خيرهم المشترك والعمل معاً في خدمة الله وجيرانهم، علينا الإطلاع بهذه المهام حتى في الحالات التي تكون فيها جماعتنا السياسية ضعيفة وبدون أي قدرة، بل عندما تعاني من عدم الأهلية الشرعية أو القانونية، ومن هذه المهام العمل معاً من أجل المصالحة وإعادة البناء.

- واجبات الديانتين تجاه تغير القيم في مجتمعات سريعة النمو: تاريخياً ساهمت المسيحية والإسلام في تنمية المجتمعات البشرية، ولا سيما في التعبير عن القيم الأخلاقية. ولكن داخلتهما نشأة تقاليد وقوانين اجتماعية طغت على هذه القيم فتجمدت في تعابير دوغمائية وتشريعية حتى أنها انغلقت أمام التغير الضروري الذي اعتمده المجتمع للتجاوب مع الحاجات الطارئة. بل أكثر من ذلك فإن ديانتينا ظهرتا إلى حد ما في بعض قطاعات المجتمع ((رجعيتين)) تقاومان كل تطور. كثيرون يشعرون أن الديانة يجب أن تكون المرساة الصامدة في حالات التغير الإجتماعي السريع. ولكننا نشعر أن مجتمعاتنا السريعة التغير هي على حق عندما تنتظر من المسلمين والمسيحيين أن يحللوا بعناية ودقة قيمهما الأخلاقية في ضوء الظروف الجديدة التي تتطلب واجبات جديدة وأجوبة ملائمة الأسس الروحية والأخلاقية لإيمان كل منا هي مصدر النور والهدى، ولكن الحالات والظروف التي يجب أن يشع عليها هذا النور

وأن يقودها الهدى هي في تغير مستمر. لذلك فإن واجب جماعتينا عن الحالات المجتمعية السريعة التغير يتطلب تعبئة جميع طاقاتنا لأجل عدة أهداف واهتمامات من بينها: كـرامة البشرية، وحقوق الأفراد الأساسية، والعدالة الإجتماعية، ومنحى الوعي الوطني، والحرية في اختيار ديانتينا وممارستها. ومن الأهمية بمكان الكف عن التبشير السئ الذي نحدده كجهد واع ومقصود لإرغام مؤمنين كي ينتقلوا من جماعة دينية لأخرى.

- التشاور والتعاون بين الجماعتين الدينيتين: دعا البيان للتشاور والتعاون بين الديانتين في مجالات: المحافظة على القانون، والمدافعة عن الصحافة الحرة والمسؤولة، وضمانة الحرية الأكاديمية وتأكيد القيم الإنسانية وحمايتها في مجتمع تتوسع فيه التكنلوجيا يوماً بعد يوم، السعي في جميع الأصعدة من أجل تأمين المشاركة الملائمة والتمثيل الجيد في اتخاذ القرارات، وتأمين الممارسة العادلة للسلطة من خلال القيادة المسئولة. السعي من أجل تخطي الأخطار التي تشكلها القوى الأيديولوجية لإيماننا ومعتقداتنا، التشارك في التحدي والتوقع من أجل إنشاء مجتمع يقيم وزناً لمستوى الحياة المجسدة في واجبات إنسانية وروحية. التعاون على تشجيع التبني المسئول والإجـراءات العملية للحفاظ على البيئة وتأمين التوازن من أجل الأجيال القادمة.

- التعاون على الإسعاف وإعادة التأهيل: دعا البيان لعدم استغلال الظروف المأساوية لربط المساعدات بالتبشير الديني، وعدم التمييز في تقديم العون الإنساني على أساس ديني، ولضمان تحقيق ذلك دعا البيان لإجراء التشاور بين الجماعتين الدينية الواهبة والآخذة على صعيد التخطيط والإدارة والتنفيذ لبرامج الإسعاف؛ حتى لا تحدث ريبة وسوء تفاهم. كذلك دعا لتطبيق متطلبات عدم التحيز على برامج إعادة التأهيل[1].

(1) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة: بيانات مختارة من 1954 – 1992 م 1373 – 1412هـ الصفحات (73 – 81) بتصرف معهدالدراسات الإسلامية المسيحية. جامعة القديس يوسف – بيروت طبعة أولى: 1995

ب – تم لقاء في (كارتيني) بسويسرا بتاريخ: 19 ـ 22 أكتوبر1976م الموافق: 25 ـ 28 شوال 1396هـ شارك فيه إثنا عشر مسلماً وإثنا عشر مسيحياً يمثلون هيئات إسلامية ومسيحية محلية وإقليمية ودولية؛ وبعضهم مدعوون بصفتهم الشخصية لمشاركاتهم السابقة في الحوار الإسلامي المسيحي، وشارك معهم الفريق الإداري لمجمع الكنائس الدولي لبحث مراحل الحوار الإسلامي المسيحي المستقبلية وخرج اللقاء بتوصيات جاء فيها:

1 – وافق المشاركون على ضرورة التهيئة الدائمة للحوار وتشجيعها على جميع الأصعدة الممكنة داخل كل جماعة دينية. ويمكن أن تمثل الهيئات المسيحية والإسلامية الدولية والإقليمية والمحلية مع الأشخاص ذوي الكفاءة دوراً مهماً في تنظيم هذه [التهيئة][1] ودعمها.

2 – وشعر المشاركون أنه بالرغم من تزايد المبادرات من قبل الجانبين الإسلامي والمسيحي على الصعيد العالمي والإقليمي والمحلي لا تزال المشكلة قائمة عند الكثيرين من المسلمين والمسيحيين الذين يتخوفون من فكرة الحوار. ولكن الجميع وافقوا على أن الإشتراك ذاته في الحوار يتح فرصة [لإزالة][2] التخوفات وإشاعة جو من التفاهم والصداقة والثقة المتبادلة. وشعر المشاركون أن أية مخططات لخطوات الحوار القادمة يجب أن تقدم إلى الجانبين الإسلامي والمسيحي مع بيان عن أهداف الحوار.

3 – كل جانب (إسلامي مسيحي) يجب أن يهدف إلى تحقيق: فهم العناصر المشتركة والعناصر المميزة في إيمان الجانب الآخر وتاريخه وحضارته ـ إحترام ديانة الجانب الآخر وثقافته ـ المساهمة في الإنسجام والمصالحة بين الديانتين – الإلتزام المشترك في إحقاق العدالة الإجتماعية والتنمية المسئولة لموارد الأرض – إغناء روحي متبادل في تحد مستمر للجانبين و((الجيران)) العلمانيين.

4 – كل جانب يجب أن يهدف إلى تجنب ما يلي: المقارنة السلبية والتشويه – أية

(1) وردت في النص الهيئة وأظن الصواب: التهيئة

(2) هذه العبارة من عندى وأظن أن الجملة لاتستقيم بدون هذه الكلمة أوعبارة أخرى شبيهة

محاولة لفرض حل توفيقي – المحاولة المبيتة لكسب عناصر من الجانب الآخر – الإكتفاء القانع بالتعايش الجامد – المواقف الدفاعية أو العدائية للجيران العلمانيين.

5 – غالباً ما ينظر إلى الحوار كموضوع محادثة بين متخصصين أو تعاون بين هيئات منظمة. في حين أن الحوار كثيراً ما يبدأ كجزء من الإختبار اليومي بين رجال ونساء شيب وشبان من كلا الجماعتين الدينيتين وقد تباحث المشاركون تفصيلياً في ثلاثة مجالات تلاق وحوار هي: التربية، الحياة العائلية، العبادة والصلاة.

6 – الحوار في الموضوعات الإجتماعية السياسية: بعض الموضوعات تستدعي التوضيحات في حوارنا على الصعيد الإجتماعي السياسي: الإيمان والسياسة في الفكر الإسلامي والمسيحي ـ العدالة الإجتماعية والتنمية – الإيمان والسياسة في لبنان – الإيمان والسياسة عند المسيحيين العرب – المسلمون في أوروبا ـ البلدان النامية – المسيحيون والمسلمون في حالات توتر سياسي – اللاهوت والحوار – الوحي – المواقف الدينية المتبادلة – الإيمان والعلم والتكنلوجيا بالنسبة لمستقبل البشرية – الرسالة المسيحية والدعوة الإسلامية[1].

وبالنظر إلى الواقع نجد أن المسيحيين ـ وخاصة الغربيين منهم ـ لديهم باع طويل في هذا المجال، وربما نجحوا في ذلك لأنهم اكتووا بنيران الصراعات الدينية أكثرمن غيرهم، فانتبهوا إلى أهمية الحوار في وقت مبكر، وبالممارسة استطاعوا التوصل إلى إنشاء آليات لفض النزاعات وقد نجحوا في ذلك على الأقل في محيطهم الداخلي، وبالنسبة لحوارهم مع أصحاب الديانات الأخرى فقد توصلوا لرؤية واضحة تحدد أهدافهم من الحوار. أصدر مجلس الكنائس العالمي في عام 1979 وثيقة تضمنت المبادئ العامة للحوار مع أهل الأديان الحية تتضمن المبادئ الآتية:

1 – على الكنائس إيجاد السبل لتمكين الجماعات المسيحية من الدخول في حوار مع جيرانها من المؤمنين بديانات وعقائد مختلفة.

2 – يجب الإعداد للحوار معاً.

---

(1) المرجع السابق ص: (110 – 118) بتصرف

3 – على المشاركين في الحوار أن يأخذوا بالاعتبار الموروث الديني والثقافي والتنوع العقدي الخاص بكل منهم.

4 – على المشاركين في الحوار أن يتمتعوا بحرية التعريف عن أنفسهم.

5 – على الحوار أن يحرك الجهود الثقافية في المجتمع.

6 – يكون الحوار مهماً للغاية عندما يجعل المتحاورون من حياتهم جزءاً منه.

7 – يتحتم متابعة الحوار من خلال قيام مؤسسات مشتركة في المجتمع.

8 – على المشاركين في الحوار التنبه لالتزاماتهم العقدية.

9 – على المشاركين في الحوار التنبه لانتماءاتهم الثقافية.

10 – على الحوار إثارة مسألة المشاركة في الإحتفالات: الطقوس والعبادة والتأمل.

11 – يتحتم التخطيط للحوار وتنفيذه بصورة جماعية عندما يكون ذلك ممكناً.

12 – يتطلب التخطيط للحوار وضع أسس عامة له، محلية وإقليمية.

13 – يمكن دعم الحوار من خلال المشاركة الإنتقائية في اللقاءات والمنظمات المتعددة الأديان[1].

هذا التوجه يساعد في تحقيق التعايش المشترك والتعاون بين الأديان، فالطرف المسيحي ممثلاً في مجلس الكنائس العالمي ـ كما يتضح من هذه الوثيقة ـ لديه تفهم للواقع العالمي القائم على التعدد، ولديه استعداد للتحاور مع الآخر الديني، وهو لا يغفل منطلقاته العقدية والثقافية بل يؤكد على الإلتزام بها، مع استعداده للمشاركة في الطقوس الدينية والمناسبات الإجتماعية للآخرين، بل لديه استعداد للعمل مع الآخرين ضمن آليات ومؤسسات مشتركة يتفق على أهدافها، ويتطلع لأن يجعل من الحوار ثقافة تترسخ في حياة المسيحيين، هذا الإستعداد ينبغي أن يقابله استعداد مماثل من المسلمين مما يفتح الباب للتفاؤل بمستقبل زاهر ينتظر الإنسانية، تتوارى فيه ثقافة العنف وتحل محلها ثقافة التسامح إذا اتبع القول بالعمل بإنشاء آليات لهذا الموضوع تجد دعماً مادياً ومعنوياً من أتباع الديانات كافة.

---

(1) المصدر: Meeting with faith، compiled by Stuart E.Brown.w.c.c.،1989، pvIII
مقدمة إلى الحوار الإسلامى المسيحى: محمدالسماك

علينا أن ندرك أن الصراع التاريخي أملته ظروف خاصة بتلك المرحلة لا يجوز إسقاطها على الحاضر، فالإنسانية عبر مسيرتها عاشت تجارب كثيرة أفادتها، وبالتراكم المعرفي وعبر التاريخ وضرورات الواقع قفز وعي الإنسان لأهمية التعايش السلمي على كوكب الأرض، بتجاوز نزعة الإقصاء والتحرر من عبئ الماضي تطلعاً لمستقبل أفضل.

إن ضمير الإنسان الحالي كونته العقائد الدينية. والعقائد الدينية تفاعلت مع العطاء الإنساني لتتحف الإنسانية بعشرين حضارة وبعشرة ألف ثقافة إنسانية.

إن العقائد الدينية قد أعطت الإنسانية الطمأنينة النفسية والرقابة الذاتية، والتحصين الأخلاقي، والهوية الجماعية.

إننا في هذا المنحنى التاريخي من تطور الإنسانية جدير بنا أن نؤكد مرة أخرى أن الدين هام للحياة البشرية، وأن الهوية الثقافية جزء من تركيب المجتمعات الإنسانية. كذلك جدير بنا أن ندرك أن الإنسانية تخطت مرحلة الحداثة في حركة تطور لا رجعة منها إلى الوراء، بل تقفز عبر العولمة إلى عالم جديد لا يسعد إنسانه ولا يستقر حاله إذا لم يوازن بين مطالب الأصل ومطالب العصر.

مطلوب من أصحاب الديانات كافة من منطلق الحرص على وفاء له مستقبل، ومستقبل له وفاء، أن يؤكدوا تمسكهم بمبادئ تحقق تعايشاً سلمياً على كافة الأصعدة العالمية، والإنسانية، والإقليمية، والوطنيةً تهدي الإنسانية سواء السبيل وتجنبها التدين المتعصب والإنتماء الثقافي المنكفئ، والإندفاع في حداثة مستلبة وعولمة عمياء.

تلك المبادئ هي:

أولاً: الإعتقاد الديني ضرورة للإنسان: ضرورة للطمأنينة النفسية، وللرقابة الذاتية ولتحصين الأخلاق وللتماسك الإجتماعي وللهوية الجماعية. الإيمان حق إنساني إختياري لا يجوز إكراه الإنسان عليه ولا حرمانه منه. إن للحياة معنى روحياً، وكذلك لها معنى خلقياً، وهي معان نزلت بها رسالات الوحي أو تفتقت عنها الفطرة الإنسانية المتطلعة دائماً لاكتشاف معاني الحياة الروحية والخلقية.

إن الأديان هي المسئولة عن تعريف عقائدها. وإن عقائدها كما تعرفها ينبغي أن تجد الإعتراف والإحترام. إن على المجتمع كفالة حرية العقيدة لأصحابها على أن يلتزموا بالإمتناع عن فرضها بالإكراه أو نشرها بالقوة بل ان يلتزموا بالتعايش مع العقائد الأخرى ونشر العقيدة بالتي هي أحسن.

ثانياً: إن الهوية الحضارية والثقافية حق للإنسانية يجب إحترامه وكفالته على أن تعترف الحضارات والثقافات ببعضها بعضاً، وتسعى للقاح إختياري للإثراء المتبـادل، والتواصل النافع لأطرافه.

ثالثاً: حرية الفكر والبحث العلمي أساس لتقدّم الإنسانية. إن على الإيمانيين إحترام العقل الإنساني والحقائق التجريبية.

رابعاً: إن للإنسان ضرورات ينبغي إشباعها بمعادلة متوازنة وإلا اختل مزاج الإنسان وقلّ عطاؤه.. إن الإلتزام الديني السوي يتخذ موقفاً محيطاً مدركاً أن هذه الضرورات مرتبطة بفطرة الإنسان، وينبغي توافرها في تربية الإنسان وفي حياته.

خامساً: إن النظام السياسي الذي يليق بكرامة الإنسان هو النظام الذي يكفل حقوق الإنسان كما نصّ عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ـ بعد أن تتم تكملته بإضافة الحقوق الدينية والثقافية ـ ويكفل حريات الإنسان الأساسية. ويقيم السلطة السياسية على أساس إنتخابي حر ومساءلة الحكام بواسطة المواطنين.

سادساً: إن إقتصاد السوق الحـر هو الذي يحقق أعلى درجات التنمية الإقتصادية. على أن يراعى إقتصاد السوق الحر الرعاية الإجتماعية المطلوبة للسلام الإجتماعي والرعاية البيئوية المطلوبة للآيكلوجية المستدامة.

سابعاً: لقد صيغت وثائق حقوق الإنسان العالمية في وقت لم تبرز فيه أهمية حقوقه الروحية والخلقية والثقافية مما يوجب أن تراجع لتكملة النقص.

ثامناً: مسيرة الإنسانية أوقعت ظلماً على بعض الشرائح الإنسانية: إضطهاداً لونياً ونوعياً.. وشرائح إنسانية مستضعفة لصغر سنها، أو لكبر سنها، أو لأنها معاقة إن الضمير الديني والخلقي يتبنى إنصاف هذه الشرائح الإنسانية دعماً للإخاء

الإنسـاني. كذلك يتعرض العالم لكوارث طبيعية أو من صنع الإنسان.. إن على المنظمات الدينية أن تستعد دائماً لاحتواء الكوارث والنكبات.

تاسعاً: الأديان العالمية تدرك أهمية البيئة الطبيعية وضرورة رعايتها. والأديان الأفريقية تركز على التواصل بين أجيال الإنسان حاضرها وماضيها ومستقبلها، كما تركز على التواصل الوثيق بين الإنسان والبيئة الطبيعية. ينبغى إعطاء إهتمام بالبيئة الطبيعية بعداً روحياً وخلقياً لتقديس المحافظة على كوكب الأرض وإعطاء البيئة الطبيعية عافية مستدامة.

عاشراً: لقد تعولمت أنشطة الإنسان المختلفة مواكبة لمقتضيات العولمة الحميدة. إن الحاجة ملحة لمؤسسة عالمية تكون منبراً للدراسات المشتركة والأبحاث في الأديان المقارنة والإحصاء والتوثيق، مما يثري أدب الأديان المقارنة لا من زاوية أكاديمية ولكن من زاوية إيمانية مشغولة ببناء البعد الروحي والخلقي للعولمة وساعية لعمارة الكون بصورة موزونة[1].

هذا الفصل تناول الحوار الداخلي، والحوار الخارجي، واتضح مما سبق أن الحوارأفضل الوسائل للوصول للأهداف بدون خسائر تذكر؛ فبالحوار يتم استجلاء المعانى الغامضة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وسيكتشف المتحاورون أن عناصر الاتفاق بينهم تفوق عناصر الصدام، فمن الأجدى أن يترجم التنظير والتوجيه لواقع ملموس لتجنيب كوكبنا الصدامات الدامية التي يرفدها التعصب بعناصر التغذية، وسوء الفهم يغرس الكراهية مما يجعل الصدام أمرا محتوما، إن مغذيات البغض والكراهية لايمكن مواجهتها إلا بالوعي بالقواسم المشتركة التي ينبغي أن تحل محل عوامل الصدام، بهذا تنتشر في ثقافة المجتمع معاني التسامح والتواصل والتعاون، ليتشكل الرأي العام الذي يؤثر على متخذي القرارات وعندها سيراعون تطلعات المجتمع ويسعون للإستجابة لها..

(1) الصادق المهدي: نداءات العصر ـ دار الشماسة للطباعة والنشر 2002م

الفصل الخامس:

الإسلام بين الحوار والمواجهة

- **المبحث الأول**: عوامل الصراع بين الإسلام والآخر
- **المبحث الثاني**: التواصل الإسلامي مع الآخر
- **المبحث الثالث**: منهجية جديدة للتفكير

المبحث الأول:

عوامل الصراع بين الإسلام والآخر

عندما جاء الإسلام كانت قريش تسيطر على مكة سلطوياً، وعلى كل أرض الحجاز معنوياً، فقد اكتسبت مكانة في نفوس العرب؛ لسدانتها للكعبة وإشرافها على شئون البيت الحرام، وفي يثرب كان لليهود نفوذ على الأوس والخزرج بسيطرتهم على التجارة والصناعة المتاحة في ذلك الزمان وتفردهم باتباع شريعة موسى، وكانت الإمبراطورية الرومانية والفارسية؛ تمثلان القوى العظمى في ذلك التاريخ، وكانت المفارقة أن الدعوة الجديدة استطاعت أن تهدم المفاهيم الجاهلية في جزيرة العرب، وتتهاوى أمام جحافلها الفاتحة معاقل الإمبراطوريتين، وبسطت سلطانها في أقل من قرن على مناطق نفوذهما، هذا النجاح أثار حفيظة المستفيدين من النظام العالمي القديم بجاهليته وامبراطورياته، فسعوا لاستئصال الدعوة منذ البداية والقضاء عليها في مهدها: فأهل مكة ما تركوا وسيلة إلا واستعملوها ضد الإسلام والمسلمين مثل: [التشكيك والتشويه والتهديد والإغراء والتعذيب والقتل والإبعاد والحرب] واليهود لم يراعوا عهود المواطنة التي قام عليها المجتمع الجديد في المدينة؛ فغدروا بالمسلمين وانتهكوا عرضهم، وتحالفوا مع أعدائهم، وحاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم تسميماً وغدراً، والغربيون قادوا الحملة الصليبية للقضاء على المسلمين، وعندما تمكنوا منهم في الأندلس انتقموا منهم انتقاما بشعا؛ فهدموا حضارتهم، وأبادوا من تمكنوا منهم، تلك هي الخلفية التاريخية لصراع المسلمين مع الآخر، وبالبحث التاريخي المجرد نجد أن الإسلام كان هو الضحية والآخر هو المعتدي، فحروب المسلمين كانت دفاعية وليست هجومية، فالآخر عجز عن مواجهة الدعوة الجديدة بالحجة؛ فسعى لاستئصالها والقضاء عليها قضاء مبرماً، وهكذا وجدت

الظروف التي تشكلت في ظلها ثقافة العلاقة مع الآخر القائمة على العداء؛ وهي ظروف استثنائية بزوالها يعود الأصل لتنظيم العلاقة بالآخر وهو [عدم الإكراه والتسامح والوفاء بالعهد والتعاون على البر] كما اتضح في المبحث السابق، والواقع أن المجتمع البشري لم يخل من الصراعات في أي عصر من عصوره ـ فالصراع هو أحد ظواهر التاريخ الذي لم يتضاءل أمام تقدم المدنية وانتشار الديمقراطية في المجتمعات.

الصراع ينشأ من تنازع على مال أو جاه أو سلطة أو نفوذ، أو أي شيء من المصالح، ويتفاوت في درجة الحدة والخصام. فإذا ترك ليتفاقم، فإنه ينتهي إلى حروب مهلكة؛ تستنفد طاقات أطراف الصراع، وهي حروب لا تصيبهم وحدهم بل سيكون ضحاياها كثيرون، والحروب قلما تنهي الصراع، أو تزيل ما وراءه من أسباب، وقد يتعمق الصراع فيتفجر بعنف أكبر بعد حين.

على الجانب الأرشد في المسلك البشري نجد ظاهرة التنافس. والتنافس خلاف الصراع، يخضع لمستلزمات التعايش السلمي ودوافع التفاهم والتعاون لأجل المصلحة المشتركة ولتقديم أفضل ما هو متاح فيختار الإنسان ما يريد بين البدائل. النزعة التحكمية المسيطرة هي التي تدفع أصحابها للتصادم مع المخالفين وتغذيها عوامل كثيرة منها الطمع والخوف والغيرة والحسد إلى غير ذلك من الأمراض التي ما أصيبت بها أمة من الأمم إلا وأدت بها إلى العنف وقد سماها الإسلام (الحالقة). وفي العصر الحديث تجدد الصراع بين الإسلام والغرب على وجه الخصوص؛ لأسباب عديدة منها الإستشراق المشوه للإسلام والممهد للإستعمار؛ الذي أذل أمة الإسلام ونهب مواردها وزرع في بلدانها عوامل نزاع مستديمة، ورد الفعل الذي ظهر في شكل أعمال العنف الموجهة ضد الغربيين، ومظاهر الرفض لكل ماله صلة بالغرب مما جعل فريقاً من المفكرين يقولون: «إن جذور اللجوء إلى العنف لدى المسلمين، سواء من جانب الراعي والرعية، ترجع للفصل بين الديني والفلسفي على نحو أفرز أزمة في فكر الأمة الإسلامية يترتب على استحكامها اللجوء للعنف، في حين يرى اتجاه آخر إلى أن الغرب يرى أن العنف لدى المسلمين قضية هيكلية ترجع إلى النصوص القرآنية المحملة بكره الآخر والدعوة إلى قتاله، فإن اتجاها ثالثاً

يرى كيف أن القراءة الكلية لنصوص القرآن وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام تبين عكس هذا الموقف الإستشراقي القديم والحـديث على حد سواء، إن أسباب بروز الإتجاهات الراهنة الصراعية الحضارية ـ ومن جانب المسلمين بصفة خاصة ـ ترجع إلى تموضع كل ثقافة حول العناصر المتطرفة التي تزعم تمثيلها لتلك الثقافة، وتمارس العنف ضد أصحاب الثقافات الأخرى، وهو الأمر الذي يؤدي بدوره إلى إشعال نيران الغضب لدى قطاع كبير من أبناء هذه الثقافات الأخرى، ومن ثم فإن منطق الفعل ورد الفعل يؤدى إلى الإنزلاق إلى صراع الحضارات، بحيث إن فكرة صراع الحضارات لا تصبح أكذوبة بل هي خطر حقيقي. بعبارة أخرى يصبح صراع الحضارات مرض يرجع لإشكاليات فكرية ثقافية تقود إلى استخدام العنف المسلح ومن ثم تؤثر في طبيعة العلاقة بين الشعوب المنتمية إلى ثقافات مختلفة.. . ومن اعتراف هذا الإتجاه بأن هناك حالة ظلم على الشعوب الإسلامية إلا أنه يحذر من عواقب مسلك جماعات مسلمة متطرفة تسلك منهج العنف المتزامن ضد ثقافات مختلفة: روسية، هندوكية، أفريقية، على أساس أن هذا الوضع يهدد بفرض احتواء على الجماعات العربية والإسلامية. كما يحذر هذا الإتجاه من مخاطر النسبية الأخلاقية، والنسبية الثقافية لدى بعض الثقافات التي تنكر شرعية الثقافات الأخـرى، أو تنكر جانب القيم المشتركة بين الثاقافات، وهو الإنكار الذي يدعم التوجـه نحو العنف، ويمثل وباء يتواجد في أرجاء العالم المختلفة حتى في أكثرها تطوراً، والمثال على ذلك: الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة»[1] والصحيح أن الأسباب مشتركة؛ فهنالك عوامل غربية تساهم في نشر الكراهية لكل ما هو غربي في العالم الإسلامي، وهنالك تصرفات طائشة يقوم بها المتطرفون المسلمون تسئ للإسلام والمسلمين وتغذي تيارات التطرف الرافضة لكل ما هو إسلامي في الغرب.

ومع زوال المعسكر الشرقي إنبرى المفكرون والكتاب الغربيون ـ أو بعضهم على وجه الدقة ـ يشكلون عقلية الرأي العام في بلدانهم؛ بأن العدو القادم هو الإسلام لأن مبادئه تتعارض مع القيم والقواعد التي قامت عليها الرأسمالية، وقد صاغ هذا

(1) خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات ص (11ـ12) دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

المفهوم هانتنجتون[1] في أطروحته «الإسلام والغرب آفاق الصدام «وهي في الواقع توصيف لطبيعة الحضارة الغربية على النمط الامريكى، وتحليل للاوضاع من وجهة نظر غربية، وتنبؤ بما هو متوقع، وإحساس بمآلات الأمور، وتساءل: (لماذا سيقع الصدام بين الحضـارات؟ وأجاب على هذا السؤل بستة عوامل هي فرضيات الصراع الحتمي بين الحضارت على حد قوله تلك العوامل هي:

الأولى: أن التباين والإختلاف الحضاري ليس حقيقة فحسب بل هو الأساس فالحضارات تختلف عن بعضها بعضاً بفعل التاريخ واللغة والثقافة والتقاليد، والأكثر أهمية عامل الدين؛ فأصحاب الحضارات المختلفة يعتنقون معتقدات مختلفة عن العلاقة بين الله والإنسان، والفرد والجماعة، وبين المواطنين والدولة، وبين الآباء والأبناء، وبين الزوج والزوجة، وذلك بالإضافة إلى رؤى مختلفة عن الأهمية النسبية للحقوق والمسئوليات والحرية والسلطة والمساواة...

الثانية: التقارب بين أجزاء العالم، وتزايد التفاعل بين أصحاب الحضارات المختلفة؛ هذا التفاعل المتزايد يكثف الوعي والإدراك الحضاري للإختلاف بين الحضارات والجماعات الدخيلة على هذه الحضارات.. مما ينشط بدوره اختلافات وتباينات تعود أو يعتقد أنها تعود لتضرب في أعماق التاريخ.

الثالثة: إن عملية التحديث الإقتصادي والتغيير الإجتماعي في مختلف أنحاء العالم تنزع الناس من هوياتهم المحلية طويلة الأمد، كما أنها تضعف الدولة القومية كمصدر للهوية، وفي معظم أرجاء العالم تقدم الدين ليسد هذه الفجوة؛ وغالباً في شكل حركات توصف «بالأصولية «وتوجد مثل هذه الحركات في المسيحية الغربية واليهودية والبوذية والهندوسية والإسلام. وفي معظم الدول ومعظم الديانات فإن النشطاء في الحركات الأصولية هم من الشباب الحاصل على شهادات جامعية ومن الفنيين والحرفيين والتجار المنتمين إلى الطبقة المتوسطة..

---

(1) نشر صامويل. ب. هانتنجتون – وهو مفكر استراتيجى.. يهودى الديانة.. أمريكى الجنسية – يعمل مديرا لمعهد "جون. م. أولين " للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد الامريكية – نشر هذا المقال بمجلة الشئون الخارجية الامريكية – وهى دورية متخصصة عالية المستوى بعنوان: The Clash of Civilization سنة 1993م

الرابعة: إن الدورالمزدوج للغرب عزز زيادة الوعي الحضاري. فمن ناحية يعيش الغرب أوج قوته، وفي الوقت نفسه، ومع ذلك وربما نتيجة لذلك تحدث ظاهرة العودة إلى الجذور بين الحضارات غير الغربية.. فالغرب في ذروة قوته يواجه غير الغرب، الذي بات وبشكل متزايد يملك الرغبة والإرادة والموارد لتشكيل العالم بأساليب غير غربية.

الخامسة: إن الإختلافات والخصائص الثقافية أقل قابلية للتغير، ومن ثم فإنها أقل سهولة في تسويتها وحلها عن الإخلافات السياسية والإقتصادية.

السادسة: إن الإقليمية الإقتصادية آخذة في التزايد.. ومن المرجح أن تتواصل زيادة أهمية التكتلات الإقتصادية الإقليمية في المستقبل؛ فمن ناحية فإن الإقليمية الإقتصادية الناجحة ستعزز الوعي الحضاري. ومن ناحية أخرى فإن الإقليمية الإقتصادية ربما تنجح فقط عندما تنمو جذورها في حضارة مشتركة.. وإذا كانت الثقافة المشتركة تمثل شرطاً مسبقاً للإندماج الإقتصادي فمن المحتمل أن يتركز محور الكتلة الإقتصادية الأساسية لشرق آسيا في الصين.. وتشكل الثقافة والدين أيضاً أساس منظمة التعاون الإقتصادي التي تضم عشر دول إسلامية غير عربية؛ هي:إيران وباكستان وتركيا وآذربيجان وكازاخستان وقرغيستان وتركمانستان وطاجاكستان وأوزبكستان وأفغانستان.. وكما يحدد الناس هويتهم وفقاً لمعايير عرقية ودينية فمن المرجح أن ينظروا إلى علاقة «نحن» مقابل «هم» تقوم بينهم وبين أصحاب ديانة أو عرق مختلف، وسمح انتهاء الدول الآيديولوجية في شرق أوروبا والإتحاد السوفيتي السابق؛ بأن تحتل العداوات والهويات العرقية صفوف المقدمة، وتخلق الإختلافات في الثقافات والدين خلافات حول قضايا السياسة؛ تتراوح من حقوق الإنسان إلى الهجرة إلى التجارة والبيئة.. والأهم أن مساعي الغرب لترويج قيمه في الديمقراطية واللبرالية كقيم عالمية للحفاظ على هيمنته العسكرية وتعزيز مصالحه الإقتصادية قد خلقت ردوداً مضادة من جانب الحضارات الأخرى. ومع تضاؤل القدرة على حشد التأييد وتشكيل التحالفات والإئتلافات، على أساس أيديولوجي؛ ستحاول الحكومات والجماعات بصورة متزايدة حشد التأييد باللعب على وتر الدين والهوية الحضارية المشتركة. وهكذا فإن صدام الحضارات يقع على مستويين: على مستوى صراعات جماعات التخوم؛

على طول حدود الهوة الفاصلة بين الحضارات؛ الذي غالباً ما يتخذ شكلاً عنيفاً حول السيطرة على الأرض، وكل منها على الآخر. وعلى مستوى المؤسسات الدولية؛ فإن الدول صاحبة الحضارات المختلفة التي تتنافس على قوة إقتصادية وعسكرية نسبية تتصارع حول السيطرة على المؤسسات الدولية والأطراف الثالثة؛ كما تتنافس في ترويج قيمها الدينية والسياسية)[1] انتهى[بتصرف]. تلك هي الإفتراضات التي بنى عليها المفكر الأمريكي الياباني الأصل «هنتينجتون» نظريته حول صراع الحضارات؛ وغذى هذا الشعور بل أكده زلزال الحادي عشر من سبتمبر؛ الذي قلب الموازين، وأدى إلى تغيير في السياسة الدولية؛ قادت كِبْرَه الولايات المتحدة الأمريكية. إن قراءة هانتينجتون فيها جانب من الصواب؛ باعتبار أن الدولة التي يعيش فيها؛ قامت على خلفية صراع دموي؛ أبادت بموجبه السكان الأصليين أو كادت وظلت عقلية الصراع تصبغ سياستها ومواقفها، ولكن إن صحت هذه الإفتراضات فى نهج الغرب الحضاري على النمط الأمريكي؛ فإنه لا يصح على الحضارات الأخرى، وخاصة الحضارة الإسلامية. فالإسلام منذ نزوله نشر وسط المؤمنين به وعياً بالتباين والإختلاف بين القوميات والثقافات والعقائد؛ ووضع تشريعاً ينظم التعامل مع هذا التباين؛ يقوم على العدل والمساواة والبر والتعاون، فالوعي بالإختلاف الحضاري عند المسلمين ليس جديداً، وإن كان التقارب الكوني قد ساعد في تأكيد ما نطق به القرآن وصار مشاهداً رأي العين، أما نزعة الهيمنة والسعي لفرض القيم بالقوة؛ فهو نهج غربي؛ واستعمارالغرب للشعوب خير دليل على ذلك. ومحاولة فرض المفاهيم والنظم الغربية في الحقبة الراهنة شاهد آخر، وأبلغ دليل واقعي على ذلك هو قيام إسرائيل على أرض عربية بعد تهجير أهلها والسعي لاسئصال الباقين منهم. ومما لا ريب فيه أن محاولة الغرب فرض قيمه على الآخرين دون أن يكون لهم الحق في الإنتقاء أو التوليف أو التكييف لتلك القيم كي لا تتعارض مع معتقداتهم وثقافاتهم؛ خلق صراعاً في كثير من أنحاء العالم، كما أن محاولات السيطرة والهيمنة من قبل الغرب أدت إلى ردود فعل عنيفة في كثير من أنحاء العالم، إن علاقة الغرب بالإسلام تواجه تحديات كبيرة، فهنالك عوامل تجعل مفهوم

(1) الإسلام والغرب – آفاق الصدام: تأليف صموئيل بى. هانتينجتون. ترجمة مجدى شرشر ص(11 – 20) مكتبة مدبولى الطبعة الأولى 1415هـ–1995م القاهرة

الصراع الحضاري مهيمناً على العقليتين الإسلامية والغربية وبالرغم من المحاولات التي يقوم بها المنصفون هنا وهناك لاحتواء الموقف إلا أن الأمر يحتاج إلى جهد ووقت، فالغرب ينظر إلى العالم الإسلامي من خلال استدعائه للمخزون التاريخي في علاقته بالإسلام، ومن خلال الأحداث المعاصرة التي حمل فيها المتطرفون الراية وشوهوا صورة الإسلام. والمسلمون لا تزال ذاكرتهم تختزن تاريخ الإستعمار وممارساته ومخلفاته، كذلك وجود الكيان الصهيوني - الصناعة الإستعمارية - في قلب الأمة يُنَمّي بذرة الصراع، إضافة إلى أحداث تُنتج يومياً تسئ لكل من له صلة بالإسلام وتحتقره، هذه العوامل وغيرها تعتبر من مغذيات النزعة الصدامية.

لقد أدركت جهات كثيرة في الغرب وفي العالم الإسلامي؛ خطورة الإتجاه الصدامي وسعت لاحتواء الموقف بعدة وسائل وحتى المنظمة الدولية ـ الأمم المتحدة ـ أدلت بدلوها في هذا الخصوص. ففي كلمة للأمين العام للأمم المتحدة: كوفي أنان خلال منتدى بعنوان «مجابهة التعصب ضد الإسلام: التثقيف من أجل التسامح والتفاهم»، نظمه قسم شؤون الإعلام التابع للمنظمة الدولية. في ديسمبر2004م شدد أنان في كلمته على ضرورة «عدم إغفال السياق السياسي في أي نظرة أمينة لمعاداة الإسلام»، مشيراً إلى «الاستياء الذي يعززه عدم حل الصراعات في الشرق الأوسط، والوضع القائم في الشيشان، والفظائع التي ارتكبت ضد المسلمين في يوغوسلافيا السابقة». وأضاف أنان أن «رد الفعل إزاء تلك الأحداث؛ يمكن أن يكون عميقاً وعفوياً، إذ يكاد يثير إحساساً شخصياً بالإهانة». وأوضح الأمين العام أن «ردود الفعل هذه سياسية، إذ أنها خلافات مع سياسات معينة، وغالباً ما يساء فهمها فينظر لها باعتبارها رد فعل إسلامي مناهض للقيم الغربية، مما يؤدي إلى فعل معاد للإسلام».

وقال أنان ان «الجهود المبذولة لمكافحة التعصب ضد الإسلام؛ لا بد أن تُعني أيضاً بمسألة الإرهاب والعنف الذي يُرتكب باسم الإسلام. فلا ينبغي الحكم على الإسلام بأفعال المتطرفين الذين يعمدون إلى استهداف المدنيين وقتلهم، فالقلة تسئ إلى الأغلبية، وفي ذلك ظلم للأغلبية». وأشار الأمين العام إلى ضرورة أن يدين الجميع «أولئك الذين يرتكبون مثل هذه الأعمال الذميمة التي لا مبرر لها.

وينبغي للمسلمين على الأخص أن يجهروا بالقول، كما فعل العديد منهم في أعقاب الهجمات التي وقعت في 11 أيلول (سبتمبر) ضد الولايات المتحدة وأن يبدوا التزاماً بعزل أولئك الذين يدعون إلى العنف أو يمارسونه، وأن يوضحوا أن هذه الأعمال تشوه صورة الإسلام تشويهاً لا يمكن قبوله أو الاغضاء عنه». وقال أنان انه «من الضروري أن تنبع الحلول من داخل الإسلام نفسه، ربما في إطار مبدأ الاجتهاد الإسلامي الذي يعني التفسير الحر للأمور»، معتبراً أن تلك «المصارحة وذلك الانفتاح على ما هو جيد وما هو سئ في ثقافاتهم وثقافات غيرهم؛ قد يتيح طريقاً مفيداً جداً تمضي عليه هذه المسألة وغيرها». واعتبر الأمين العام للأمم المتحدة أنه «لا بد لأي استراتيجية لمكافحة معاداة الإسلام؛ أن تعتمد بقوة على التثقيف، ليس بشأن الإسلام فقط فحسب، بل بشأن جميع الأديان والتقاليد، بحيث تتراءى وتتضح الأباطيل والأكاذيب». وأشار إلى ضرورة الحيلولة دون استخدام وسائل الإعلام والإنترنت لنشر الكراهية، مع القيام بحماية حرية الرأي والتعبير.. انتهى[1]..

هذ الحديث ينم عن إلمام واسع للأمين العام للمنظمة الدولية بما يحدث في العالم، كما يوضح معرفته بقضايا العالم الإسلامي وتعقيداتها، ويؤكد من ناحية أخرى ما ذهب إليه البحث من أهمية التسامح لدى الجميع أما الصورة الثانية فنراها في تصورات كاردينال كاثوليكي بارز، وفي مفاهيمه ومقترحاته، وهو الكاردينال «جود فرايد دانيلز» كاردينال بلجيكا، وكبير أساقفة بروكسل، ميشلان، لقد قال هذا الكاردينال: (إن على المسلمين ان يستعدوا لتفسير القرآن بقدر أكبر من المرونة. وأنه يجب على المسلم الأوربي: ألا يرى تناقضاً بين اعتناق الإسلام وبين الاندماج في الثقافة الأوروبية.. من جهة أخرى: يجب أن يتخلى الجانبان [المسيحي والمسلم] عن افكار الماضي، وأن يتوصلا إلى افكار يقبلها الطرفان، فهناك الكثير من الأشياء الملتصقة بالذاكرة، وعلى سبيل المثال: لدى الطوائف المسلمة ذكرى الصليبيين التي ما زالت حية في الأذهان)[2]. هذا الإهتمام الدولي يبين أن الجميع يتطلعون إلى تجاوز مناخ الصراع والبحث عن صيغة تساعد على التسامح والتعايش.

(1) جريدة الشرق الأوسط العدد (9507) بتاريخ 8 ديسمبر2004م

(2) الركابي: الشرق الأوسط العدد (9510) بتاريخ: 11ديسمبر2004

المبحث الثاني:

منهجية جديدة للتفكير

إعجاز الإسلام يتمثل في المبادئ العامة التي جاء بها، والكتاب الكريم الذي نزل به، والتعاليم المرنة التي شرعها، والمفاهيم المحيطة التي أتى بها. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت:41-42] وأما الإسلام كتطبيق وتنزيل على أرض الواقع فإنه يعتبر تجربة بشرية؛ يعتريها ما يعتري البشرية من نقص وقصور، ونجاح التجربة البشرية محكوم بتوفر شروط النجاح، قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:110] واقع المسلمين يقول إن كثيراً من المسلمين يعتبرون أنفسهم بأنهم خير الناس دون أن يلتزموا بشروط الخيرية! وهذا يدخل في باب الأماني..

إن بعض أوجه القصور التي صاحبت المسلمين سببها: تضخيم الذات، وطلب النجاح دون بذل مجهود، وتحميل الغير مسئولية الإخفاقات، هذه النظرة إن لم تتغير سوف تتوالى الكوارث علينا ونسلم قيادنا لأعدائنا فيبرموا أمرنا دون أن نستشار قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:11] كثير من دول العالم الإسلامي استنكرت الدعوة لتغيير المناهج في الدول الإسلامية، والفضائيات العربية تستضيف من تعتبرهم قادة الرأي والفكر لمعرفة آرائهم في هذا الموضوع، وكالعادة بعضهم رفض ذلك بشدة واعتبره استعماراً جديداً، وبعضهم أيّد على أساس أن المشروع الإسلامي قد فشل في إيجاد حلول لمشاكل الأمة، وآخرون تحفظوا!! فما هو الموقف الصائب؟ أعتقد أن معظم الرافضين تأثروا بموقف الإدارة الأمريكية وربطوا الدعوة لتغيير المناهج بمشروع الشرق الأوسط الكبير؛ الذي تعمل

الولايات المتحدة لتسويقه لتطبيع العلاقة مع إسرائيل ولاستيعابها في هذا المشروع، ولكن بغض النظر عن الموقف من الولايات المتحـدة الأمريكية –ـ وهو موقف مفهوم ومشروع – فإن مناهجنا تحتاج لمراجعة للأسباب الآتية:

أولاً: العالم الإسلامي تهيمن عليه عدة مناهج: فالمنهج الرسمي في الغالب منهج مذهبي تقليدي يعتمد آراء صاحب المذهب الذي تتبعه الدولة؛ في التعليم والقضاء الشرعي، وبعض الدول تتخذ اكثر من مذهب، وهنالك المنهج الذي تتبعه حلقات الدروس التقليدية في المساجد والحوزات والمجامع العلمية؛ وكلا المنهجين يعتمد على الحفظ والرواية والتقليد والالتزام الحرفي بآراء السلف؛ في التفسير والفقه والسيرة والسنة، وهنالك مناهج الحركات الإسلامية الحديثة؛ التي ثارت على الأوضاع القائمة وادعت التجديد والاجتهاد ولكنها ما لبثت أن لجأت إلى التقليد وفرضت على عضويتها دراسة كتب محددة بعينها، وحرمت عليها الانفتاح على اجتهاد الآخرين، هذه المناهج تخلو من التحليل، والنقد، والمقارنة، وأهم الأخطاء التي لازمتها هي:

ـ **الخطأ الأول**: إعطاء قدسية لآراء المجتهدين السابقين؛ فأصبحوا هم مراجع الماضي والحاضر والمستقبل.

ـ **والخطأ الثاني**: هو عدم التمييز بين النصوص القطعية الورود والدلالة والنصوص الظنية.. وبالتالي عدم التمييز بين الثابت والمتغير من أحكام الإسلام..

ـ **والخطأ الثالث**: هو إسقاط مشاكل الماضي على الحاضر، فالخلاف التاريخي بين السنة والشيعة لا زال يلقي بظلاله على علاقات الطرفين، وفقه الصراع مع الآخر الملي؛ الذي يقسم العالم إلى دولة سلم ودولة حرب؛ لا زال يدرس بالرغم من زوال مسرحه، وصارت كل الدول الإسلامية تقريبا؛ موقعة على ميثاق الأمم المتحدة! وبالرغم من أن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين قطعت شوطاً بعيداً حتى أنه في فبراير2004م عقد اتفاق بين السنة والشيعة في العراق؛ رعته الكنيسة الأنجليكانية وأشرفت عليه! وما

زالت حلقات العلم والمعاهد والجامعات الإسلامية تدرس أحكام أم الولد، والمكاتب، والمدبر؛ بالرغم من إلغاء الرق وزواله منذ عدة عقـود..

ـ **والخطأ الرابع**: هو تبرير الاستبداد السياسي؛ واعتبار أي معارضة له هي دعوة إلى الفتنة، هذا النهج غيب فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، واسقط النصح الذى هو فريضة اسلامية ووسيلة لحماية السلطة من الانحراف..

إن هذه المناهج هي التي شكلت عقلية غالب المسلمين وهي المسئولة ـ مع عوامل أخرى ـ عن أوضاعنـا الراهنة التي تقودها أفكـار عاجزة عن مواجهة تحديات الحاضـر وفشلت في استنهاض الأمة فأسلمتها إلى أعدائها ليقـرروا مصيرها.

ثانياً: الولايات المتحدة طعنت في عقر دارها في الحادي عشر من سبتمبر 2001م فتحركت بأساطيلها البحرية والجوية وجنودها لتغيير النظم السياسية التي تعمل ضد مصالحها وتهندس الآن – في عهد الرئيس بوش الابن– مشروعاً ثقافياً وسياسياً لتغيير المناهج التي تفرخ الإرهاب فكما أنها غزت أفغانستان والعراق دون اعتبار للشرعية الدولية؛ فهي تتشاور مع حلفائها الغربيين لصياغة مشروعها السياسي والثقافي الذي تسعى لتطبيقه في منطقة الشرق الأوسط؛ دون أن تستشير أصحاب الشأن!

إن المشروع الأمريكي يحمل في باطنه الخير والشر: فالتغيير مطلوب، ولكن الوسائل غير شرعية والأهداف غير نبيلة (إنها كلمة حق يراد بها باطل) فإن لم نبادر لتغيير المناهج بالصورة التي تحقق لنا التمسك بالأصل ومسايرة العصر؛ فإن التغيير سيفرض علينا وسيكون تغييراً لخدمة المصالح الأجنبية وليس لمصلحة الإسلام، والمكابرة غير مجدية في هذه المرحلة؛ فالآخرون يفعلون ما يريدون ونحن نكثر من الإحتجاج بوسائل عقيمة لا تلبث أن تتلاشى!! والشواهد أكثر من أن تحصى، فالقضية الفلسطينية تراجعت عما كانت عليه عندما رفض التقسيم، والوحدة الإسلامية تتصدع كل يوم، والخطاب الدينى لم يكن تأثيره كما كان، لا بد من إدراك الواقع للتعامل معه بوعى..

ثالثاً: المفاهيم الخاطئة لا تجد وسائل مقاومة تتصدى لها بفاعلية، فوسائل نشرها متقدمة على وسائل كبحها، فلا بد من إعادة النظر في وسائل المقاومة وأدواتها.

إن تغيير المفاهيم الخاطئة لن يتم ما لم نجفف المنابع التي تغذيها، والمناهج القائمة واحدة من عوامل تفريخ المفاهيم والمواقف الخاطئة. كنت أتناقش مع أحد الأساتذة فوجدته مشبعاً بأفكار خلاصتها: أن الجهاد واجب علينا ضد الكفار إما أن يسلموا أو نقتلهم، وأن النصارى هم أهل ذمة ومواطنون من الدرجة الثانية، وواجبنا أن نضايقهم في الطرقات فيسيروا في أطراف الطريق، وأن الحديث عن المواطنة والدولة المدنية هو تطويع للإسلام من أجل إرضاء الكفار، وهذا الأستاذ ملتزم بتدريس هذه الأفكار لتلاميذه! وهو مسلم من عامة المسلمين لا ينتمي لأي جماعة إسلامية حتى نقول إنها جنّدته وغرست في ذهنه هذه الأفكار؛ إنه استقى هذه المفاهيم من المناهج الدراسية ومن خطب الجمعة، وأمثاله كثر في مجتمعاتنا!!.

إن التغيير مطلوب ولكنه يجب أن يكون بأيدينا وإرادتنا لا أن يفرض علينا فالتغييرعلى الطريقة الأمريكية استبدال لباطل بباطل؛ لأن المشروع الأمريكي يهدف للقبول بإسرائيل وتطبيع العلاقات معها، واعتبار حركات المقاومة حركات إرهابية، أما مشروعها الديمقراطي فقد رأينا نموذجه في العـراق، فحاكم العراق الأسبق (بريمر) رفض نتائج الإنتخابات العراقية الأولى؛ لأنها أتت بأحزاب تتبنى الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع! وقال نرفض أن يكون الإسلام مصدراً للتشريع في الدستور العراقي المقترح، ومعاقبة الشعب الفلسطيني على قراره الحر في اختيار من يمثله؛ يوضح لنا أن الغرب الرسمي لا يقبل الإصلاح إلا وفق رؤيته، فالمشروع الأمريكي مشروع تدجين وتطويع وحماية للمصالح الأمريكية؛ لا مشروع تغيير لمصلحة شعوب المنطقة، وإذا كان الحكام في عالمنا لا يستجيبون لإرادة الجماهير إلا بالضغوط الخارجية؛ فإنهم سيرتكبون خطأين:

الأول: إن عدم الاستجابة لتطلعات شعوبهم؛ تفقد هذه الشعوب الثقة، وفقدان الثقة أحد عوامل الإنحطاط الحضاري.

والثاني: دفع شعوبهم للاستعانة بالأجنبي ليحقق لهم أهدافهم؛ وهذا يفتح الباب للانبهار بالآخر، ويدفع الشعوب للاستلاب. والإنصاف يقتضى عدم التعميم؛ فالموقف الأمريكي لا ينطبق على كل الغربيين، بل لا ينطبق على كل الأمريكيين،

فهنالك تيارات عديدة أمريكية تعارض نهج إدارة الرئيس السابق بوش؛ الذي ينزع نحو العنف وهو أحد الأسباب التي ساعدت الرئيس أوباما؛ في تحقيق الفوز الكاسح الذي حظي به، وبعض الدول الأوربية موقفها إيجابي؛ حيث تسعى إلى تحقيق الإصلاح بالتعاون مع أهل المنطقة؛ ففي مؤتمر ميونيخ الأربعين الذي عقد في: 17 فبراير 2004م قدم وزير خارجية ألمانيا ـ آنذاك ـ السيد: يوشكا فيشر؛ مقترحاً دعا فيه إلى توقيع إعلان من اجل مستقبل مشترك يقوم على ثلاثة مبادئ هي:

- **المبدأ الأول**: يعلن الموقعون إيمانهم بالأمن ونبذ العنف، وبالديمقراطية والتعاون الاقتصادي، وبالحد من التسلح ونزع السلاح، ونظام الأمن التعاوني، ويلتزم كل الموقعين المشاركة في مكافحة الإرهاب معاً..
- **المبدأ الثاني**: يرى الموقعون في سياسة الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الدولة والمجتمع؛ الرد الحاسم على تحديات القرن الحادي والعشرين، ويدعمون دمج اقتصاداتهم الوطنية، كما يسعون إلى الحكم الرشيد الذي يلتزم حقوق الإنسان والحق والقانون، والى مشاركة المواطنات والمواطنين في عملية صنع القرار السياسي، والى مجتمع مدني قوي ومستقل، ومساواة المرأة ودمجها في الحياة العامة..
- **المبدأ الثالث**: يلتزم الموقعون إتاحة فرصة المعرفة والتعليم للجميع؛ من نساء ورجال على قدم المساواة، والهدف من ذلك بناء مجتمعات المعرفة في المنطقة. ويتفق هذا الهدف والمهمة الاستراتيجية المحورية التي عرفها تقرير التنمية الاستراتيجية العربية. إن ما يميز المشروع الألماني هو أنه يدعم التطلعات الشعبية في المنطقة بالتعاون مع أهلها ولا يؤيد فرض إصلاحات خارجية..

رابعاً: التغيير الذي ننشده هو تغيير للمناهج المنتجة للمفاهيم الخاطئة؛ والتي أقعدت أمتنا عن النهضة، وتغيير للنظم السياسية القائمة على الاستبداد؛ والتي قتلت في شعوبنا روح المقاومة بسبب الانتهاكات المستمرة لحقوق الإنسان وغياب الحريات، وتغيير للوسائل التي نفّرت ولم تبشر، وعسّرت ولم تيسر، حيث غابت الحكمة والرحمة والتدرج، وسادت وسائل الحماقة والتطرف والغلو..

خامساً: لكي تصحو أمتنا من غفوتها، وتقوم بأداء رسالتها؛ فإننا محتاجون لثورة معرفية تنفض عن معارفنا غبار السنين، وتضع منهجاً يستند على مصادر المعرفة الأربعة: (الوحي والإلهام والعقل والتجربة) ومحتاجون لمنهج تأصيلي؛ يميز بين الثابت والمتغير من أحكام الإسلام، ويوفق بين الأصل والعصر، ويستوعب المستجدات في الساحة العالمية، ويحدد مرابطها في الفقه الإسلامي، ومحتاجون لمؤسسة للاجتهاد؛ تضم كل أهل التخصص في شتى العلوم والمعارف؛ لتقوم بواجب الاجتهاد العصري، حتى نكتب لأمتنا عمراً جديداً، ونحقق عالمية هذا الدين؛ الذي جاء لكل الناس. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:105].

هذا المنهج الذي نتطلع إليه يؤسس لقواعد ضرورية لإدارة الحوار تعالج مثالب المنهج الإعتذاري الدفاعي منها:

1 – الإهتمام بالحوار البيني؛ ومنه الحوار السني الشيعي، والحوار الداخلي، فمن الضروري ألا يستأثر الحوار بين الحضارات على الإهتمام، فهنالك أهمية للحوار الداخلي بين الشعوب وحكوماتها، وبين التيارات الفكرية والحركية المتنوعة. ورغم أن هناك توجساً من إمكانية نجاح مثل هذا الحوار، إلا أن المهتمين به يؤكدون أنه لا بد من التعويل على عنصر الوقت لإنجاح هذا الحوار على المدى المتوسط والطويل.

2 – المطلوب في الحوار ليس الدفاع عن الأصل فقط ولكن إدراك أن الهجوم على الأصل ـ الإسلام ـ ليس إلا وسيلة لتحقيق أهداف سياسية، ومن ثم ضرورة أن نتصدى لسيل تشويه صورة العرب والمسلمين في كل القنوات الممكنة، وبكل السبل المتاحة، وفق إستراتيجية مخططة للحركة المنظمة.

3 – ومن اهم أسس هذه الإستراتيجية: نقد الذات أولاً، ثم العمل المؤسسي، ومن خلال تنسيق الجهود بين المؤسسات العربية والإسلامية؛ سعياً نحو تفعيل الموارد المادية البشرية المحدودة القادرة على الحوار بفعالية.

4 – التنسيق وتوزيع الأدوار يجب ألا يقتصر على المؤسسات الرسمية، ولكنه يجب

أن يمتد إلى المستوى المدني والأكاديمي والشعبي، فالحوار الحضاري متشعب ومتعدد المستويات. فمن يحاور من وأين؟ هذا سؤال هام، يتوقف عليه تحديد أطراف الحوار وموضوعاته وأهدافه. والإجابة على هذا السؤال تمثل جوهر الإستراتيجية التي يلزم لوضعها وتنفيذها مؤسسة فاعلة تخطط وتنسق وتنفذ.

5 – الحاجة إلى اجتهاد فكري معاصر قوى وفاعل، لأن الإسلام وإن كان يتضمن تنظيرات ورؤى تأصيلية حول وحدة الإنسانية والإستخلاف والعمران والتوازن في الكون وغيرها، إلا أن الممارسات في تاريخ المسلمين وواقع المسلمين تثير أكثر من علامة استفهام حول الفجوة بين الأصل والعصر، وبين الواقع مروراً بخبرة التاريخ[1].

إن مشاكل الأمة تزداد كل يوم، وتتحول إلى أزمات، والمنهجية المتبعة غيرقادرة على إيجاد حلول لها؛ لأنها منهجية وضعت لزمان غير زماننا، ولظروف تختلف عن الظروف المعاصرة، فكما أن المصلحين من فقهاء وعلماء الأمة قديماً قد اجتهدوا بالتصدي للمستجدات في زمانهم ووجدوا تكييفاً شرعياً للتعامل معها؛ فإن واجب المصلحين من الخلف لا يقل عن واجب من سبقهم، وعطاء القرآن لم يتوقف فقط يحتاج إلى من يستنطقه.

(1) (د. نادية مصطفي ود.علاء أبوزيد: خطابات عربية وغربية في حوارالحضارات ص (10 ـ 11)

المبحث الثالث:

التواصل الإسلامي مع الآخر

النقلة الكبرى التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإنساني تتمثل في المفاهيم الجديدة التي جاء بها، والمبادئ التي دعا إليها، والقواعد التي رسخها، وهي جديدة على المجتمع الانساني؛ الذي كانت تسيطرعليه مفاهيم ساذجة، وعقائد وثنية في الغالب، وفوارق إجتماعية؛ بسبب اللون أو العرق أو النوع، ومن أبرز ما جاء به الإسلام: أن العقيدة جاءت بتوحيد الله وكرامة الإنسان، والعبادة ليست علاقة روحية بين العبد وربه فحسب؛ بل لديها بعد إجتماعي، والعلاقات الإجتماعية تقوم على المساواة والعدل والرحمة والبر. لقد ألغى الإسلام التمايز الطبقي بين الناس، وأكد وحدة الأصل الانساني، وشرع لإلغاء الرق الذي كان سائداً في المجتمع البشري، وكما حرر الإسلام الإنسان من إستعباد أخيه الإنسان، حرره أيضاً من رق آخر هو أسوأ من الإستعباد: ألا وهو خضوع العقل للخرافة والتضليل المعرفي؛ فقد (كان الناس يتعاملون مع الكون بحشد من المخاوف والأساطير، وكانوا يخشون أنهم لو فشلوا في ممارسة السحر والطقوس والترانيم الوثنية في اتصالهم بالكون؛ فإنهم سيباغتون بانقلاب في نظام الطبيعة كله. وكانوا يفسرون الكون تفسيراً خرافياً عجيباً. فمنهم من يفسر حركة الكسوف والخسوف بأن وحشاً ضخماً قد قضم الشمس أو القمر.. ومنهم من يقول بأن الأرض محمولة على قرن ثور، وان حركة المد والجزر ليست سوى أثر من آثار شهيق الثور وزفيره.. ومنهم من جزم بأن السماء «قبة« من نحاس، وان من يزعم غير ذلك فهو ملحد مهرطق يجب قتله.. ولم يكن العرب استثناء من هذه الأساطير والأوهام فيما يتعلق بالكون. فقد كانوا ملفوفين في ظلمة التنجيم والتكهن والتطير. وخرافات الهامة والصفر والغراب الأسود:

يا عبل كم يشجى فؤادى بالنوى ويروعني صوت الغراب الأسود[1]

هذه ـ ونظائرها ـ هي: «مفاهيم« الناس في العالم ـ بوجه عام ـ عن الكون: تصوراً وتفسيراً وموقفاً وتعاملاً)[2]. هذه الأوهام نتاج طبيعى لنهج العقائد المتبعة في ذلك الزمن، ومصادر المعرفة قائمة على الظنون والتخمين، وليس على التفكير واستنتاج العقل، وقد حارب الإسلام هذا النهج بقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:23].

ويمكن أن نلخص مبادئ الإسلام العامة المؤصلة لعلاقات إنسانية أخوية تشمل جميع بني البشرفي النقاط الآتية:

النقطة الأولى: البعد المعرفي: لقد كانت الدعوة للقراءة أول كلمات الوحي نزولاً: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:1-5] والدعوة للتفكر والتدبر؛ والتعقل ميزت الإسلام على غيره من الأديان، ونقلت الإنسان من العقلية الخرافية إلى العقلية العلمية. فالقرآن الكريم يحث على التفكر في الكون؛ سماء وأرضاً وفي المخلوقات المبثوثة في الأرض وفي النفس البشرية، فهذه الكونيات واحدة من قضايا الإسلام الكبرى التي ينبغى للإنسان إدراك سننها وقوانينها؛ ليستفيد من تسخيرها في تحقيق مصالحه وبذكر بعض النصوص القرآنية في هذ الجانب يتضح هذا المعنى:

ـ قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس:24-32] هذه الآيات تحث الإنسان على عدم تغييب تفكيره حتى في الأمور التي تعتبر بدهية؛ كالطعام والشراب وما يحيط به من خضرة وحيوان. إن الإسلام بدعوته لهذا النوع من التفكير يؤكد أهمية الجدية للحياة فكل نشاط فيها يجب أن يخلو من العبث واللامبالاة.

---

(1) شاعرالحب والحرب عنترة بن شداد ص(60) د. إبراهيم محمد قاسم مطابع الإشعاع بالزقازيق – مصر : رقم الإيداع بدار الكتب 1988/ 8046

(2) زين العابدين الركابي: الشرق الأوسط

ـ قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة:58-72] هذه النعم لارتباطها بالإنسان؛ يتعامل معها بتلقائية تكاد تنسيه الربط بينها وبين مصدرها، مع أنها عناصر الحياة البشرية إذا فقد واحدة منها لتعذرت حياته، إن الخالق يذكرنا بهذه النعم حتى يكون حاضراً دائماً معنا، فبذكره وشكره نحافظ على استمرار الحياة وننال بركتها.

ـ قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية:17-20] إذا تدبرنا هذه الآيات وجدناها تمثل أصول العلوم البايلوجية، والفلكية، والجيولوجية، والطبيعية، والجغرافية؛ وهي ملك عام للإنسانية، فالإسلام عن طريق المعرفة؛ خلق جسور تواصل بين بني البشر، وأصَّل لعلاقات إنسانية هادفة لتحقيق المصالح المشتركة للإنسانية.

فبتحرير العقل من الخرافة وتسخير الكون للناس خلق الإسلام تواصلاً معرفياً بين الإنسانية، إن نتائج العلوم التجريبية لا تخضع للهوى، ولا هوية لها، فكل من امتلك أدواتها وصل إلى نفس النتيجة، لذلك كان التنوير القرآني في مجال الكونيات ليس محتكراً للمسلمين؛ وإنما هو متاح لكل الإنسانية وهي مدعوة له، وكان لهذا «التنوير القرآني» بالكونيات: أثره العميق الواسع في الواقع البشري: في الحضارة الإسلامية وفي الحضارة الغربية

قبل ألف عام ـ تقريباً ـ بعث ملك انجلترا: جورج الثاني الى الخليفة في الأندلس: هشام الثالث بهذه الرسالة: (من جورج الثاني ملك انجلترا وغالة والسويد والنرويج، إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس، صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام، بعد التعظيم والاحترام. فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي

تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداءة حسنة في اقتفاء أثركم ونشر أنوار العلم في بلادنا. وقد وضعنا ابنة شقيقتنا الأميرة «دوبانت« على رأس بعثة من بنات اشراف الانجليز لتكون موضع عناية عظمتكم ورعاية الحاشية الكريمة وحدب من لدن اللاتي سيتولين تعليمهن. وقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها، مع التعظيم والحب الخالص.. جورج).

والسؤال الذي لا يخلو من حرج هو: إذا كان هذا هو منهج الاسلام في التنوير بالكونيات والعلوم التجريبية فلماذا خيم الظلام ـ في هذا المجال ـ أحقاباً ـ بعد النهضة الأولى ـ على حياة المسلمين؟.. والجواب الرافع للحرج هو: انه في أحيان كثيرة يجب التفريق الواضح بين المسلمين البشر وبين الاسلام الموحى به.. **أولاً**: لئلا يحمد المسلمون بما لم يفعلوا.. **وثانياً**: لئلا يكون واقع المسلمين المتخلف حجة على منهج الاسلام التقدمي.. **وثالثاً**: لكي ترسخ في العقول والأفئدة حقيقة: أن التقدم في «الكونيات» لا يتعلق بايمان ولا كفران. فمن تعامل مع الكون بشروط التسخير: تقدم، وان كان غير مؤمن، كما هو الواقع اليوم، ومن أخل بشروط التعامل مع الكون: تخلف وإن كان مسلماً كما هو واقع المسلمين الآن. فالصلاة ـ مثلاً ـ لا تغني عن هذه الشروط العلمية المنهجية، وحين قاد المسلمون نهضة التنوير بالكونيات؛ إنما فعلوا ذلك من خلال مباشرة العلم الحقيقي بسنن الكون وطاقاته وقوانينه ومفاتحه وذراته؛ استجابة لمنهج الاسلام في وجوب مباشرة الأسباب الكونية: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف:84-85]

هذه المعرفة متاحة لكل الناس وليست مقتصرة على المسلمين، وبقانون التبادل كان المسلمون ينقلون ما عندهم للآخرين ويقتبسون منهم ما لم يعرفوه، وبقدر معرفة الإنسان بعناصر الأشياء وقدرته على الربط بينها يحقق كسباً معرفياً بغض النظر عن معتقده: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الاسراء:20]. فهؤلاء العلماء أنصفوا الإسلام واعترفوا بأفضاله على الإنسانية والكون، هذا النهج يعتبر عربون تفاهم يمهد للحوار المثمر.

النقطة الثانية: الوحدة الإنسانية: التمييز الطبقي، والتفاضل العرقي، واسترقاق الإنسان لأخيه الإنسان؛ كانت من المفاهيم السائدة في العلاقات الإنسانية في الحقبة التي سبقت مجيئ الإسلام، وتعاليم الإسلام جاءت ملغية لتلك المفاهيم الظالمة، وقد تبين في فصل سابق ريادة الإسلام وسبقه في هذا المجال، وفي هذا العصر تجددت الدعوة إلى (إحياء كل ما هو انساني) في عالمنا هذا، والى اقامة العلاقات على اساسه وفي ضوئه. لأن هنالك وعياً عالمياً بالقرية الكونية، التي سيتأثر أي ركن فيها بما يحدث في أي جزء من أجزائها، مما يتطلب تعاوناً بين عمارها للمحافظة عليها أولاً من الممارسات السيئة المضرة: مثل تلوث البيئة، وانتشار المخدرات، ونقل الأمراض الفتاكة، والهجرة غير الشرعية، وغيرها من أمراض العصر التي سماها أحد المفكرين بأسلحة الضرار الشامل، وثانياً للتعاون الإيجابي بين شعوبها لتحقيق الوحدة الإنسانية في ظل التنوع.

لقد جاءت الدعوة الإسلامية لمنع الضرر واضحة، في أكثر من موضع: فخليفة المسلمين أبوبكر الصديق يوصى يزيد بن أبي سفيان عندما بعثه على رأس جيش للشام قائلاً: ((.. وإني أوصيك بعشر: لا تقتلن امرأة؛ ولا صبياً؛ ولا كبيراً هرماً؛ ولا تقطعن شجراً مثمراً؛ ولا تخربن عامراً؛ ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة؛ ولا تحرقن نخلاً؛ ولا تفرقنه؛ ولا تغلل؛ ولا تجبن..))[1] والسنة النبوية دعت إلى منع من يسعى للضرر بل أكدت أن الناس إذا لم يمنعوا المفسدين فسوف تحل الكارثة عليهم جميعاً كما وضح ذلك حديث السفينة قال صلى الله عليه وسلم: ((مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً))[2] إن الإلتزام بهذه التوجيهات يحقق الإصلاح في الأرض ويمنع الفساد، ويحقق المحافظة على البيئة الملك المشترك للعنصر البشرى قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾

(1) رواه مالك في الموطأ

(2) رواه البخارى في صحيحه في كتاب الشركة ص(516) مكتبة الإيمان القاهرة طبعة 1423هـ – 2003م

[الأعراف:56] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة:204-205] فالتواصل الانساني دينياً وثقافياً وحضارياً؛ تبادلاً للمصالح والمعارف أمراً بديهياً في الإسلام، ولم يكن من القضايا التي يحتار فيها المسلمون في السابق، لأنهم كانوا معافين من العلل المقعدة التي لحقت بالخلف، وعاشوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه روح الإسلام فرأوا كيف أنهم تسامحوا حتى مع الذين سعوا لاستئصالهم فعفوا عنهم عند المقدرة وتجازوا عند التمكن فرفدوا الإنسانية لأول مرة بمنظومة قيم لا تعرف الثأر ولا الإنتقام بل إنهم أقروا للذين آذوهم بالأخوة، فعندما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة منتصراً وتمكن من خصومه قال لهم: ((يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء))[1]!! ولم تمنعهم مخالفة الآخرين لهم في الدين أن يقتبسوا من تجاربهم، وجاء التشريع الاسلامي داعياً لبسط العدل مع كل الناس، ونهى عن الظلم والعدوان، ودافع القرآن عن اليهودي وبرأه، وأدان المسلم؛ لأن معيار العدل واحد يطبق على كل الناس؛ فعندما سرق طعمة بن أبيرق ـ أحد بني ظفر من الأنصار ـ درعاً وانكشف أمره؛ فجاءت عشيرته إلى رسول الله تطلب إلحاق التهمة باليهودي وتبرئة المسلم، أنزل الله سبحانه وتعالى تسع آيات تبرئ اليهودي وتدين المسلم! وتطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر الله لاستماعه إلى عشيرة طعمة، ولاعتقاده أن يكون المسلم صادقاً دون أن يطلب الدليل، ومبيناً للعالم كله أن من اكتسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه، وأنه لا ربط بين الإسلام وبين تجاوزات المنتمين إليه. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾

(1) تاريخ الرسل والملوك للطبرى ص(555) موقع: www.alwaraq.net

وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ [النساء:105-113]

فهذه دعوة صريحة بأن الإختلاف مع الآخر لا يسقط حقه في العدالة، والإنتماء للإسلام لا يعطي حصانة للمسلم عندما يتجاوزالحدود، لا بد من تصحيح النظرة التي تحرم المخالف من كل فضل وتضخم الذات بدون جهد، لا بد من معرفة الآخر ووصفه على حقيقته لا كما نود، مطلوب منا:

أولاً: الوصف الموضوعي الصدوق لواقع العالم الانساني. فصفة الاسلام ليست تفويضاً للمسلم بأن يقول في العالم بغير علم، او ان يغمس هواه في وصفه وتصويره. بل يتعين وصف العالم كما هو ـ بالضبط ـ وعلى سبيل المثال وصف القرآن قوماً غير مسلمين بأنهم اولو بأس شديد: ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ [الفتح:16]. ولم يوهن من حقيقة قوتهم بحسبانهم غير مسلمين!! ووصف قوماً غير مسلمين بالامانة: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ [آل عمران:75] ولقد تعلم المسلم هذا المنهج الموضوعي من القرآن: مثال ذلك ان عمرو بن العاص وصف اخلاق الروم في عصره فقال: «ان فيهم لخصالاً اربعاً: انهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين وضعيف. وخامسة جميلة: وأمنعهم من ظلم الحكام».

ثانياً: **ت**مثُّل قواعد اساسية في المنهج واعمالها دون ابطاء، وهي قواعد توجب العلاقة الممتازة الجميلة الدافئة مع الناس اجمعين من حيث هم (ناس).. ومن هذه القواعد:

1 - قاعدة (وحدة الاسرة الانسانية)..: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [الأنعام:98].

2 - وقاعدة (الكرامة الانسانية العامة المكفولة لكل انسان) بصفته: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ

ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:70].

3 – وقاعدة (التعارف الانساني) المطلق المفتوح الدائم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:13].

4 – وقاعدة (تعددية المناهج والنظم)..: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [المائدة:48].

أي (انسانية) دافئة مانعة مستنيرة أكثر من هذه؟.. اسرة انسانية واحدة + أسرة كريمة + أسرة متعارفة + أسرة متنوعة الخيارات في الشرائع والنظم؟[1].

النقطة الثالثة: إعتبار الفوارق والإختلافات دافعاً للتلاقح والتعارف: في حوارأجرته مجلة (نزوى العمانية) مع المفكر: صادق جواد سليمان رئيس المجلس الإستشاري لمركز الحوار العربي بواشنطن؛ أنقل هذه الفقرة كاملة بالرغم من طولها إلا أنها لأهميتها وأهمية قائلها جديرة بالنقل؛ ففي رده على سؤال حول رؤيته عن الأفكار التي سيتمحور حولها القرن الحادي والعشرين؟ ذكرعدة أفكار: الديمقراطية، وإقتصاد السوق الحر، والعولمة، وسأقتصر هنا على رؤيته حول العولمة، فهو يرى أن الإنسانية قد تعولمت في جل نشاطاتها: في الصحة، والتعليم، والمواصلات، والنقل، والصرافة، والتأمين، والزراعة، والصناعة، والسياحة، والرياضة، والتجارة، والإقتصاد، والخدمات، والتصنيع، وفي تنظيم القوات المسلحة، والشرطة، وفي تعمير وترتيب المنازل والأسواق. وإجمالاً لا يكاد يوجد حقل حياتي معاصر إلا وقد تعولم. ويرى أن البشرية قد رست على أربعة محاور رئيسية معولمة:

- معين معرفي واحد.
- نظام اقتصادي واحد.
- إطار تنظيمي للدولة واحد.
- ونمط معيشي واحد.

(1) الركابي: الشرق الأوسط، 24 يوليو 2004م

ويقول إن الإنسان بوحدة المعين المعرفي، أياً كان موطنه، دينه، وثقافته، ينهل من نفس العلم الذي يتبلور لدى العلماء عبر العالم في مختلف الحقول، ومن ثم يُدرس في المدارس والمعاهد والجامعات في كل بلد. أما وحدة النظام الاقتصادي فتعني وحدة المؤسسات والممارسات التي تُسيّر من خلالها يومياً مليارات المعاملات المالية والتجارية بين الناس عبر العالم. وأما وحدة الإطار التنظيمي للدولة فيعني وحدة هياكل الحكم والإدارة، في شكل مجالس تشريعية، وزارات تنفيذية، محاكم قضاء، دوائر أعمال متخصصة، مجالس بلدية، قوات مسلحة، شرطة، أجهزة استخبار، إلى غير ذلك.. وأخيراً وحدة النمط المعيشي وتعني تماثل النشاطات الحياتية بتماثل أسباب الحداثة، سلعاً ونظماً وخدمات، الآخذة في الانتشار في كل مكان.

ويتساءل الأستاذ جواد إذا كان ذلك كذلك؛ فمن أين إذن يأتي الاعتراض على العولمـــة؟، والناس، كما ترى، يدخلونها دون تحفظ يذكر؟ على أي وجه تدان والناس يتسابقون على استقبال مبتكراتها المتدفقة من سلع وخدمات شتى؟ على أي أساس تنتقد وهي توفر آنياً للجميع ما يبتكر عبر العالم من تحسينات وتسهيلات لا تحصى، فيغدو ما توفره قاسماً حياتياً مشتركاً بين الناس في كل مكان، كماً.. مثـلاً: الهاتف النقال؟ يأتي الاعتراض في الغالب لاعتبارات تتصل بالدين، والثقافة، وتقاليد الحكم، ويأتي أيضاً من مجموعات ترى في العولمة طمساً لتراث الشعوب وحيفاً اقتصادياً يلحق بالشعوب الفقيرة.

الاعتراض الديني يأتي لكون العولمة ذات نسق علماني، مع أن الدين أيضاً عالمي بطبعه، ولو أتيح لأي دين تحديداً أن يعولم العالم حسب منهاجه لفعل. معنى ذلك أن الأديان لا تعارض العولمة من حيث المبدأ، وإنما تعارضها من حيث محتواها العلماني. الاعتراض يأتي أيضاً من عجز أي دين بمفرده عن عولمة العالم، ومن عجز الأديان مجتمعة – لكون كل دين مرتكزاً في خصوصيته – عن تقديم نسق معرفي وأخلاقي موحد لخبرة الإنسان.

ليس من طبيعة الأديان أن تتوحّد، لكنها في الغالب، بحكم الضرورة، تتعايش،

وبدفع حضاري يمكن أن تتفاهم وتتقارب. التعددية الدينية أمر واقع في غالبية المجتمعات، وحيثما يسود مجتمع مدني، يعيش الناس تحت قانون موحد لا يفرق على أساس دين. نعم، للعولمة نسق علماني، لكنها بفضل ذلك تقدم معادلة جامعة لتعايش الأديان. العولمة، بنسقها العلماني، لا تُعنى بالدين إلا من حيث تثبيت مبدأ حرية المعتقد وشعائره، أياً كان المعتقد وفي أي مكان. ولأن الناس من مختلف الأديان أضحوا بسواء «معولمين» على صعيد الواقع في جل نشاطات الحياة، فإن فارق الدين لم يعد ذا أثر عملي في خبرة إنسان هذا العصر. من ذلك أستنتج أن الأديان ستبقى مصونة، وسيبقى انتساب الناس وولاؤها لها – رغم العولمة – دون مساس. أما الثقافات وتقاليد الحكم فهي خلاف الأديان، عرضة للتأثر بالعولمة، وهناك أيضاً قدر كبير من الصحة في تضرر الشعوب الفقيرة جراء ضغوط تتولد من زحف عولمي متسارع. الثقافة شيء جد ثمين، وأيما أمة تحرص على سلامة ثقافتها عليها أن تعزز ثقافتها بسعة معرفية ومنعة أدبية ومهارة مهنية، تستوعب بها معطيات العولمة، بل وتؤثر في مسارها، من دون أن تضعف أمام ضغوطها أو تموع. أما تقاليد الحكم، فالأجدى لصالح الشعوب أن يجري تطويرها لتغدو أكثر تواؤما مع النمط العصري للحكم، بالأخص في مجال ترسيخ الديمقراطية وتحصين حقوق الإنسان. أما الشعوب الفقيرة، فالواجب دولياً أن تراعى أوضاعها بشكل خاص بحيث تتاح لها الاستفادة القصوى من العولمة، وأن لا تترك لتتضرر أو تهمش أو تحرم من استحقاقها التنموي.

بما تقدم أقصد أن العولمة قد غدت واقع حال عالمي نافذ ومستشر في كل منحى من مناحي الحياة المعاصرة، وبذلك ما عادت قابلة لصد أو تجاهل. لذا وجب التعامل مع العولمة بدافع تصويب لمسارها، وتهذيب لمراميها، على نحو يجعلها أكثر فأكثر عامل تقارب وتبادل منافع بين الأمم.. ذلك أن العولمة إذا سددت على مسار خير؛ فسيعم العالمَ منها خير عميم. أما إذا تركت من دون تسديد فسوف تنتج ضرراً أكثر من نفع وشططاً أكثر من صواب[1].

(1) موقع المجلة: www.nizwa.com

الحديث السابق حديث مهم، صادر من شخص له دراية كبيرة بالحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، فالفوارق لم تمنع من التواصل وهذا ما أكده الإسلام بأن الفوارق للتعارف وللإعتبار وليست للتصادم والتقاطع، فالأفكار تتلاقح، والمنافع يتبادلها الناس، والمعارف تتكامل، والأديـان تتعايش، والحضارات تتواصل، ونلمح في كثير من أفكار المسلمين وممارساتهم آثار الديانات والنحل التي كانت سائدة في الأمصار التي افتتحها المسلمون؛ فالأثر الروماني في الإدارة والقوانين والمدنية ملحوظ، وأثر الزرادشتية والمانوية والمزدكية بارز يقول: أحمد أمين (وإذا كانت هذه الأمم المفتوحة أرقى من العرب مدنية وحضارة، وأقوى نظماً إجتماعية؛ كان من الطبيعي أن تسود مدنيتهم وحضارتهم ونظمهم، وإذا كان العرب هم العنصر القوي الفاتح؛ عدلوا هذه النظم بما يتفق وعقليتهم، فسادت في البلاد المفتوحة النظم التي كانت متبعة من قبل الفتح، كنظام الدواوين ونحوه، وأقر على ما كان عليه، حتى لغة الدواوين نفسها ظلت باللغة الأصلية إلى عهد عبد الملك بن مروان)[1] ومرونة الإسلام استصحبت كثيراً من القيم النافعة والمبادئ العامة التي لا تتعارض مع أصول الدين الحق، فالرسول صلى الله عليه وسلم جاء متمماً لمكارم الأخلاق، وكثير من تعاليم زرادشت وجدت طريقها للإسلام؛ إما لأنها لا تتعارض مع مبادئه، وإما بسبب تأثر بعض المسلمين بها فظنوها مبادئ إسلامية، مع ملاحظة أن كثيراً من الذين أسلموا وكانوا يدينون بهذه النحل قد استصحبوا معهم كثيراً من أفكارهم السابقة، التي من الصعب أن يتخلصوا منها بين عشية وضحاها فتعاليم زرادشت تقول: (أن الماء والهواء والنار والتراب عناصر طاهرة يجب ألا تنجس.. وللإنسان حياتان: حياة أولى في الدنيا، وحياة أخرى بعد الموت، ونصيبه في حياته الآخرة نتيجة لأعماله في حياته الأولى، قد أحصيت أعماله في كتاب، وعدت سيئاته ديونا عليه، وفي الأيام الثلاثة الأولى التي تعقب الموت تحلق نفس الإنسان فوق جسده، وتنعم أو تشقى تبعاً لأعماله، ومن أجل هذا تقام الشعائر الدينية في هذه الأيام إيناساً للنفس، وعند الحساب تمر النفس على صراط ممدود على شفير

(1) موسوعة الحضارة الإسلامية ـ فجرالإسلام: أحمد أمين (الجزء الأول ص: 108) دارنوبليس للنشر والتوزيع ـ بيروت ـ الطبعة الأولى 2006م

جهنم، وهو للمؤمن عريض سهل المجاز، وللكافر أرق من الشعرة، فمن آمن وعمل صالحاً جاز الصراط بسلام، ولقى «أهوراً» فأحسن لقاءه وأنزله منزلاً كريماً، وإلا سقط في الجحيم وصار عبداً «لأهرمن» وإن تعادلت سيئاته وحسناته ذهب الروح إلى الأعراف إلى يوم الفصل. وقد غيب على الإنسان في حياته الدنيا ما أعد له بعد موته، ولم يعلم الخيرمن الشر، فكان من رحمة الله أن أرسل رسولاً يهدى به الناس،.. ويعلم زرادشت أن يوم القيامة قريب، وأن نهاية هذه الحياة ليست بعيدة وسيستجمع «مزدا» قوته ويضرب إله الشر ضربة قاضية، ويعذبه بالجحيم هو ومن أطاعه)[1].

وواضح أنها نفس التعاليم التي جاء بها الإسلام؛ اللهم إلا الإختلاف في اسم الله واسم إبليس. وأيام المأتم الثلاثة شائعة عند المسلمين في بلدان كثيرة، إن تواصل المسلمين مع الآخر أثمر حضارة إسلامية إنسانية استصحبت النافع من عطاء الإنسـان، وحتى ذلك التواصل الخشن فإن فيه مظاهر إيجابية؛ فالحروب الصليبية أتاحت للغربيين الوقوف على تجارب المسلمين وعرفوا منها أن الإسلام لا توجهه سلطة دينية بابوية، كذلك نقلوا المعارف اليونانية التي ترجمها المسلمون ونقحوها، والمغول بالرغم من تفوقهم العسكرى، ونزعتهم المتوحشة، وانتصاراتهم على المسلمين؛ إلا أنهم ما لبثوا أن اعتنقوا الإسلام وأصبحوا من حماته. إن عالمية الإسلام تؤكدها تعاليمه وتصدقها وقائع التاريخ، واليوم نعيش عالماً جديداً تديره حكومة عالمية، وتعولمت كل مظاهر نشاطه فتزداد أهمية التواصل بين الإسلام وبين الديانات والحضارات والثقافات المنتشرة في ربوع الدنيا وذلك لاعتبارات كثيرة: فإضافة لموقفه المبدئي من الدعوة للتعاون بين بني البشر فإن هناك مصلحة حقيقية للمسلمين من التواصل الإيجابي مع الأديان والحضارات والثقافات، فالعالم الاسلامي محتاج لنقل التكنلوجيا وتوطينها في بيئته ومحتاج للخبرات العلمية والمعرفية في معظم مجالات النشاط الانساني، كما أن هنالك عدد لا يستهان به من المسلمين يقيمون في هذه العوالم الحضارية فإن أحسنا التعامل فيمكن أن يتحول هؤلاء المسلمون إلى سفراء يبرزون الجانب الإيجابي المُغيَّب للمسلمين، وتجدر الإشارة أنّ تَصَدُّر الحضارة الغربية للريادة؛ حجب الرؤية عن حضارات أخرى لا

(1) موسوعة الحضارة الآسلامية: ص (116)

تقل أهمية عن الحضارة الغربية، فهنالك الحضارة الصينية، والحضارة اليابانية، والهندية، والأفريقية، وغيرها من الحضارات التي يمكن أن ينفتح عليها المسلمون؛ خاصة وأنها حضارات غير ملغومة بأهداف سياسية حاجبة من الرؤية المستبصرة، وغير مشدودة لماض صراعي مع الحضارة الإسلامية؛ يعطلها من الإنفتاح والتواصل المتبادل. فالمطلوب تأكيد إنحياز الإسلام لمبادئ التواصل والتعايش والتعاون مع الآخر المنصوص عليها في مراجعه الثابتة، وهذا التأكيد يكون أبلغ بالممارسة وإيجاد الآليات التي تتبناه؛ أكثر من الكلام النظري، وهو ما يتطلب جهوداً مضنية يقوم بها أهل التخصص في كل المجالات لبلورة هذا المشروع وتنزيله لأرض الواقع.

ذهب الكاتب السعودي زكي الميلاد إلى اتجاه؛ يؤسس لفكرة تعارف الحضارات الذي نبحث عن تأصيل إسلامي لـه، واستطاعت مسيرته التي استمرت نحو عشر سنوات في هذا الميدان؛ أن تبلور رؤية حول: (تعارف الحضارات) والأهم في خلاصات الرؤية؛ أن مقولة (تعارف الحضارات) لا تعني مجرد الإعتراف بتعدد الحضارات وتنوعها، وإنما تستند إلى ضرورة بناء وتقدم الحضارات في العالم، وتأسيس الشراكة الحضارية في ما بينها، وتبادل المعرفة والخبرة}} والفكرة في الأهم من جوانبها، تأتي في إطار تجديد واجتهاد إسلامي له طبيعة معرفية من جهة، وتأكيد لمعنى الإنفتاح والتواصل الحضاري الذي عبرت عنه التجربة الحضارية الإسلامية في تعاطيها مع الحضارات الأخرى من جهة، و قد يكون الأبرز فيما ركز عليه الكُتـَّاب العـرب في موضـوع (تعارف الحضارات) قول العراقي رسول محمد رسول: إن تعارف الحضارات؛ ليس مجرد تعبير، إنما هو مشروع حضاري له أسس وتكوين فكري؛ يستند إلى المرجعية الإسلامية. فيما يرى السوري: عبد الواحد العلواني: أنه يمثل أساساً لنظرية يمكن تأطيرها؛ وهي أكثر إنصافاً وعدلاً وفاعلية ووئاماً، وتتيح سبيلاً نحو فهم أفضل لبناء علاقات سوية بين الأمم والشعوب، بينما تنظر السعودية: سهام القحطاني؛ إلى تعارف الحضارات باعتباره مرحلة أخرى خارج الحوار والصدام في العلاقات القائمة من خلال القـول إن (تعارف الحضارات نظرية إنشائية) هدفهـا (إنشاء شكل العلاقات المفترض بين الناس) وهي ثالث أشكال العلاقات حيث الأولى صدام الحضارات؛ بوصفها نظرية تفسيرية. والثانية

حوار الحضارات؛ بوصفها نظرية نقدية أو علاجية. لقد أجمل الجزائرى مراح رؤيته لـ(أهداف تعارف الحضارات) فقال إنها تتضمن تحقيق التقارب والتسامح وفك عقدة الهيمنة وتجاوز عقيدة الصراع بين المختلفين، إضافة إلى تعميم معرفة الآخر وتصحيح الصور المسبقة عنه، وتشجيع فكرة الإنتفاع المتبادل بخيرات الأرض، واحترام الخصوصيات الحضارية لكل طرف، وأشار إلى العوائق فأجملها في أربعة تشمل (العائق العقائدي) و(تضخيم الذات الحضارية) و(نظريات الصراع والصدام) و(هيمنة المفهوم السياسي على مجال العلاقات الدولية)[1] إن هنالك اتجاهاً عاماً ينمو يوماً بعد يوم لتأكيد أهمية التواصل الحضاري؛ وهذا الإتجاه من قِبَل المسلمين؛ يقابله حماس مماثل من تيارات في الحضارات الأخرى؛ استهجنت فكرة صراع الحضارات، المطلوب التواصل بين هذه التيارات المؤمنة بالعلاقة السلمية بين الطرفين، وتقوية العلاقة بينها، والاتفاق على القيام بعمل مشترك يتصدى لتيارات الصدام هنا وهناك وتجفيف منابعها، فبالتقاء هذه التيارات المستنيرة والتواصل معها يمكن إحداث نقلة من العقلية الصدامية إلى مفهوم التواصل والتحاور وهو ما دعا إليه الإسلام كما اتضح مما سبق.

إن تقديم بديل إسلامي لصراع الحضارات؛ يقتضي عقلية قادرة على استنطاق القرآن، وقراءة عميقة للسيرة النبوية، ووعي حضاري، وإحاطة بالواقع المعاصر، وتعقيداته وتشابك مصالحه، وهذا لا يتم إلا عبر مؤسسة تضم ممثلين لكل ذوي الإختصاص؛ في كافة العلوم؛ لتأتي بمفاهيم منضبطة؛ متحررة من العفوية، والتلقائية، وردود الأفعال، لا شك أن الإسلام منحاز لحوار الحضارات لا لتصادمها، فكما ثبت من عقائده وتعاليمه وأحكامه؛ أنه دين التسامح والتعايش السلمي والتعاون الإيجابي، مطلوب صياغة نظرية معرفية تتضمن تلك المبادئ والمفاهيم؛ لتكون بديلاً لأطروحة الصدام وتصلح لتحويلها إلى ثقافة مجتمعية تسامحية ترسخ مبدأ الحوار الحضاري.

(1) فايز سارة: الحياة: العدد 15765 بتاريخ: 3 حزيران يونيو2006م

الفصل السادس:

وسائل بناء ثقافة الحوار

- **الوسيلة الأولى**: معرفة أسباب التوتر والتخلص منها
- **الوسيلة الثانية**: معرفة الذات ومعرفة الآخر
- **الوسيلة الثالثة**: التربية
- **الوسيلة الرابعة**: الإعلام الهادف
- **الوسيلة الخامسة**: تبادل الزيارات
- **الوسيلة السادسة**: الأنشطة المشتركة

تمهيـد:

مع بروز ظاهرة العولمة؛ خرجت أصوات تتنبأ بصدام الحضارات، مقروءة مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وما تلاها من احداث أدت إلى منطق جديد في العلاقات الدولية، ولكن العقلاء هنا وهناك قدموا أطروحات بديلة لصدام الحضارات تتمثل في حوار الحضارات، وقدمت أبحاث كثيرة في هذا المجال وعقدت مؤتمرات وكتبت مقالات؛ تفند دعـوى صـدام الحضارات وترجح الحوارالحضاري، إن التنظير للحوار مجهود مقدر ولكنه سيصبح ترفاً فكرياً إن لم يجد طريقه للتطبيق، ويصبح ثقافة ممارسة في المجتمع. التجربة الإنسانية على طولها آمنت بديانات منزلة وأخرى وضعية، وشهدت ممارسات صارت مع طول المدة أعرافاً لصيقة، وأفرزت هذه الممارسة ثقافات متعددة بتعدد البيئات والعصور ثم أحكمتها التجربة وهذبتها الأديان فتطورت إلى حضارات كاتبة حاسبة صانعة، وبسنن التقادم تآكلت الحضارات القديمة لتحل محلها حضارات جديدة، تأخذ من المندثرة مـا يلائمهـا وتضيف إليه جديدهـا، وبهذا تكون الحضـارات متكاملة ومتداخلة: (والحضارات الحية اليوم ثمانية هي: الحضارة الإسلامية؛ والحضارة الغربية؛ والحضارة الصينية؛ والحضارة اليابانية؛ والحضارة السلافية الأورثوذكسية؛ والحضارة الأمريكية الجنوبية، والحضارية الهندية؛ والحضارة الأفريقية. هنالك تشكك لدى بعض الناس حول حقيقة الحضارة الأفريقية. إن في أفريقيا جنوب الصحراء؛ ثقافات عديدة، وقد تناول الأستاذ علي مزروعي؛ تراث أفريقيا فسماه تراثاً ثلاثياً مكوناً من: الإسلام ـ الغرب ـ الموروث الافريقي. هذا الموروث الافريقي؛ فيه مؤثرات مشتركة كوّنت الذهنية الأفريقية، ولوّنت تأثر أفريقيا بالمؤثرات الوافدة. هذه الذهنية الأفريقية انفردت بالتركيز على العلاقة بين البشر والطبيعة، وبين المادي وغير المادي، وبين العقلاني والفطري، وبين الأجيال الحاضرة والماضية.. هذه

الذهنية يمكن أن تساعد في حل مشاكل معاصرة؛ كإنقاذ البيئة وتحقيق توزيع عادل للحقوق والواجبات بين الأجيال)[1] إن الحضارات التي عاشت في عصر واحد؛ كانت العلاقات بينها غالباً تنافسية، وأحياناً كثيرة عدائية. وكما سلف فإن البشرية بعد تجارب مريرة مع الصراع؛ أفرزت إتجاهاً عاماً ينزع نحو التعايش السلمي، والحوار الإيجابي، وفي عصرنا هذا تجلت هذه الدعوة في أبلغ صورها، فالوعي العالمي بالمصلحة الإنسانية المشتركة يزداد باضطراد، والتعصب الديني جلب كوارث طالت الجميع حتى المتعصبين منهم، والعالم صار يوجّه جل موارده للتسلح وإزالة آثارالحروب؛ مما يتطلب معه تفكيراً جاداً للخروج من هذا المأزق المدمر، يقول الإمام الصادق المهدي (علينا أن نتناول بحث العلاقات بين الحضارات في هذا العصر على ضوء حقيقتين جديدتين هما:

الحقيقة الأولى: وجود عوامل كثيرة توجب الوفاق العالمي. تلك العوامل هي: تكنلوجيا الإتصالات والمواصلات كفكفت أطراف العالم وجعلته متداخلاً. المصلحة الأيكلوجية لكوكب الأرض توجب إيجاد خطة مشتركة لبيئة صالحة. تقريب وجهات النظر عالمياً وإصدار مواثيق عالمية حول القضايا البيئية ـ النسوية ـ السكانية ـ والإجتماعية. علاوة على إجراء حوارات كثيرة ثنائية وجماعية عبر مؤتمرات جمعت الأديان وهي كلها تهدف إلى التوصل للتسامح والتعايش المشترك.

إن في الإسلام ولدى كثير من المسلمين، بل غالبية المسلمين توجهاً تسامحياً يحترم كرامة وحقوق الإنسان، ويسعى للتعامل مع الآخر الملي والدولي بالحسنى. كما أن في الحضارة الغربية كثيرون يدركون مخاطر الهيمنة، ويدركون أن مصلحتهم ومصلحة الإنسانية؛ توجب التعايش من أجل مصير انساني مشترك.

الحقيقة الثانية: لأول مرة في التاريخ صار الإنسان يمتلك أسلحة دمار شامل قادر على تحطيم العالم بحيث لن يكون في نهاية النزاع غالب ومغلوب كالمعهود في الحروب الماضية. لذلك صار التعايش والتوافق والحوار بين الحضارات اليوم واجباً حياتياً)[2].

(1) الصادق المهدي: نداءات العصر ص (45)
(2) المصدر السابق ص (49 ـ 50)

إن الحوار يعتبر وسيلة من وسائل التواصل بين البشر، وهو كغيره من وسائل التفاعل في المجتمع يحتاج إلى شروط خاصة لكي يكون صفة غالبة في العلاقات البينية الإجتماعية، فالعنف والغضب والسيطرة والتصادم ومثيلاتها نزعات سهلة الحضور في علاقات الناس، ولا تحتاج إلا للمثيرات كالإستفزاز والإساءة والتحدي؛ وقد نهى الإسلام عن ذلك، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعته أعطى بها شيئاً كرهه فقال: لا؛ والذي اصطفي موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه وقال: تقول والذي اصطفي موسى على البشر والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً، فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: ((لم لطمت وجهه؟)) فذكره، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى رؤي في وجهه، ثم قال: ((لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذ بالعرش فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلي))[1]. فالرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يوضح أن التفاضل بين أنبياء الله لا يجوز. خاصة في وجود أتباع ديانات متعددة؛ لأن ذلك يدعو لإثارة العصبية، وحمية الجاهلية؛ التي تؤدي إلى التباغض والتنازع والإحتراب، أما الحوار فيحتاج إلى الهدوء، وتحكيم العقل، وعدم التسرع.. الخ.

ولكي تترسخ ثقافة الحوار في المجتمع فإن هنالك وسائل بتكاملها في المجتمع الإنساني؛ سيضعف الميل نحو العنف، ويحل محله التسامح. وبالتالي سيكون الحوار ركيزة من ركائز الثقافة الإجتماعية، تلك الوسائل هي:

الوسيلة الأولى: معرفة أسباب التوتر والتخلص منها:

العلاقات بين الأديان والحضارات شهدت صراعات وحروباً عبر تاريخها؛ خلفت مرارات كثيرة وخلقت حواجز تمنع التواصل بين كثير منها، وبالرغم من التوجه العالمي المتصاعد نحو علاقات لا تشوبها نزاعات؛ إلا أن آثار الماضي تلقي بظلالها على الحاضر، وتعرقل مستقبل العلاقات الإنسانية، عليه يكون من

(1) رواه البخارى في صحيحه (3414) ص(718) مكتبة الإيمان القاهرة طبعة 1423هـ – 2003م

ضرورات ترسيخ ثقافة الحوار معرفة عوامل الصراع ومسببات النزاع والتخلص منها ليكون الطريق سالكاً نحو علاقات قائمة على الثقة والإستدامة، ففي الإطار الداخلي لا بد من حصر الخلاف السني الشيعي في طبيعته السياسية، وتحريره من العوامل العقائدية؛ التي استدعيت في تلك المرحلة لخدمة أهداف سياسية للطرفين، والصراعات المذهبية تفهم في إطار إختلافات المناهج والخلفيات البيئية؛ وهي إجتهادات مسموح بها في ظل الإسلام، والخلاف الإسلامي العلماني في مجتمعات المسلمين؛ ينبغي تفسيره على أساس إختلاف التصور للأشياء، واستخدام مصطلحات يختلف فهم كل طرف عن فهم الطرف الآخر لها، هذه المصطلحات عندما تُحَرر وتُضْبط ستقرب الشقة، والصراع الإسلامي المسيحي؛ يوضح أن ظروفاً تاريخية مرحلية أوجبته وبزوالها سقطت مبررات الصراع، والصراع الإسلامي اليهودي تاريخياً إنحصر في أحداث المدينة الثلاثة وهي وقائع لا تورث وقد انتهت مع أصحابها، وأما الصراع الحالي فليس بين الإسلام واليهودية بقدر ما هو صراع بين الإسلام والصهيونية التي هي حركة سياسية استغلت لأغراض سياسية. وأما علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارة الغربية؛ فإنها من أكثر العلاقات حساسية، بسبب الصراعات التاريخية والحديثة، وأي كلام عن حوار حضاري بينهما لا يحقق أهدافه ما لم يتخلصا من تلك العوائق المقعدة، ويتجها لإقامة علاقات جديدة غير مشدودة بحبال الماضي.

إن علاقة الحضارة الغربية بالحضارة الإسلامية معقدة لأسباب أهمها:

1 – الحضارة الإسلامية تكمن فيها تيارات مشدودة إلى نجاحها القديم لدرجة تجعلها تظن أن استنساخ ما حدث تاريخياً ممكن. هؤلاء يسقطون نجاح الماضي على الحاضر فيشلون حركته..

2 – الحضارة الغربية الحديثة تعاملت مع الحضارة الإسلامية بدرجة عالية من الذعر؛ لأنها الحضارة الوحيدة التي كادت تمتصها بسبب تفوقها الفكري والتكنولوجي والثقافي عليها في الماضي. كما كانت الحضارة الوحيدة التي هدّدت الحضارة الغربية في وجودها أكثر من مرة. لذلك صار التخوف من الإسلام والمسلمين شيئاً عادياً في النفوس الغربية.

الحضارة الغربية الحديثة تعاملت مع الحضارات الأخرى بدرجة كبيرة من التعالي وافتراض الدونية. وكان تعاملها مع المسلمين ظالماً مهيناً غداراً لم تراع فيهم إلاً ولا ذمة. لذلك صار بغض الغرب وأهله في نفوس كثير من المسلمين. كذلك فإن ظاهرة التشدد الإسلامي في مجتمعاتنا؛ والتشدد الأصولي في غيرها من المجتمعات، وظاهرة الهيمنة الحضارية في الغرب تيارات تبرر العنف وتدفع بالإنسانية نحو الخصام والصدام. وظاهرة الإستنارة الإسلامية ـ والإستنارة عند أهل الحضارات المختلفة ـ وظاهرة الإعتدال الغربي تشكل تيارات تغذية للسلم وتبرر التواصل الحضاري. فإن تغلبا فإنهما يفتحان ابواب التواصل والحوار البناء ويمهدان لتنوير عالمي يبشر بمستقبل إنساني أفضل. إن شـروط ذلك التواصـل تتمثل في الآتي:

أولاً: أن يدرك الغرب ويعترف بأن الحضارة الغربية الحديثة حضارة مركبة ساهمت كل حضارات الإنسان السابقة لا سيما الحضارة الإسلامية في تكوينها.

ثانياً: الإعتراف بأن الحضارات الإنسانية والثقافات الأخرى لها دورها في بناء حاضر ومستقبل الإنسانية، ولا يجوز التعامل معها ككيانات منقرضة أو في طريقها للإنقراض الوشيك.

ثالثاً: التسليم بأن منجزات الحضارة الغربية الحديثة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والعلمية والتكنولوجية التي نضج عودها في الغرب والصالحة لاستصحاب البشر لها في كافة البلدان، سيتم استصحابها برؤية ذاتية لا بالإكراه. والرؤية الذاتية هذه تشتمل على أقلمة ثقافية واجتماعية تحددها الشعوب المعنية باختيارها.

رابعاً: إدراك أن الظلم الإجتماعي على صعيد الدولة الواحدة مثل الظلم الإجتماعي على الصعيد العالمي. كلاهما يقوض الإستقرار والسلام. إن إزالة الغبن التنموي عن عالم الجنوب والسعي الحثيث لدعم التنمية في عالم الجنوب المتخلف ضرورات لحفظ السلام العالمي.

خامساً: إقامة علاقات حوار إيجابية بالحضارات الأخرى على أساس التعلم المتبادل.

سادساً: التوصل عن طريق حوار متكافئ قدر المستطاع للإتفاق على غايات إنسانية وأيكلوجية مشتركة.

سابعاً: إدراك أن الغرب قد كان سبباً أساسياً في تكوين عدد من بؤر النزاع الساخنة ومهما كانت مسئولية الأطراف المحلية عن إستمرار تلك البؤر الملتهبة فإن إعتراف الغرب بدوره في تكوينها واستعداده للقيام بدور تكفيري في علاجها أمر هام وعتبة نحو علاقات دولية سلمية وسوية[1].

الوسيلة الثانية: معرفة الذات ومعرفة الآخر:

الإنسان عدو ما جهل، وقلة المعرفة تجعل المرء متعصباً سريع الإنفعال، والمعرفة لا تتعلق بالآخر وحده، بل معرفة الذات أولاً، ثم تتكامل بمعرفة الآخر، لقد وقعت كوارث كثيرة بسبب سوء تقدير الموقف [تضخيم الذات والإستخفاف بالآخر] فانتصار المسلمين في بدر كان معجزة؛ ولكن كثيراً منهم اعتبروه قانوناً عاماً فلم يقدروا الموقف تقديراً صحيحاً فهزموا أول الأمر في أحد، وفي حنين غرتهم كثرتهم فكان الغرور سبباً للهزيمة: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة:25] وكثير من الحوادث التاريخية والمعاصرة أقدم عليها أصحابها دون معرفة لقدراتهم ولا لقدرات خصومهم؛ فجنوا عاقبة فعلهم خسراً، والشواهد أكثر من أن تحصى لعل أبرزها حرب الخليج الثانية، وما أقدم عليه مرتكبوا حوادث الحادي عشر من سبتمبر ضد الولايات المتحدة الأمريكية. إن ما يعنينا هنا البعد الفكري والجانب النظري، فمعرفة الإسلام بعمق تظهر للمرء الجذور الممتدة لهذا الدين والتي تربط بينه وبين الرسالات الإلهية التي سبقته، والصلات الإنسانية بينه وبين بني البشر أين ما وجدوا، مما يؤكد أصالة هذا الدين من ناحية وعالميته من الناحية الأخرى، والأصالة هنا أعني بها استيعابه لأصول الرسالات السماوية وتكامله معها، هذا الفهم يسهل على المرء إمكانية التواصل مع الآخر الديني والتحاور معه؛ لأنه يعلم أن كل ديانة سماوية صحيحة لديها صلة بالإسلام، وكل نحلة وضعية خَيّرة فيها

(1) الصادق المهدي: نداءات العصر ـ دار الشماسة للطباعة والنشر 2002م

إشراقة إيجابية، وكل عطاء إنساني مفيد؛ يدخل ضمن المعروف الذي هو أحد أركان الأخلاق المتفق عليها من جل علماء العلوم الإنسانية، فالأخلاق الإجتماعية اتفقت عليها جميع الأديان السماوية، ورحبت بها كثير من الفلسفات البشرية وهي مفصلة في سورة الإسراء، ومفهوم البر في الإسلام ليس قاصراً على المسلمين بل يمتد ليشمل جميع بني البشر: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:177] فإذا علم المرء ذلك كان مُهيَّئاً للتَّواصُل مع كل البشر عبر الحوار وليس عبر العنف الذي هو وسيلة العاجزين عن الحجة، ومعرفة الآخر تشكل عاملاً مهماً في ترسيخ ثقافة التعايش السلمي والتواصل الإيجابي، فربما تكون الأهداف متقاربة والمعاني متشابهة ولكن غيّبها الجهل أو اختلاف الصيغ، فسهيل ابن عمرو عندما رفض تكتب ((بسم الله الرحمن الرحيم)) في صلح الحديبية؛ مفضلاً صيغة ((باسمك الله)) لم يتردد الرسول صلى الله عليه وسلم في قبولها؛ لأنَّ المعنى متقارب إن لم يكن واحداً، مع أن صيغة البسملة تشتمل على معنى الصيغة المقترحة وفيها زيادة الثناء على الله بما هو أهله؛ لكن أهل مكة كانوا يستغربون من اسم الرحمن كما ذكر القرآن: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان:60] والصيغة الجديدة التي يفتتح بها المسيحيون الأقباط حديثهم؛ تسقط مفهوم التثليث وتقربهم من المسلمين، حيث يقولون: ((باسم الإله الواحد الذي نعبده جميعاً)) وهي صيغة من ابتكارات الأنبا شنودة كما ذكر الدكتور محمد سليم العوا، في محاضرة قدمها في ملتقى الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي؛ الذي انعقد في القاهرة في أبريل 2006م ومن أهم طرق معرفة الآخر؛ أن يتم التعرف عليه من مصادره، ولا نكتفي بما نعلمه عنه من مصادرنا وحدها، كما ينبغي وصفه على حقيقته لا كما نتمنى، وأن يتم التعامل معه حسب تعريفه لنفسه لا كما نعرفه نحن، فأهل الكتاب اليوم ليسوا مثل أسلافهم، فقد أحدثوا تغييرات كبيرة في عقائدهم وأفكارهم وتنظيماتهم، وإذا استثنينا الصهيونية اليهودية والمسيحية المتصهينة؛ فإن أغلبهم يميلون إلى التسامح،

وإلى إقامة علاقات ودية مع المسلمين، وكثير منهم لا يؤيدون دولهم في سياساتها تجاه العالم الإسلامي، والمظاهرات التي قامت في الغرب ضد الغزو الأمريكي للعراق كانت أكثر من تلك التي قامت في العالم الإسلامي، أيضاً من التحولات التي حدثت؛ أن النصارى يفضلون أن يسموا مسيحيين لا نصارى. وقد جمعتني ملتقيات كثيرة خاصة بالحوار الديني مع مسيحيين؛ فأدركت أننا لا نفهم بعضنا بعضاً كما ينبغي، فنحن نتعامل معهم على أساس ما نعرفه عنهم من كتبنا، بينما حدثت تطورات كثيرة في أفكارهم ومعتقداتهم، وحتى أولئك الذين يقيمون معنا من مسيحيي جنوب السودان؛ فإن سوء التفاهم بيننا كان سبباً في تعقيد الأزمة وتوسيع الشقة، وتواصلاً لمعرفة الآخر فإن كثيراً من المواقف التي تتخذ من المسلمين والغربيين تجاه بعضهم بعضاً، سببها الجهل المتبادل والمعلومات الخاطئة التي هي عبارة عن إنطباعات أكثر منها معلومات واقعية، فكثيراً ما نسمع تصريحات بعض المسلمين تصف الغرب بأنه على حافة الإنهيار، وأنه يعيش حالة من الفوضى، وفي نقدهم للسياسات الغربية تجدهم يوجهون نقدهم للأشخاص لا للمؤسسات! مثل ما فعلوامع الرئيس بوش الإبن، وعندما قدم الرئيس كلنتون للمحاسبة؛ ظن كثير منا أنه سينهار مع أنه حوسب على إخفائه للمعلومة الصحيحة لا على الفعل نفسه، وهكذا فإسقاط واقعنا على الآخرين؛ هو الذي يوقعنا في أخطاء منهجية نتيجتها أخطاء استراتيجية قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:36].

ومما يجدر الإنتباه إليه أن الحضارة الغربية الحديثة؛ ليست صناعة غربية خالصة، وإنما هي نتاج تراكم معرفي، وتجارب إنسانية، كان للحضارة الإسلامية فضل كبير فيها، فإذا بحثنا نجد كثيراً من القواعد القانونية والمفاهيم الفكرية لها جذور إسلامية، فهى ليست غربية في الأصل وإنماهي بضاعتنا رُدَّت إلينا. والغربيون أيضاً لدى كثير منهم جهل بالإسلام وبالشعوب الإسلامية؛ فيحكمون عليهما بمنظار الإستعمار والإستشراق غير المنصف، أو من خلال ممارسات بعض المتطرفين الذين اختطفوا الشعار الإسلامي وشوهوه. واتصالاً بمعرفة الذات ومعرفة الآخر؛ هنالك أهمية لمعرفة الواقع، فالجهل بالواقع يوقع أيضاً في أخطاء منهجية وسلوكية، ويلاحظ ذلك في تعامل بعض المسلمين مع الآخر حتى الآن بوسائل العصر الأموي والعصر العباسي؛ حيث كانت

الإمبراطـورية الإسلاميـة – إذا جاز التعبير –ـ يمتد سلطانها من السند إلى المغرب، ومن سمرقند إلى السودان، حيث كان الرشيد يقول للسحابة: أمطري حيث شئت فسيحمل إلينا خراجك. في تلك الفترة أسست الدولة الإسلامية على أنقاض الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الفارسية، والآخر بادر بالعدوان ـ كما أسلفنا ـ ولذلك عومل بموجب السياسة الشرعية بالأسلوب الذي يتلاءم مع تلك المرحلة. أما الآن فنحن نعيش واقعاً مغايراً فعلى مستوى الذات تفككت الخلافة الإسلامية إلى أقطار صغيرة؛ تحكمها دساتير وطنية جعلت المواطنة أساساً للحقوق والواجبات، والقيادة الإسلامية الموحدة غابت عن عالم المسلمين؛ وحل محلها حكام الدول وأمراء الجماعـات الدينية، والمرجعية الفقهية ليست واحدة فكل دولة وكل جماعة –ـ وإن أعلنت أن الكتاب والسنة مرجعيتها –ـ إلا أنها تتبع مذهباً ومنهجاً خاصاً بها، ولا توجد جهة تملك فرض سلطة دينية على الجميع، ومعظم الأحكام السائدة في الأقطار الإسلامية؛ هي من إجتهادات السلف من أئمة المذاهب. وعلى المستوى الدولي فإن تقسيم العالم الذي كان سائداً –ـ دولة الإسلام ودولة الكفر الحربية، والمعاهدة –ـ قد اختفى وحل محله نظام جديد؛ تديره الأمم المتحدة بمواثيقها الدولية، ومنظماتها المنبثقة عنها، إضافة إلى المنظمات الإقليمية التي تضم الدول التى تقع في الإقليم المعني؛ كمنظمة المؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية، والإتحاد الأوروبي، والإتحاد الافريقي، وغير ذلك. والأمم المتحدة تضم دولاً تنتمي لجميع الديانات على وجه الأرض، وهي جميعها ملتزمة بمواثيق الأمم المتحدة؛ الداعية لحفظ الأمن والسلم الدوليين، وأي دولة تخرق هذه المواثيق ستفرض عليها عقوبات دولية تلتزم الدول بتفيذها دون أي إعتبار للعقيدة التي يدين بها أهل البلد المعني؛ كما فعلت الدول الإسلامية مع عراق صدام، ومع أفغانستان طالبان؛ حيث التزمت بقرارات الأمم المتحدة ولم تخالفها بحجة أنها صادرة من جهة كافرة ضد دولة مسلمة! أيضاً من مستجدات العلاقات الدولية أن بلداناً إسلامية كثيرة تضم ديانات متعددة؛ مسلمة وغير مسلمة، ومواطنوا تلك الدول هم أصحاب حق في بلدانهم دون إعتبار لعقائدهم، ولا يحق لأي مسلم ليس مواطناً في البلدان المعنية؛ أن يتدخل في شئونها بحجة الـولاء الإسلامـي. والأمر اللافت للنظر؛ أن كثيراً من المسلمين هاجروا إلى بلدان غربية مسيحية ونالوا جنسياتها وأصبحوا

ملتزمين بدساتيرها، وانخرطوا في قواتها المسلحة وينفذون أوامر قيادة دولتهم الجديدة، في شن الحرب على أي دولة تصنف من أعدائها، وربما تكون الدولة المعادية هي الدولة الإسلامية التي هاجر منها الجندي! ومن مستجدات العلاقات الدولية؛ أن السيادة الوطنية لا معنى لها في ظل انتهاك حقوق الإنسان المنصوص عليها في المواثيق الدولية، هذه المستجدات لا بد من إدراكها والوعي بها، لنتبين طبيعة الواقع الذي نعيشه في عصرنا هذا. إن المعرفة الواعية بالذات وبالآخر وبالواقع الدولي سوف تجعل الحوار خياراً إرادياً للعقلاء وخياراً جبرياً للحمقى!.

الوسيلة الثالثة: التربية:

الإنسان ابن بيئته؛ أي أنه يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه سلباً كان أو إيجاباً، فالبداوة تنعكس على سلوك أصحابها فتجد البدوي (عصبي المزاج، سريع الغضب، يهيج للشئ التافه، ثم لا يقف في هياجه عند حد، وهو أشد هياجاً إذا جرحت كرامته، أو انتهكت حرمة قبيلته، وإذا اهتاج أسرع إلى السيف واحتكم إليه)[1] وعكس ذلك تماماً البيئة الحضرية؛ فإنها تجعل الإنسان أميل إلى التسامح، والتجاوز، والتريث، وتقدير العواقب؛ قبل الإقدام على الفعل، فالبيئة إذن تعتبر أحد عوامل تكوين الشخصية البشرية بل أهمها، وما يتعلمه الإنسان ويتربى عليه في مرحلة تكوين شخصيته سيصحبه طيلة فترة حياته، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الأنبياء والمرسلين والمصلحين يولون إهتماماً كبيراً للتربية؛ إعداداً لحملة الرسالة والفكرة، والملاحظة تتجلى في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه: إذ كان يُعِدُّهم لحمل الرسالة للعالمين، فحرص على إزالة ما تراكم في أذهانهم من آثار الجاهلية أولاً؛ ثم غرس في نفوسهم المعاني والقيم والمفاهيم التي جاء بها الإسلام، وأكدت تعاليمه أثر التربية على حياة الإنسان، وأن كل مولود يولد على الفطرة الصافية النقية، والتغيير يحدث تبعاً للأسلوب الذي يتبعه الوالدان في تربية الأبناء. وكانت وسائل التربية التي اعتمد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم تتمثل في القدوة والتعليم والتجربة والمقارنة. فمن طبع الإنسان أن يرد على العنف بمثله

(1) أحمد أمين: موسوعة الحضارة الإسلامية ج/ 1 ص (53)

وربما بصورة أقسى، ولكن الإسلام عمل جاهداً على تغيير هذه الطبيعة في المسلم؛ فدعا إلى العفو والإيثار والإحسان، روى البخاري عن خباب أنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة] قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: ((كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيُجعل فيه فيُجاء بالمِنشار فيوضع على رأسه فيُشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، واللهُ ليُتمنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون))[1] فهو هنا يروض النفس على الصبر وتحمل الأذى، والتحرر من نزعة الإنتقام للنفس، فالرسالة ستنتصر حسب سنن الله في خلقه، لا حسب أماني الناس، والتضحيات مهر الإنتصار، فنبي الرحمة لم يكن يوماً ميالاً للإنتقام، وحتى في أحلك الظروف التي يتعرض فيها للأذى والظلم حيث تكون النفس مشحونة بالغضب؛ فإن الرحمة تتغلب على الإنتقام. عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: ((لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت؛ فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني؛ فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك ومـاردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين)) فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ((بل أرجوا أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً))[2] والله سبحانه وتعالى يرشد رسوله بالعفو عن المسئ، ويأمره باتباع المعروف حتى مع من جهل، وعلمه الكيفية التي يرد بها نزغات الشيطان؛ التي تدفع الإنسان دفعاً نحو الإنتقام قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾

(1) رواه البخارى في صحيحه (3612) ص(754) دار الإمان – القاهرة

(2) متفق عليه: رواه البخارى في صحيحه (3231) ومسلم (2327) مكتبة الإيمان القاهرة

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف:199-200] بل يذهب الإسلام أكثر من ذلك عندما يأمر المسلم أن يقابل السيئة بالحسنة عندها سيتحول العدو إلى ولي حميم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [فصلت:34-36].

هذا النهج التربوي يخلص المرء من نزعات الغضب والإنتقام والتسرع؛ وهي عوامل تتصادم مع الحوار، وفي مجال التربية هنالك عامل مهم في ترسيخ ثقافة الحوار: ألا وهو موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقد جعله الإسلام من أساسيات الدين بل إنه يحافظ علي الدين كله، لأنه يكون الرأي العام فيحافظ على مبادئ الدين وقيمه ويحاصر كل اتجاه نحو الإنحراف والميل عن الصواب. عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الدين النصيحة)) قلنا لمن؟ قال ((لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))[1] ولم يكتف الإسلام بالنصيحة الفردية بل دعا لتكوين جماعة تتخصص في هذا الأمر قال تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمرن:104] وكذلك الشورى فهي صفة من صفات المؤمنين ففي قضايا الأسرة تدخل الشورى: ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة:233] وقضايا المجتمع يتشاور حولها: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الشورى:38] وحتى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسدّد بالوحي أُمِر باستشارة أصحابه، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ [آل عمران:159] لقد ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على مبادئ وقيم جعلتهم حملة حضارة دينية إنسانية في وقت تراجعت

(1) رواه مسلم ح (1336)

فيه الإمبراطوريات القديمة، وكان مجتمع الصحابة يضم رموزاً برعوا في ثقافة الحوار، وكانوا يتحاورون على السليقة دون تكلف. لما تواجه جيش السلمين مع جيش الفرس في القادسية؛ طلب رستم قائد جيش الفرس من قائد جيش المسلمين: سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما يسأله عنه. فبعث إليه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فلما قدم عليه جعل رستم يقول له: (إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا. فقال له المغيرة: إنا ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث الله إلينا رسولاً قال له: إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذل، ولا يعتصم به إلا عز، فقال رستم: فما هو؟ فقال: أما عموده الذي لا يصلح شئ منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله، فقال: ما أحسن هذا؟! وأي شئ أيضاً؟ قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله. قال: وحسن أيضاً وأي شئ أيضاً؟ قال: والنـاس بنو آدم، فهم إخوة لأب وأم، قال: وحسن أيضاً. ثم قال رستم: أرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟ قال: إي والله. ثم لا نقرب بلادكـم إلا في تجارة أو حاجة. قال: وحسن أيضاً. قال: ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر رستم رؤساء قومه في الإسلام فأنفوا ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه.. ثم بعث سعد رسولاً آخر هو ربعي بن عامر فدخل عليه وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه؛ فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: إئذنوا له، فلما أقبل قالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلناه منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي. فقال رستم: قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم! كم أحب إليكم؟ يوماً أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. فقال: ما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤخر الأعداء عند اللقاء

أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا: ولكن المسلمين كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم. فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شئ من هذا وتدع دينك.. أما ترى إلى ثيابه، فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة. إن العـرب يستخفون بالثياب والمأكل، ويصونون الأحساب. ثم بعثوا يطلبون في اليوم الثاني رجلاً فبعث إليهم حذيفه بن محصن فتكلم نحو ما قال ربعي)[1]. فأنت ترى الأشخاص الثلاثة كأنهم سفراء هذا العصر؛ ينقلون رغبة الدولة التي يمثلونها دون تنازل وبأسلوب دقيق وحصيف، وتعجّب رستم واندهاشه يؤكد أن هذا النهج جديد عليه، فقد كان العرب في إمارة الحيرة يدينون للفرس بالولاء وما شهدوا منهم مثل هذا الكلام! مما يوضح أن نقلة جديدة حدثت لهم مع هذا الدين الجديد، وبراعة الثلاثة توضح من جانب آخر أن التربية الإسلامية قد رسخت ثقافة الحوار في المجتمع الإسلامي؛ عبر الشورى والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحرية الرأي؛ هذه البيئة الإسلامية رسخت ثقافة التعبير عن الرأي وبالتالي جعلت الحوار ثقافة مجتمعية راسخة، طابعها التلقائية والبداهة. ولما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز أتته الوفود، فإذا فيهم وفد الحجاز، فنظر إلى صبي صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال: ليتكلم من هو أسن منك، فإنه أحق بالكلام منك، فقال الصبي: يا أمير المؤمنين، لو كان القول كما قلت لكان في مجلسك هذا من هو أحق به منك! قال: صدقت، فتكلم فقال: يا أمير المؤمنين، إنا قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذي من علينا بك، ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك، أما عدم الرغبة، فقد أمنا بك في منازلنا، وأما عدم الرهبة، فقد أمنا جورك بعدلك، فنحن وفد الشكر والسـلام. فقال له عمر رضى الله عنه: عظني يا غلام؛ فقال: يا أمير المؤمنين إن أناساً غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم، فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه، فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال:21] فنظر عمر في سن الغلام فإذا له اثنتا عشرة سنة، فأنشدهم عمر رضي الله عنه:

(1) راجع البداية والنهاية لابن كثير الجزء الرابع ص (39 ـ 40)

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القـوم لا علم عنده صغير إذا التفت إليه المحافل[1]

فمجتمع الإسلام الذى تحكمه الخلافة الراشدة لا يعرف النفاق ولا التملق فهما محاصران بوعي الجمهور، وحكمة الخلفاء الذين يستجيبون للنصح ويمتثلون للحق مهما كان مصدره، فمثل هذه البيئة تحتفي بالنبوغ وتحترم أهل العلم والفضل، وتسود فيها ثقافة الحوار، لأن التربية تهدف لترسيخ القيم التي جاء بها الإسلام، والمجتمع بكل فئاته يراعي هذه القيم ويتشربها ثقافة وسلوكاً.

قحطت البادية في أيام «هشام بن عبد الملك» فقدمت عليه العرب فهابوا أن يتكلموا وكان فيهم «درواس بن حبيب» وهو [صبي] فوقعت عليه عين هشام، فقـال لحاجبه: (ما يشاء أحد أن يدخل علي إلا دخل حتى الصبيان؟! فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقاً فقال: يا أمير المؤمنين إن للكلام نشراً وطياً، وإنه لا يعرف ما في طيه إلا بنشره، فإن أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره نشرته، فأعجبه كلامه وقال له: أنشره لله درك، فقال يا أميرالمؤمنين: إنه أصابتنا سنون ثلاث: سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم، وسنة دقت العظم، وفي أيديكم فضول مال، فإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين. فقال هشام: ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذراً، فأمر للبوادي بمائة ألف دينار، وله بمائة ألف درهم ثم قال له: ألك حاجة؟ قال: ما لي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين، فخرج من عنده وهو من أجل القوم)[2]، فالعهد الأموى [على علاته] كان لا يخلو من إشراقات ومن بينها حلم الخلفاء واعتزازهم بعروبتهم وتجاوبهم مع رعيتهم في ساعات الصفاء والرضا.

هنالك عامل مساعد في انتهاج التربية المراعية لترسيخ ثقافة الحوار والتسامح يتمثل في المجتمع القائم على التعدد، فكل ما كان المجتمع متعدد الأديان ومتنوع

(1) المستطرف في كل فن مستظرف : تأليف : شهاب الدين محمدبن أحمد أبى الفتح الأبشيهى صالجزء الأول (54) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة الأولى : 1423هـ– 2002م
(2) المستطرف في كل فن مستظرف: ص (54)

الثقافات ومتباين الأفكار مع قبوله لهذه المكونات سهلت التربية المؤسسة لثقافة الحوار. لأن الناشئ يعيش الواقع عملياً، إضافة للتربية النظرية، ووعي المجتمع بطبيعة التعدد يرسخ ثقافة الحوار، خاصة وأنه من الطبيعي أن تحدث تساؤلات بين الأطفال والشباب المتعددي الإنتماءات عن الممارسات التي يقوم بها نظراؤهم والمواقف التي تحدث من حين لآخر فإن أجيبوا إجابة واعية تشرح الإختلاف والتباين وتوضح الطرق المثلى للتعامل مع هذا الإختلاف فسوف توضع لبنة في بناء العقلية المعتدلة القابلة للتسامح وقبول الآخر وبالتالي تترسخ ثقافة الحوار في المجتمع، وأما المجتمعات أحادية الثقافة أحادية الدين أحادية العرق فيصعب عليها قبول الآخر أو تفهمه لأنها عاشت نمطاً واحداً من الحياة لم تعرف فيه الغيرية، ولهذا فإن أكثر المتطرفين ينحدرون من مجتمعات أحادية التوجه أو تعددية تسودها العصبية.

الوسيلة الرابعة: الإعلام الهادف:

الإعلام له تأثير كبير على الرأي العام، فهو يشكل ثقافته ويعبؤه للتفاعل مع الأحداث سلباً أو إيجاباً، وينسب إلى ماركس قوله: (أعطني إعلاماً أعطيك أمة) وقد أطلق على الصحيفة وصف السلطة الرابعة أي بعد السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وأتصور أن الوصف ينطبق على الإعلام بكل أدواته وليس حصراً على الصحف، وعالم اليوم تعددت فيه وسائط الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية بصورة لم يسبق لها مثيل، وأضحت المعلومات متاحة لكل راغب بأيسر السبل، ولا شك أن المعلومة واحدة من العناصر التي يعتمد عليها الإنسان في اتخاذ قراراته ومواقفه، لأنك بالمعلومة تعرف قدراتك وقدرات الآخرين وتحدد أهدافك حسب طاقتك متفاعلاً مع معطيات الواقع، فالإعلام إذاً وسيلة من وسائل نشر الثقافة وترسيخها، بل وسيلة تتجلى أهميتها في هذا العصر، ويؤكد ذلك كثرة وسائط الإعلام والقدرات الهائلة لوكالات الأنباء العالمية المسيطرة على قدر كبير من المعلومات. إن الإعلام هو أيقونة العصر المعلوماتية فإذا استخدم إستخداماً هادفاً سيساهم في ترسيخ ثقافة الحوار، وذلك عن طريق نشر مواضيع تدعو للتسامح وتبين حتمية الإختلاف وضرورته وكيفية التعامل معه، وأن تتجنب وسائط الإعلام المواضيع التي من شأنها أن تثير الفتنة وتدعو للتعصب وتنشر الكراهية، والمؤثرات

في هذا العصر أصبحت متعددة، فإضافة إلى وسائل الأخبار التقليدية نجد هنالك المسرح والسينما والأفلام التلفزيونية المؤثرة والإنترنت، فإذا اتبع الإعلام نهجاً تسامحياً فإنه سيوجه الرأي العام في اتجاه قبول الآخر والتعايش السلمي معه واتخاذ الحوار وسيلة لفض النزاعات. ويلاحظ أن بعض الحوارات التي تجرى عبر القنوات الفضائية ومواقع الشبكات هي في الواقع تعمق الأزمة ولا تزيلها لأنها لا تلتزم بآداب الحوار ولا بشروطه، وهدف المتحاورين في الغالب هو الإنتصار للذات وليس بحثاً عن الحقيقة، على الرغم من وجود بعض القنوات الجادة والحوارات الهادفة إلا أن الأخيرة محدودة إذا قورنت بسابقاتها.

الوسيلة الخامسة: تبادل الزيارات:

التعرف على الآخر لا يتم بالقراءة عنه وحدها، وإنما تتعمق المعرفة بالمعايشة والتواصل، لأن الواقع الملموس أبلغ من التنظير، إن كثيراً من الناس يتخذون مواقفهم بناء على معلومات ناقصة فيظلمون ويظلمون، وربما يدلون بشهادتهم مستندين إلى تلك المعلومات التي تمثل جزء من الحقيقة، لاكلها. فأجهزة الإعلام مثلا تنقل المعلومة من الزاوية المتاحة لكاميرا المصور أو قلم المشاهد ولكن تظل هنالك زوايا أخرى، لم يتمكن الناقل من الوصول إليها. فالمعرفة تقتضي الإحتكاك بالآخر للتعرف عليه عن قرب وللإلمام بكل مكوناته الثقافية، والإجتماعيـة، والبيئية، عليه فإن من وسائل ترسيخ ثقافة الحوار تبادل الزيارات والدخول في المجتمع المعني لمعرفة القواعد التي يقوم عليها، والنظم التي يدير بها أموره، ولعلّ النص القرآني يهدف إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت:20] فالمعرفة المأخوذة من وسائل الإعلام السيارة معرفة ناقصة لأنها تنقل جانباً محـدوداً من الحقيقة، وكثير من الذين زاروا المجتمعات الغربية دهشوا مما رأوا كما شرح ذلك الشيخ محمد عبده عندما زار أوروبا، فالواقع مغايراً للصورة الموجودة في الأذهان، لأن عدسة المصور وقلم الصحفي ورواية الراوي تنتزع الجوانب التي تشكل إهتماماً لدى كل واحد منهم، وبعض الذين يعممون أحكامهم على الغربيين لم يدركوا أن المجتمعات الغربية مجتمعات مفتوحة، وحرية التعبير فيها مكفولة، والتنظيم مسموح

به لأي جماعة، وكل الحريات المنصوص عليها في الميثاق العالمي لحقوق الإنسان ملزمة للدول، وتوجد منظمات محلية تراقبها وتتأكد من أن الإلتزام بها واقع وليس تنظيراً، وحرية الإنسان لا تنتهي إلا حيث تبدأ حرية الآخرين، ومواقف الحكومات لا تعبر إلا عن السلطة الرسمية في الغالب وهي قابلة للتغيير عبر وسائل الضغط الكثيرة، كذلك توجد تيارات كثيرة تتطلع لتعايش سلمي مع الحضارات الأخرى وانفتاح على ثقافات الآخرين، إن التواصل مع هذه التيارات يفتح الباب لعلاقات تسامحية ولحوارت هادفة، ترفد العلاقات الإنسانية بمفاهيم تنظر بإيجابية للتعدد الديني والتنوع الثقافي.

الوسيلة السادسة: الأنشطة المشتركة:

هنالك مجالات متعددة تتيح العمل المشترك بين بني البشر، دون أن تشكل عقائدهم وثقافاتهم وإثنياتهم عائقاً يحول بينهم وبينها، كالمعارف الإنسانية، والأنشطة الإقتصادية، والمعونات الإنسانية لضحايا الحروب والكوارث الطبيعية وغيرها، إن تنفيذ برامج مشتركة يقوم بها المنتمون لديانات متعددة وثقافات متباينة وحضارات متنوعة من شأنه أن يعطي نموذجاً عملياً للتعايش المشترك، بل للتعاون المشترك في البر والخير، ولا توجد حساسية في هذا العصر من قيام أنشطة وبرامج مشتركة، فقد كسرت حواجز كثيرة، وتم تخطي عقبات كبيرة، وهنالك أكثر من منبر يجمع أشخاصاً ينتمون إلى ديانات متعددة والأمم المتحدة ومنظماتها الفرعية خير نموذج لذلك، كذلك عقدت ملتقيات كثيرة للحوار في مجالات كثيرة وتكونت ثقافة نظرية لا حدود لها حول هذا الموضوع، والمطلوب أن تخطو البشرية خطوات عملية لإختبار هذه الثقافة التراكمية، إن أكثر المجالات إلحاحاً لهذه الأنشطة المشتركة المجال الديني والمجال الحضاري فالتعصب الديني من أخطر عوامل النزاعات البشرية، والفوارق الحضارية تشجع العنف، ولعل بعض الجهات قد سعت لتحقيق ذلك، وكالعادة فإن الغربيين لهم السبق دائماً في مثل هذه القضايا والسبب في ذلك هو أنهم حققوا ضروراتهم المعيشية وحلوا قضاياهم الأساسية، فصاروا يخططون كيف يواجهون ما يستجد في حياتهم، ففي ملتقى الحوار الأروبي المتوسطي الذي عقد بمدينة «خافيا الأسبانية» في الأسبوع الثالث من مايو 2006م وشارك فيه

مسئولون أوروبيون إضافة لأمين عام جامعة الدول العربية ووزير خارجية المغرب ومدراء مؤسسات معنية بالحوار الحضاري وآخرين من ذوي الإهتمام فقد تمخض الاجتماع عن { التفكير في إقامة مؤسسة يكون مقرها في مدينة «خافيا»، تضاف إلى الجسور التي يجري بناؤها باسم حوار الحضارات، أو حوار الأديان، أو علاقات حسن الجوار، غير أنه تم الاتفاق على أن تكون تلك المؤسسة الجديدة موجهة بصفة خاصة إلى الشباب باعتبارهم المستقبل الذي يمكن بناؤه على أساس تبادل المعرفة والفهم المتبادل والابتعاد عن التطرف الذي ينبع غالباً من الجهل وتبني الصورة الأحادية والرمادية للعالم، وقد تركزت المقترحات في نقاط محددة:

1 - التركيز على الشباب المتميزين وقادة المستقبل من مختلف الأوساط الاجتماعية ومتنوعي الخبرات والتخصصات، وعقد لقاءات بينهم حول موضوعات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية لتعميق المعرفة المتبادلة والفهم والتقدير وتنظيم معسكرات صيفية.

2 - تشجيع المنح الدراسية وتبادل الطلبة والباحثين.

3 - تشجيع تبادل الآراء حول الحكم الصالح وسيادة القانون.

4 - تشجيع الاتصالات بين أصحاب الأعمال والعمال، وخلق فرص عمل عن طريق دورات تدريبية مع التركيز على المشروعات الصغيرة والمتوسطة.

5 - تشجيع الاتصالات عن طريق وسائل الإعلام.

6 - الاستفادة من المؤسسات والمبادرات القائمة في هذا الشأن، مثل: مؤسسة أنا ليند، ومهرجان أصيلة الثقافي بالمغرب الذي يرأسه محمد بن عيسى عمدة المدينة المنتخب، ووزير خارجية المغرب، ومؤسسة «بروكنجز»، واللجنة الدولية للأزمات التي يرأسها جاريت ايفنز، وزير خارجية استراليا السابق، والتي كانت ممثلة في الاجتماع. 7. تنظيم ورش عمل للشباب حول موضوعات الحوار، والموضوعات المتنوعة، ومنها فرص العمل للشباب.

وتم الاتفاق على أن يتم تعميق دراسة النقاط سالفة الذكر لتشكل منظومة متكاملة في إطار مؤسسة صغيرة يكون مقرها في تلك المدينة الاسبانية الصغيرة

والمضيافة، وقد تعهدت الحكومة المحلية بتقديم تسهيلات وبعض التمويل، بالإضافة إلى مصادر التمويل الأخرى من القطاع الخاص. كما أعلنت حكومة إقليم فالنسيا عن تقديم (5) منح للشباب سيتم الإعلان فيما بعد عن شروطها وتفصيلاتها. وقد اعتبر المشاركون في الاجتماع، هم مؤسسو ذلك الكيان الجديد على أن يتبادلوا الرأي حول التفصيلات في اتصالات تجري بينهم إلى أن يمكن عقد الاجتماع التأسيسي بعد أن تنضج الأمور من النواحي الموضوعية والمالية والتنظيمية، وقد وجه وزير خارجية المغرب الدعوة لمن يستطيع من المشاركين حضور مهرجان أصيلة الثقافي في أغسطس باعتباره كياناً يمكن الاستفادة منه في وضع الأفكار التي أثيرت موضع التنفيذ }[1].

كذلك فإن التعاون في المجالات الأكاديمية والثقافية وتخصيص مقاعد في الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحث من شأنه أن يعضدد الإنفتاح ويشجع الحـوار، ولعل هذا المجال قد طرق بالفعل ولكن المطلوب التوسع فيه حتى يتواصل ويصبح هدفاً مقصوداً ليثمر تلاقحاً حضارياً وتعاوناً إنسانياً على مستوى القرية الكوكبية. في زيارته لليابان في أبريل 2006م ألقـى سمـو الأمير سلطـان بن عبد العزيز ولي العهد السعودي كلمة في جامعة (واسيدا) التي كرّمته بمنحه درجة الدكتوراة الفخرية في القانون فقال: أشعر «بالغبطة لوجودي بينكم اليوم في رحاب هذا الصرح العلمي العريق بدعوة كريمة من الجامعة، وأود أن أغتنم هذه المناسبة لأؤكد لكم الاهتمام الكبير الذي توليه المملكة العربية السعودية منذ نشأتها للعلم، بصفته من أهم الأسس التي تقوم عليها الحياة وتعمر الأرض وتتطور الشعوب وتتنوع الثقافات، وهو السبيل لاستمرار التنمية والتحديث واكتشاف ما أودع الله سبحانه وتعالى من أسرار في الكون الذي نعيش فيه«؛ وقال ولي العهد السعودي: «أيها الاصدقاء، اننا في المملكة العربية السعودية نولي العلاقات الثقافية أهمية كبيرة، كونها أحد الأطر الأساسية للتقريب بين الشعوب وللفهم المشترك بين الحضارات والثقافات المتعايشة على كوكبنا، مما يسهم في تحقيق الأمن والتعايش تحت مظلة السلام والتعاون وتبادل المنافع في كل مناحي الحياة، كما اننا على قناعة بأن الحوار

(1) أحمد ماهر وزير الخارجية المصرى السابق: مقال نشر في الشرق الأوسط: 26 مايو 2006م

المتوازن بين الثقافات المبني على الاحترام المتبادل يسهم في منع أوجه الاختلاف والنزاع بين الامم ويقف أمام احتمالات نشوء الصراع بينهما«؛ وأكد الأمير سلطان رفضه فكرة صدام الحضارات قائلاً: «يسرني من هذا المنبر العلمي تأكيد ما جاء في دعوة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز من إدانة لفكرة الصدام بين الحضارات ودعوته الى أن تحل محلها فكرة التعايش السلمي بين الحضارات.. ولتكون المرحلة القادمة للعلاقات بين الدول والامم مرحلة حوار حقيقي يحترم كل طرف فيه الطرف الاخر»؛ ووصف دعوة الحوار بأنها دعـوة انسانية «للتعايش السلمي تنطلق من تعاليم ديننا الاسلامي»؛ مضيفاً أنها «في وقت أحوج ما يكون فيه المجتمع البشري اليها، حيث تنتشر الحروب والنزاعات واحتلال أراضي الغير بالقوة وفي وقت ترتفع فيه فرضيات صراع الحضارات التي لا تقود الا الى تعميق الخلافات وتكريس التمايز العرقي والطبقي وبث روح العداء والكراهية.. لذا فإننا ندعوا المجتمع الدولي الى تكثيف الجهود لتكريس التعايش السلمي بين الحضارات واحترام الانسان ونبذ كافة اشكال التمييز والعنف والتطرف والعدوان«؛ وأضاف «كما أننا ندعو منبر هذه الجامعة العريقة الى مزيد من التعاون في مختلف مجالات البحث العلمي بما يعود بالخير والمنفعة للانسانيـة جمعـاء«؛ وأكد أن السعودية تشيد «بالمكانة المرموقة التي وصلت اليها اليابان في كافة المجالات العلمية والتقنية، ونقدر التعاون القائم بين المؤسسات العلمية في البلدين ولتعزيز هذا التعاون المثمر فانه يسرني أن اعلن عن صدور توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز لوزارة التعليم العالي في المملكة بأن تكون اليابان من ضمن الدول التي سيشملها برنامج ابتعاث الطلبة السعوديين»؛ مضيفاً «اننا على ثقة بأن توسيع التعاون العلمي بين البلدين في مختلف المجالات سوف يسهم في تطوير العلاقات بينهما«. وتعتبر جامعة واسيدا، من أعرق الجامعات اليابانية وتأسست عام 1882 ويدرس فيها أكثر من 50 الف طالب وطالبة يمثلون أكثر من أربعين دولة، فيما تطرح نحو 140 منحة دراسية بين أعضاء هيئة التدريس كل عام وقد منحت شهادة الدكتوراه الفخرية لعدد من ملوك ورؤساء دول العالم[1]. إن مثل هذه الأنشطة المتبادلة ينبغي ألا تأتي

(1) جريدة الشرق الأوسط: 8 أبريل 2006م

عفو الخاطر بل يتم التخطيط لها وفق برمجة مدروسة وهادفة لأنها من أنجح وسائل ترسيخ ثقافة الحوار، ومن وجد الإحسان قيداً تقيد..

فكما أن علينا أن نعيد النظر في كثير من المواقف فعلى الطرف الآخر فعل الشيئ نفسه ليصحح معلوماته عن ديننا وثقافتنا ليكون قادرا على تفهم كثير من المواقف التى قد لاتتفق مع ما هو سائد في بيئتهم ولاتقره قيمهم. إن ترسيخ ثقافة الحوار يحتاج إلى إرادة من المعنيين بالأمر وقناعة تترجم إلى آليـات تعنى بهذا الأمر، وإذا اتبعت الوسائل السابقة بدقة سوف تؤتى أكلها رغم العوائق العقائدية والفكرية والسياسية، فالعنف أفسد كل شئ ومع ذلك فإن الإصلاح ممكن.

الفصل السادس:

من ثمرات الحوار

- **المبحث الأول**: ثمرات الحوار في الدعوة
- **المبحث الثاني**: ثمرات الحوار في التربية
- **المبحث الثالث**: ثمرات الحوار في الثقافة والإعلام

المبحث الأول:

ثمرات الحوار في الدعوة

باستعراض الفصول السابقة يتضح لنا أن الإسلام هو دين الحوار، والمجادلة بالحسنى، وإقامة الحجة، فالحوار كان وسيلة التخاطب بين الله سبحانه وتعالى وملائكته، وكان حاضراً في مخاطبة إبليس، وكان الوسيلة الغالبة في العلاقة بين الله ورسله، وبدراسة مسيرة الرسل الطويلة مع قومهم نجد أن الحوار كان هو الأساس في التخاطب معهم وشرح مراد الله لهم، وأكثر القصص القرآنية اشتمالاً للحوار قصة موسى مع فرعون من ناحية ومع قومه من الناحية الأخرى، كما أن قصص الأنبياء الأخرى، تخللتها حوارات كثيرة بينهم وبين قومهم، وسبق أن ذكرنا أن نبي الله شعيب عليه السلام كان يسمى خطيب الأنبياء. ومن المناسب أن نتعرض في فصل الثمرات التي تحققت من الحوار إلى قصة بلقيس ملكة سبأ مع نبي الله سليمان والتي وردت مفصلة في سورة النمل هذه القصة اشتملت على حوارات متعددة: حوار النملة مع بقية النمل وتحذيرهم من موكب سليمان، وحوار نبي الله سليمان مع النملة عن طريق التبسم حيث هو الوحيد الذي عرف لغتها، ثم افتقاده للهدهد وتساؤله عنه وتهديده بالعذاب أو الذبح، ولا ينجيه إلا الإتيان بسلطان مبين ـ أي سبب مقنع للعفو ـ وجاء الهدهد فقال لسليمان عليه السلام: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل:22] وهي كلمة في غاية الجمال تعني: إنني أنا الهدهد الضعيف الذي لا يكاد يكون شيئاً بجوار النبي الملك سليمان العظيم، قد أحطت من العلم بما لم يحط به نبي الله، وذلك أن العلم لا نهاية له وأن الإحاطة المطلقة به مستحيلة، والناس يتقاسمون بعضه، يحيط فريق منهم بما لم يحط به الآخر، وهم جميعاً لا يحيطون إلا بالبعض الضئيل: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا

قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:85] ويستمر الهدهد في حديثه: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ واستمرت الآيات المتعلقة بالقصة حتى قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل:20-44] ونتبين من القصة الفوائد الآتية:

1 - أن المخلوقات الأخرى لديها لغات تتخاطب عبرها كما لديها معارف ربما تتفوق على البشر: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام:38].

2 - أن نبي الله سليمان قبل أن يصدر حكماً حرص على التأكد من رواية الهدهد أولاً، مما يشير إلى أهمية التدقيق في المعلومات قبل اتخاذ المواقف وإصدار الأحكام وهو ما ينبغي للدعاة ولكل من يتعامل مع المخلوقات أن يسلكوه: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [النمل:27-28].

3 - أن بلقيس كانت امرأة حكيمة تتمتع برجاحة عقل وبعد نظر، فنقلت إلى قومها رسالة سليمان بأسلوب رقيق لا يشتم منه رائحة الإستفزاز [وما آفة الأخبار إلا رواتها] حيث: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ثم استشارتهم كيف يتصرفون مع هذا الموقف فلما فوّضوا الأمر إليها مع الإعتزاز بأنفسهم وقوتهم لم تستجب لاندفاع قومها وإنما تريثت لتتبين حقيقة الأمر وردت رداً مختلفاً عن منطق القوة والتحدي: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل:29-35].

4 - وأخيراً فإن التفاوض كتابة وشفاهة وعبر التقنيات الحضارية التي بهرتها قادها للإسلام والإيمان بالله: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل:44].

أما الرسالة الخاتمة فهي رسالة الحجة والإقتناع والبراهين وهي لا تتحقق

إلا بالحوار والنقاش والجدال بالتي هي أحسن. فقد كان الحوار منهجا في الدعوة الإسلامية غطى كل مساحات المجتمع الأسرية، والمجتمعية، وعلى نطاق الدولة، والعلاقات الدولية فتحققت نتيجة لهذا المنهج ثمار كثيرة.

إن الثمار التي تحققت للدعوة عن طريق التفاوض والحوار كثيرة لا تحصى ودراسة سير الأنبياء والمرسلين تقنع كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وإذا انتقلنا إلى الرسالة الخاتمة فنجد أن الحوار حقق ثمرات كثيرة في مجال الدعوة نشاهدها في التحولات الكبيرة التي حدثت في جزيرة العرب ومن ثم في عالم المعمورة، وهي تحولات تتأكد أهميتها بمعرفة ما كان عليه الحال في عصر الجاهلية من انتشار للوثنية وتمسك بالعصبية وتمايز بالألوان والأعراق وحروب مدمرة لأتفه الأشياء، فلا شك أن الإسلام قد أحدث تحولاً كبيراً نحو الأحسن مقارنة بما كان عليه الحال قبل مجيئه، ويستحسن كمدخل لهذا الموضوع أن نتناول الحوار الذي حدث في بلاط الروم بين أبي سفيان ـ وكان وقتها على شركه ـ وبين هرقل عظيم الروم حول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو حوار مهم يبين أن أهل الكتاب كانوا على علم بأن زمان النبي الخاتم قد أطل، ولكن منعهم الجحود من التصديق والإتباع، والحوار قد ورد في صحيح البخاري الذي قال: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أباسفيان بن حرب أخبره (أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم

ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه، قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم.

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم

يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:64].

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام)[1] هذا الحوار يستفاد منه عدة أمور:

أولها: أن أهل مكة كانوا على دراية تامة بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته بدليل ماورد على لسان أبي سفيان في هذا الحوار وأن المعاني والقيم التي يدعو إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قيم نبيلة وأكد لهم هرقل أن كل ما ذكر يؤكد صدق الدعوة ومع ذلك لم يزدهم الأمر إلاضلالاً ونفوراً مما يفهم معه تحكم العناد عليهم فأوردهم المهالك.

ثانيها: أن هرقل موقن في قرارة نفسه بصدق الدعوة ولكن سطوة السلطة وبهرجة الملك ونفرة أعوانه جعلته ينحاز إلى الفانية ويؤكد ذلك مارواه البخاري: (أن هرقل كتب إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم.. فأتاه كتاب من صاحبه يوافق رأيه على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة[2] حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه)[3] فشهوة السلطة تحول من اتباع الحق.

---

(1) متفق عليه رواه البخارى في صحيحه (7) ص(–11 12) ومسلم في صحيحه (1773) مكتبة الإيمان القاهرة

(2) حاص: عدل وحاد: مختار الصحاح

(3) رواه البخارى في صحيحه (7)

وثالثها: أن هذا الحوار بين شخصين لم يكونا مسلمين ولكن الله أجرى الحق على لسانهما فأبرزا الدعوة على حقيقتها، مما يثبت شهادة أخرى على صدق دعوة الإسلام، والحق ما شهدت به الأعداء.

إن الثمرات التي تحققت وتتحقق للدعوة بفضل الحوار كثيرة لا يتسع لها هذا البحث ولكن يمكن الإشارة إلى بعضها بما يلي:

أولاً: تحول أفراد وجماعات للإسلام عن طريق الحوار:

بيّن الله سبحانه وتعالى أنه أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وتجلت هذه الرحمة في سيرته العطرة التي كانت تميل إلى اللين والتسامح قال مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (ما خير صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه؛ وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها)[1] ومن شفقته على الناس ورحمته بهم كان صلى الله عليه وسلم يرهق نفسه عندما يرفض الناس دعوته شفقة عليهم قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف:6]. لقد كانت صفات الرحمة والتسامح والتيسير ملازمة له صلى الله عليه وسلم ولم تكن وليدة ظروف عابرة، ومنذ فجر الدعوة كان متبعاً لنهج التفاوض والحوار من المشركين حريصاً على إخرجهم من الظلمات إلى النور فلم يترك سبيلاً إلا سلكه ولا فرصة إلا استغلها لمخاطبة قومه بما يكون به صلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة. عن عبد القدوس عن نافع عن ابن عمر بن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ ﴾ [فصلت:5] قال: {{ أقبلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: ((ما يمنعكم من الإسلام فتسودوا العرب؟)) فقالوا: يا محمد، ما نفقه ما تقول، ولا نسمعه، وإن على قلوبنا لغلفاً، فقال: وأخذ أبو جهل ثوباً فمد فيما بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ((أدعوكم إلى خصلتين: أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

(1) رواه البخاري في صحيحه (3560)

له، وأني رسول الله)) فلما سمعوا شهادة أن لا إله، ولووا على أدبارهم نفوراً، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:5] وقال بعضهم لبعض: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعنون النصرانية:﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ ءَأُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص:6-8] وهبط جبريل وقال: يا محمد، إن الله يقرئك السلام، ويقول: ((أليس يزعم هؤلاء أنّ: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء:46] فليس يسمعون قولك، كيف: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾[الإسراء:46] لو كانوا كما زعموا لم ينفروا، ولكنهم كاذبون يسمعون ولا ينتفعون بذلك كراهية له)) قال: فلما كان الغد أقبل منهم سبعون رجلاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، اعرض علينا الإسلام، فلما عرض عليهم الإسلام أسلموا عن آخرهم، فتبسم منهم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: ((الحمد لله، بالأمس تزعمون أن على قلوبكم غلفاً، وقلوبكم أكنة مما ندعوكم إليه، وفي آذانكم وقر وأصبحتم اليوم مسلمين)) فقالوا: يا رسول الله، كذبنا والله بالأمس، لو كان كذلك ما اهتدينا أبداً ولكن الله الصادق، والعباد الكاذبون عليه، وهو الغني ونحن الفقراء }}[1] بهذا النهج المتسامح استقطب الناس للإسلام وغرس في نفوس المؤمنين به العفو عند المقدرة والتجاوز عن الإساءة والرفق بالعباد وقد حقق أهم ثلاثة إنجازات بالوسائل السلمية:

1 - إقامة الدولة في المدينة.

2 - واستمالة القبائل العربية في فترة صلح الحديبية.

3 - وفتح مكة.

وبالرغم من أن المشركين بادروه بالعنف إلا أنه لم يرد عليهم وأمر أصحابه بالكف، ولم يرد على العدوان إلا عندما أذن له في العام الثاني للهجرة، وما كان راغباً فيه، وكل الذين قتلوا في المعارك في حياته صلى الله عليه وسلم من شهداء المسلمين

(1) أخرجه السيوطي في الدر المنثور 5/360 موسوعة أصول الفكر السياسي والإجتماعي والإقتصادي الجزء الأول ص (433)

وقتلى المشركين كان عددهم: 1018 شخصاً. فالدعوة جاءت سلمية وكان الحوار ديدنها كما اتضح في الفصول السابقة، كان العصر الجاهلي تسوده الوثنية وعبادة الأصنام، وخرافات مسيطرة على عقلية البشر كالطيرة والهامة والصفر، وهي عقائد مكثت دهراً طويلاً حتى استقرت، ومحوها يحتاج إلى إثبات بطلانها وتقديم حجج دامغة تقوض أركانها، ولا يتم ذلك إلا بالحوار والنقاش والمقارنة وهذا ما ركز عليه الإسلام:

ـ كان أهل مكة يدركون قوة منطق الرسول صلى الله عليه وسلم ووضوح حجته فاجتهدوا على منع الناس من السماع إليه، وكانوا يتلقون الركبان القادمين لمكة للحج وللزيارة أو للتجارة فيحذرونهم من رجل في مكة يدّعي النبوة ويطلبون منهم ألا يستمعوا إليه. ذكر ابن إسحاق: { أن الطفيل بن عمرو الدوسي قدم مكة فاجتمع به أشراف قريش وحذروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذني كرسفـاً ـ قطناً ـ فرقا من أن يبلغني شئ من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه، قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفي على الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد إنّ قومك قالوا لي كذا وكذا [الذي قالوا] قال: فوالله ما برحوا بي يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا اسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك فسمعت قولاً حسناً، فأعرض علي أمرك؛ قال: فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام وتلا علي القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت: يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم وداعيهم للإسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه؛ قال فقال: ((اللهم اجعل له آية)) ولما وصل الطفيل إلى بلده دعا أباه وزوجته إلى الإسلام فأسلما وأبطأت دوس فجاء إلى مكة وطلب من رسول الله أن يدعو عليهم فدعا لهم وقال: ((اللهم اهد دوسـاً

وأت بهم))[1]، ((ارجع إلـى قومك فادعهم وارفق بهم)) قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيـبر حتى نزلـت المدينة بسبعين ـ أو ثمانين بيتاً ـ من دوس فلحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين}[2]. نلاحظ هنا أثر الحوار وقوة الحجة فالطفيل كان عاقلًا ومبصراً فلما تسلل القرآن إلى سمعه رغماً عنه حمله ذلك على مراجعة موقفه فلم يستجب لطلب قريش بعدم الإستماع للنبي وعندما استمع إلى رسول الله ميّز منذ اللحظة الأولى قوة حجته وأدرك أنه نبي ثم حمل معه الدين الجديد لقومه وأقنع من أقنع منهم بالحوار حتى قادهم للإسلام.

ـ بيعة العقبة كانت حدثاً مهماً في مسيرة الدعوة فعبرها فتحت أمام الدعوة أفاق جديدة وبها استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرفع الحصار الذي فرض عليه وعلى أصحابه، وتعتبر أول عهد وقع في الإسلام إذ بموجب هذه البيعة أسس مجتمع إسلامي جديد في المدينة كان اللبنة الأولى في بناء الدولة الإسلامية التي ستبسط سلطانها وتعاليمها في أركان الدنيا الأربعة.. قال ابن اسحاق: { لما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه؛ وإنجاز موعده له، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينا هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً. فحدثني عاصم بن عمر عن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: ((من أنتم؟)) قالوا: نفر من الخزرج قال: ((أمن موالي يهود؟)) قالوا: نعم! قال: ((أفلا تجلسون أكلمكـم؟)) قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم

(1) رواه البخارى في صحيحه (4392) في كتاب المغازى

(2) السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثانى ص(22 – 24) دار التقوى القاهرة. و ابن كثير: البداية والنهاية، الجزء الثاني، ص (97 ـ 98)

أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شئ قالوا إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهـود فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجـل أعـز منك. ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهـم، آمنوا وصدقوا }[1] ففي هذه العقبة دار حوار حول الأسس التي تمت عليها البيعة والإلتزامات المتعلقة بها والواجبات التي تفرضها والحقوق التي تكفلها: {عن أبي إسحاق السبيعي عن الشعبي وعن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن عمر عن عقيل بن أبي طالب ومحمد بن عبد الله بن أخي الزهري عن الزهري أنّ العباس بن عبد المطلب مرّ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلم النقباء ويكلمونه، فعرف صوته صلى الله عليه وسلم فنزل وعقل راحلته، ثم قال لهم: ((يا معشر الأوس والخزرج، هذا ابن أخي وهو أحب الناس إلي، فإن كنتم صدقتموه، وآمنتم به وأردتم إخراجه معكم، فإني أريد أن آخذ عليكم موثقاً تطمئن به نفسي، ولا تخذلوه ولا تغروه، فإن جيرانكم اليهود، وهم لكم عدو ولا آمن مكرهم عليه)) فقال أسعد بن زرارة ـ وشق عليه قول العباس حين اتهم عليه أسعد وأصحابه ـ يا رسول الله إئذن لي فلنجبه غير مخشنين لصدرك، ولا متعرضين لشئ مما تكره إلا تصديقاً لإجابتنا إياك وإيماناً بك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أجيبوه غير متهمين)) فقال أسعد بن زرارة وأقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنّ لكل دعوة سبيلاً إن لين وإن شدة، وقد دعوتنا اليوم إلى دعوة متجهمة للناس متوعرة عليهم، دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك إلى دينك وتلك مرتبة صعبة، فأجبناك إلى ذلك، ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين الناس من الجوار والأرحام والقريب والبعيد وتلك رتبة صعبة، فأجبناك إلى ذلك، ودعوتنا ونحن جماعة في عز ومنعة لا يطمع فينا أحد أن يرأس علينا رجل من غيرنا

(1) السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثانى ص(54) و البداية والنهاية: ج 3 ص (46 ـ 47)

قد أفرده قومه وأسلمه أعمامـه، وتلك رتبة صعبة، فأجبناك إلى ذلك وكل هؤلاء الرتب مكروهة عند الناس إلا من عزم الله على رشده والتمس الخير في عواقبها، وقد أجبناك إلى ذلك بألسنتنا وصدورنا إيماناً بما جئت به وتصديقاً بمعرفة ثبتت في قلوبنا نبايعك على ذلك ونبايع الله ربنا وربك، يد الله فوق أيدينا ودماؤنا دون دمك وأيدينا دون يدك نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا فإن نفِ بذلك فبالله نفي ونحن به أسعد، وإن نغدر، فبالله نغدر ونحن به أشقى، هذا الصدق منا يا رسول الله والله المستعان، ثم أقبل على العباس بن عبد المطلب بوجهه، وأما أنت أيها المعترض لنا القول دون النبي صلى الله عليه وسلم فالله أعلم بما أردت بذلك، ذكرت أنه ابن أخيك وأنه أحب الناس إليك فنحن قد قطعنا القريب والبعيد وذا الرحم ونشهد أنه رسول الله أرسله من عنده ليس بكذاب، وإنّ ما جاء به لا يشبه كلام البشر، وأما ما ذكرت أنك لا تطمئن إلينا في أمره حتى تأخذ مواثيقنا فهذه خصلة لا نردها على أحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ ما شئت، ثم التفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله خذ لنفسك ما شئت واشترط لربك ما شئت فقـال النبي صلى الله عليه وسلـم: ((أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم ونساءكم)) وقالوا: فذلك لك يا رسول الله }[1] أعتقد أن التاريخ يشهد بأن هذا الحوار كان فتحاً بموجبه اكتسبت الدعوة أرضاً جديدة احتضنت نواة المجتمع الإسلامي الذي أفاض على الإنسانية خيراً وعسلاً ولبناً، بهذا الصدق وهذا الوضوح وهذا الإلتزام خطت الدعوة بخطى ثابتـة نحو آفاق لا تحدها قيود المشركـين ولا عقباتهم.

ـ كان رسول الله يختار خيرة أصحابه ويبعث بهم لينشروا الإسلام ويعلموا القـرآن، وكان مصعب بن عمير أول سفير للإسلام حيث بعثه رسول الله مع أهل المدينة ليعلمهم الإسلام، وكان مصعب مفاوضاً بارعاً ومتحدثاً لبقاً ويتمتع بهدوء مكنه من تحويل غلظة من يفاوضهم إلى لين وتجاوب، ذكر ابن إسحاق {أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر، وكان

(1) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (106) موسوعة أصول الفكر: ج/ 5 ص (2820 ـ 2821)

سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر على بئر يقال له بئر مرق فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد لأسيد: لا أبا لك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانههما أن يأتيا دارينا فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً، قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه وقد جاءك فأصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه، قال: فوقف عليهما متشتماً فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أوتجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، قال: ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقال فيما يذكرعنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ.. فلما جاء إليهما وقف متشتماً ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره؟ قال وقد قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم إثنان، قال فقال له مصعب: أوتقعد فتسمع فإن رضيت أمراً رغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن.. فأسلم ثم أخذ حربته وأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن الحضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة (قيادة) قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد

الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة }[1] فثمرة الحوار هنا أبلغ من أي بيان والشاهد أنّ مصعب كان بحق مثالاً للداعية الذي يستطيع بالحكمة أن يمتص غضب الناس ويحول مجرى الحديث إلى جانب موضوعي يتمكن به من كسب المحاور إلى جانبه.

ثانياً: الحوار وسيلة لتوضيح الأحكام الشرعية:

ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت؛ فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال صدقت؛ قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)[2] فثمرة هذا الحوار بين جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم أن الصحابة علموا الأركان والقواعد التي يقوم عليها الإسلام، وعلموا أن الساعة علمها عند الله ولكن لديها علامات ذكرها رسول الله..

ـ وهذا حوار آخر بين رسول الله ووفد من الذين أسلموا.. فيه ثمرات كثيرة تظهرمن خلال الحوار: عن علقمة عن أبي سليمان الداراني قال: سمعت علقمة بن

(1) السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثانى الصفحات (159- 161)
(2) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان: (8)

سويد بن علقمة بن الحارث يقول: سمعت جدي علقمة بن الحارث يقول: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا سابع سبعة من قومي، فسلمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرد علينا فكلمناه فأعجبه كلامنا، وقال: ((ما أنتم؟)) قلنا: مؤمنون، قال: ((لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانكم؟)) قلنا: خمس عشرة خصلة، خمس أمرتنا بها، وخمس أمرتنا بها رسلك، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية، ونحن عليها إلى الآن إلا أن تنهانا يا رسول الله، قال: ((وما الخمس التي أمرتكم بها؟)) قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره، قال: ((وما الخمس التي أمرتكم بها رسلي؟)) قلنا: أمرتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، ونقيم الصلاة المكتوبة، ونؤدي الزكاة المفروضة، ونصوم شهر رمضان، ونحج البيت إن استطعنا إليه السبيل، قال: ((وما الخصال التي تخلقتم بها في الجاهلية؟)) قلنا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق في مواطن اللقاء، والرضا بمر القضاء، وترك الشماتة بالمصيبة إذا حلت بالأعداء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فقهاء، أدباء، كادوا أن يكونوا أنبياء من خصال ما أشرفها)) وتبسم إلينا ثم قال: ((أوصيكم بخمس خصال ليكمل الله لكم خصال الخير، لا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا فيما غداً عنه تزولون، واتقوا الله الذي إليه تحشرون وعليه تقدمون، وارغبوا فيما إليه تصيرون وفيه تخلدون))[1].

هذا الحوار بين الرسول والمسلمين القادمين بين عدة حقائق أولها: وعي المسلمين بالأسس والمبادئ التي يقوم عليها الإسلام.. وثانيها: استصحاب الإسلام للقيم النافعة من تجارب الإنسانية وقد أقرهم الرسول على ذلك.. وثالثها: أن الرسول أشاد بعلمهم وأدبهم وخصالهم التي ذكروها مما يوضح أنه صلى الله عليه وسلم كان لصيقاً بأصحابه ويسرّه نبوغهم ومن إعجابه ببلاغتهم وفقههم زادهم خصالاً أخرى لتكمل لهم خصال الخير.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (257/ 4، 409) موسوعة أصول الفكر السياسي والإجتماعي والإقتصادي، إعداد خديجة النبراوي المجلد الخامس ص (2819 ـ 2820)

ثالثاً: المحافظة على وحدة الجماعة في أحلك الظروف:

كثير من الإنجازات الحاسمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحققت نتيجة لمحاورات بين كبار الصحابة من أهل الرأي والعلم منها: بيعة أبي بكر والتي تمت بعد حوار مستفيض بين الأنصار والمهاجرين، وبالرغم من أن عمر قد حسم الأمر بالمبادرة إلا أن الحوار الذي تم قد بين وجهة نظر الطرفين، ومن ثم كان التأييد لرأي المهاجرين بدليل أن الأغلبية بايعت أبا بكر ما عدا سعد بن عبادة، وقضية الردة التي حدثت بعد وفاة رسول الله كانت من القواصم التي عصم منها موقف الخليفة أبي بكر الحاسم الذي لولاه لانهار البنيان، ورق الدين. فبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت وفود العرب تقدم المدينة يقرون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق، محتجين بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:103] قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا، وأنشد بعضهم:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فوا عجباً ما بال ملك أبي بكر

وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم: ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق من ذلك وأباه. وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجة عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: علام تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها؟ فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقاً، وفي رواية: عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق[1].

فالحوار أثمر قناعة بضرورة الحسم مع هؤلاء الذين شقوا عصا الجماعة، فلو تركوا دون عقاب لشجعوا غيرهم لانتقاض عرى الإسلام عروة عروة، والذي من

(1) البداية والنهاية: الجزء الثالث (315)

شأنه أن يؤدي في النهاية إلى زوال دولة الإسلام الوليدة (إن موقف الصحابة رضي الله عنهم في قضية الردة والمعالجة الصديقية لها كانت موقفاً يدل على مدى الوعي، والفهم للطبيعة البشرية، وطبيعة النظم والعلاقات بين جوانبها المتعددة وضبط النسب عند المعالجة.. فحين يختل الفهم في حلقة منها، فإن ذلك يشكل تهديداً خطيراً لجميعها.. فاختلاط الفهم لدى حديثي الإسلام بين دوري النبوة والخلافة، والتفريق المرفوض بين فرائض المال وفرائض البدن، كان دليل خروج على الجماعة وتدمير لنواة الأمة ومصادرة لدور الأمة المنتظر في الشهود الحضاري.. ومن هنا كان الموقف الصديقي: الرفض الواعي المطلق لهذا الموقف.. ولم يلتفت الصديق رضي الله عنه إلى المسوغات الواهية التي احتج الأعراب بها لموقفهم، لأن تأصيل المنهج مقدم على الكسب السياسي المؤقت والمعالجات الجزئية هي أقرب إلى التأزيم منها إلى الحل)[1] ومن أهم حوارات هذا العصر ذاك الحوار الذي حدث بين عمر وأبي بكر حول جمع القرآن الكريم في مصحف واحد بعدما كثر القتل في القراء مما يخشى معه ضياع أهم مصدر للتشريع، وكان ما اهتدوا إليه تأكيداً لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:10].

رابعاً: إجلاء الحقيقة التي تغطيها الشبهات مع إقامة الحجة:

عندما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، كان اليهود هم المجموعة الوحيدة التي تدين بدين سماوي، وكانوا أهل علم ومعرفة وقد سبق أنهم كانوا يهددون الأوس والخزرج بأنه قد دنا وقت ظهور نبي آخر الزمان الذي سيتبعونه ويقتلونهم قتل عاد وإرم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، ومع ذلك اعتبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أمة مكونة للدولة الجديدة لهم كافة الحقوق وعليهم جل الواجبات، وكان كلما يجد فرصة يناقشهم ويجادلهم بالحسنى، عن عوف بن مالك قال: انطلق النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وأنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود، بالمدينة يوم عيدهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم:

(1) طه جابر العلواني: إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات ص (37) مكتبة المنار الطبعة الثانية 1412هـ ـ 1992م

((يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضبه عليه)) فأمسكوا، ما أجابه منهم أحد، ثم رد عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فقال: ((أبيتم فوالله إني لأنا الحاشر والعاقب وأنا المقفي النبي المصطفي، آمنتم أو كذبتم)) ثم انصرف وأنا معه، حتى كدنا أن نخرج فإذا رجل من خلفنا، فقال: كما أنت يا محمد، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر يهود؟ قالوا: والله ما نعلم فينا رجل أعلم بكتـاب الله، ولا أفقه منك، ولا من أبيك من قبلك، ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا له كذبت، ثم ردوا عليه وقالوا فيه شراً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كذبتم، لم يقبل قولكم، أما آنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، وأما إذا آمن كذبتموه وقلتم فيه ما قلتم فلن يقبل قولكم)) فخرجنـا ونحـن ثلاثة، رسول الله، وأنا، وعبد الله بن سلام، فأنزل الله فيه ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأحقاف:10] }[1].

كان الخوارج من أوائل الفرق الإسلامية التي خالفت الجماعة مستندة إلى فكرة ومتأولة للنصوص في دعم موقفها، وقد أثارت هذه الفرقة أسئلة عقدية خلقت بلبلة في المجتمع الإسلامي، خاصة وأن أصحابها كانوا أهل صلاح وعبادة وإخلاص لمعتقدهم، وقد حاربهم خلفاء المسلمين في عهود مختلفة حيناً وحاوروهم حيناً آخر، وقد أثمرت بعض الحوارات وآتت أكلها وأقنعت بعضهم ببطلان موقفهم مما ترتب عليه رجوعهم إلى صفوف الجماعة {فهذا ابن عباس يطلب من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يذهب إليهم ويحاورهم، فقال له: إني أتخوف عليك منهم، فقال: كلا إن شاء الله، فدخل عليهم فلم ير قوماً أشدّ اجتهاداً منهم في العبادة! فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس.. مـا جـاء بك؟! فقال: جئت أحدثكم، فقال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم: قل نسمع منك، فقال: أخبروني ما تنقمون عليه ((ابن عم رسول الله)) وزوج ابنته، وأول من آمن به؟! قالوا: ننقم

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (425/ 3) والطبري في تفسيره (26/ 8) والهيثمي في مجمع الزوائد (105/ 7) راجع: موسوعة أصول الفكر (ج:431/ 1 ـ 432)

عليه لثلاثة أمور، قال: وما هي؟ قالوا: أولها: أنه حكم الرجال في دين الله. وثانيها: أنه قاتل (عائشة) و(معاوية) ولم يأخذ غنائم ولا سبايا. وثالثها: أنه محا عن نفسه لقب (أمير المؤمنين) مع أن المسلمين قد بايعوه وأمروه، فقال أرأيتم إن أسمعتكم من (كتاب الله) وحدثتكم من حديث (رسول الله) ما لا تنكرونه، أترجعون عما أنتم فيه؟ قالوا: نعم، قال: أما قولكم: إنه حكم الرجال في دين الله، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [المائدة:95] أنشدكم الله.. أفحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم حكمهم في أرنب ثمنها ربع درهم؟! فقالوا: بل في حقن دماء المسلمين وصلاح ذات بينهم، فقال: أخرجنا من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، قال: وأما قولكم: إن (علياً) قاتل ولم يسب كما سبى (رسول الله) أفكنتم تريدون أن تسبوا أمكم (عائشة) وتستحلون ما تستحل السبايا؟ فإن قلتم نعم، فقد كفرتم، وإن قلتم: أنها ليست بأمكم: كفرتم أيضاً، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ [الأحزاب:6] فاختاروا لأنفسكم ما شئتم، ثم قال: أخرجنا من هذه أيضاً؟ قالوا: اللهم نعم، قال: وأما قولكم: إن (علياً) قد محا عن نفسه إمرة أمير المؤمنين، فإن (رسول الله) صلى الله عليه وسلم حين طلب من المشركين يوم الحديبة أن يكتبوا في الصلح الذي عقده معهم: ((هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله)) قالوا: لو كنا نؤمن أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب (محمد بن عبد الله) فنزل عند طلبهم وهو يقول: ((والله إني لرسول الله وإن كذبتموني)) فهل خرجنا من هذه؟ فقالوا اللهم نعم، وكان من ثمرة هذا اللقاء، وما أظهره فيه (عبد الله بن عباس) من حكمة بالغة وحجة دامغة أن عاد منهم عشرون ألفاً إلى صفوف (علي) وأصر أربعة آلاف على خصومتهم له عناداً وإعراضاً عن الحق}[1]. مما سبق يتضح أن الأفكار تدفع بالأفكار والمفاهيم الخاطئة تزال عبر الحوار، فكثير من المتطرفين مخلصون لعقائدهم ويظنون أن ما يقومون به هو الحق الذي لا حق سواه، فمثل هؤلاء لا يمكن استئصالهم بالإجراءات الأمنية وحدها بل ربما يساهم استعمال العنف معهم أحياناً في نشر

(1) موسوعة مناظرات الأذكياء ومحاورات البلغاء: ج/ 1 ص (109 ـ 113)

أفكارهم ويعتبرهم بعض الشباب المتحمسين أبطالاً! فمع أهمية الردع حماية لأرواح الناس وممتلكاتهم إلا أن الحوار ينبغي ألا يهمل فالحوار منهج إسلامي أصيل كما اتضح مما سبق ويجب أن يقوم بالحوار علماء يجمعون بين المعرفة والحكمة وأن يكونوا محل ثقة حتى يتمكنوا من تصحيح المفاهيم الخاطئة في أذهان الشباب.

كان الإمام أبو الحسن الأشعري ربيب المعتزلة فقد تربى عليهم وأخذ الكلام منهم وقد روى السبكي في طبقات الشافعية (أنه أقام على الإعتزال أربعين سنة، حتى صار للمعتزلة إماماً) وأول ما بلغنا من شكه وخروجه عن الإعتزال أنه ناظر أستاذه الجبائي، فقال الأشعرى له: ما قولك في ثلاثة: مؤمن وكافر وصبي؟ فقال الجبائي: المؤمن من أهل الدرجات، والكافر من أهل الهلكات، والصبي من أهل النجاة، فقال الأشعرى: فإذا أراد الصبي أن يرقى إلى أهل الدرجات هل يمكن؟ قال الجبائي: لا، يقال له: إن المؤمن إنما نال هذه الدرجة بالطاعة، وليس لك مثلها، قال الأشعري: فإن قال: التقصير ليس مني، فلو أحييتني كنت عملت من الطاعات كعمل المؤمن، قال الجبائي يقول الله: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت ولعوقبت، فراعيت مصلحتك، وأمتك قبل أن تنتهي إلى سن التكليف.. قال الأشعري: فلو قال الكافر: يا رب علمت حاله كما علمت حالي، فهلا راعيت مصلحتي مثله؟ فانقطع الجبائي)[1].

شهد المجتمع الإسلامي إنتشار الأفكار وتنامي علم الكلام ومجالس الجدل نتيجة للإنفتاح الكبير الذي حدث للمسلمين بدخول قوميات كثيرة فارسية وهندية وصينية وغيرها في الإسلام، كذلك ظهرت الفرق الإسلامية بقوة كالسنة والشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة وهي فرق تقوم على مناهج تخالف كل واحدة فيها الأخرى مما يجعل النقاش محتدماً، إضافة إلى ظهور المذاهب الإسلامية الفقهية التي قامت على مناهج وقواعد متباينة مما يخلق جدلاً بين أتباع هذه المذاهب، والحق يقال أن هذا العصر هو عصر نمو الحضارة الإسلامية فقد وضعت قواعد العلوم وترجمت المعارف ودونت السنة فأصبح العالم الإسلامي شعلة متقدة وساحة تفيض بالمعارف والعلوم، ودارت حوارات كثيرة بين الفقهاء والعلماء وبينهم وبين الحكام كما دارت

(1) موسوعة الحضارة الإسلامية: أحمد أمين الجزء/ 8 ص (752 ـ 753)

حوارات بين الجماعـات الإسلاميـة، وبين علمـاء الدين وعلمـاء الفنون الأخرى [خاصة الفلاسفة] نختار منها نماذج متفرقة بحسب ما يسمح به البحث:

ـ في عهد بني أمية جرت حوارات كثيرة بين الولاة والخارجين عليهم وبينهم وبين العلماء الذين يخالفونهم الرأي وقصة مناظرة الحجاج لسعيد بن جبير من أشهر القصص لكني أذكر هنا مناظرة دارت بين عمر بن عبد العزيز وبعض الخوارج كما وردت في موسوعة مناظرات الأذكياء لسيد صديق عبدالفتاح: (بعث عمر بن عبد العزيز محمد بن الزبير الحنظلي إلى (شوذب الحروري) وأصحابه حين خرجوا بالجزيرة قال: فكتب معنا إليهم كتاباً، فأتيناهم فأبلغناهم رسالته وكتابه، فبعثوا معنا رجلين منهم، أحدهما من بني (شيبان) والآخـر في (حبشية) وهو أسد الرجلين حجة ولساناً، فقدمنا بهما إلى (عمر بن عبد العزيز) وهو بخناصرة، فصعدنا إليه في غرفة فيها ابنه (عبد الملك) وكاتبه مزاحم، فأعلمناه مكانهما، فقال: ابحثوهما أن لا يكون معهما حديدة، ثم أدخلوهمـا ففعلنا، فلما دخلا.. قالا: السلام عليكم ثم (جلسا) فقال لهما عمر: أخبراني.. ما أخرجكما مخرجكما هذا؟ وأي شئ نقمتم علينا؟ فقال الذي في حبشية: والله ما نقمنا عليك في سيرتك، فإنك لتجري العدل والإحسان، ولكن بيننا وبينك أمـر.. إن أعطيتناه، فأنت منا، ونحن منك.. وإن منعتناه، فلست منا ولسنا منك، قال: عمر وما هو؟ قال: رأيتك خالفت أعمال أهل بيتك، وسلكت غير طريقهم، وسميتها مظالم، فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال.. فابرأ منهم والعنهم فهو الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق، قال: فتكلم (عمر) عند ذلك فقال: إني قد عرفت أو ظننت أنكم لم تخرجوا لطلب الدنيا، ولكنكـم أردتم الآخرة، فأخطأتم سبيلها.. وأنا سائلكم عن أمر، فبالله لتصدقاني عنه فيما بلغه علمكما.. قالا: نفعل.

قال: أرأيتم (أبا بكر) و(عمر) أليسا من أسلافكم، وممن تولون، وتشهدون لهما بالنجاة؟.

قالا: بلى.

فقال: هل تعلمون أن العرب ارتدت بعد (رسول الله) صلى الله عليه وسلم فقاتلهـم (أبو بكر) فسفك الدماء، وسبى الذراري، وأخذ الأموال؟.

قالا: قد كان ذلك.

قال: فهل تعلمان أن (عمر) لما قام بعده رد تلك السبايا إلى عشائرهم؟

قالا: قد كان ذلك.

قال: فهل برئ (أبو بكر) من (عمر) أو (عمر) من (أبي بكر)؟

قالا: لا.

قال: فهل تبرأون من واحد منهما؟.

قالا: لا.

قال: أخبراني عن أهل النهروان، أليسوا من أسلافكم؟ وممن تتولون وتشهدون لهم بالنجاة؟.

قالا: بلى.

قال: فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا إليهم، كفوا أيديهم، فلم يخيفوا آمناً، ولم يسفكوا دماً، ولم يأخذوا مالاً؟.

قالا: قد كان ذلك.

قال: فهل تعلمون أن أهل البصرة حين خرجوا إليهم مع (عبد الله بن وهب الراسبي) استعرضوا الناس، فقتلوهم، وعرضوا (لعبد الله بن خباب) صاحب (النبي) صلى الله عليه وسلم، فقتلوه وقتلوا جاريته، ثم صبحوا حياً من العرب يقال لهم (بنو قطيعة).. فاستعرضوهم، فقتلوا الرجال والنساء والولدان، حتى جعلوا يلقون الأطفال في قدور الأقط وهي تفوربهم..

قالا: قد كان ذلك.

قال: فهل برئ أهل الكوفة من أهل البصرة، وأهل البصرة من أهل الكوفة؟.

قالا: لا.

قال: فهل تبرأون من طائفة منهما؟.

قالا: لا.

قال عمر: أخبراني أرأيتم الدين واحداً أم إثنين؟.

قالا: بل واحد.

قال: فهل يسعكم فيه شئ يعجز عني؟.

قالا: لا.

قال: فكيف وسعكم أن توليتم (أبا بكر) و (عمر) وتولى كل واحد منهما صاحبه، وقد اختلفت سيرتهما؟ أم كيف وسع أهل الكوفة أن تولوا أهل البصرة، وأهل البصرة أهل الكوفة وقد اختلفوا؟ وكيف وسعكم أن توليتموهم جميعاً وقد اختلفوا في أعظم الأشياء: في الدماء والفروج والأموال. ولا يسعني بزعمكما إلا لعن أهل بيتي والبراءة منهم، فإن كان لعن الذنوب فريضة مفروضة لا بد منهما، فأخبرني عنك أيها المتكلم متى عهدك بلعن أهل فرعون؟ ويقال بلعن هامان.

قال: ما أذكر متى لعنته!

قال: ويحك، فيسعك ترك لعن فرعون، ولا يسعنى بزعمك إلا لعن أهل بيتي والبراءة منهم؟ ويحكم إنكم قوم جهال، أردتم أمراً فأخطأتموه، فأنتم تقبلون من الناس ما رد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتردون عليهم ما قبل منهم، ويأمن عندكم من خاف عنده، ويخاف عندكم من أمن عنده.

قالا: ما نحن كذلك.

قال: بل تقرون بذلك الآن، هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس وهم عبدة أوثان، فدعاهم إلى أن يخلعوا الأوثان، وأن يشهدوا أن: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن فعل ذلك حقن دمه، وأمن عنده، وكان أسوة المسلمين، ومن أبى ذلك جاهده؟ قالا: بلى.

قال: أفلستم أنتم اليوم تبرأون ممن يخلع الأوثان، وممن يشهد أن: لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتلعنونه وتقتلونه، وتستحلون دمه، وتلقون من يأبى ذلك من سائر الأمم من اليهود والنصارى فتحرمون دمه ويأمن عندكم؟

فقال الذي في حبشية: ما رأيت حجة أبين ولا أقرب مأخذاً من حجتك أما أنا فأشهد أنك على الحق، وإنني بريئ ممن خالفك.

وقال للشيباني: فأنت ما تقول؟

قال: ما أحسن ما قلت وأحسن ما وصفت.. ولكن أكره أن أفتات على المسلمين بأمر لا أدري ما حجتهم فيه حتى أرجع إليهم فلعل عندهم حجة لا أعرفها.

قال: فأنت أعلم.

قال: فأمر للحبشي بعطائه، وأقام عنده خمس عشرة ليلة ثم مات.

ولحق الشيبانى بقومه.. فقتل معهم)[1]. هذا الحوار أوضح من أن يعلق عليه.

ـ أورد أهل العلم أن (أبا حنيفة) كان جالساً في المسجد ذات يوم فدخل عليه طائفة من مقدمي الخوارج، شاهرين سيوفهم فقالوا له: يا أبا حنيفة نسألك عن مسألتين، فإذا أجبت نجوت، وإلا قتلناك! قال: أغمدوا سيوفكم فإن برؤيتها يشتغل قلبي. قالوا كيف نغمدها، ونحن نحتسب الأجر الجزيل بإغمادها في رقبتك؟! فقال: سلو إذن، قالوا: جنازتان على الباب: إحداهما: رجل شرب الخمر فغمض فمات سكران. والأخرى امرأة حملت من الزنا فماتت في ولادتها قبل التوبة. أهما كافران أم مؤمنان؟ فقال: من أي فرقة كانا، من اليهود؟ قالوا: لا. قال: من النصارى؟ قالوا: لا. قال: من عبدة الأوثان؟ قالوا: لا. قال: ممن كانا؟ قالوا من المسلمين. قال قد أجبتم قالوا وكيف؟ قال قد اعترفتم أنهما كانا من المسلمين، ومن كان من المسلمين كيف تجعلونهما من الكافرين؟ قالوا: هما في الجنة أم في النار؟ قال: أقول فيهما ما قال إبراهيم ـ خليل الرحمن ـ صلى الله عليه وسلم في حق من هو شر منهما: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [ابراهيم:36] وأقول ما قال عيسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيمن هو شر منهما: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:118] فتابوا واعتذروا[2] وصدق الله القائل

(1) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى ص(222) موقع الوراق: www.alwarwq.net

(2) موسوعة الحضارة الإسلامية الجزء الثامن ص (177 ـ 178)

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:269] فالخيط رفيع بين السلم والحرب وبين الحوار والعنف، فهؤلاء قد تملكهم الغضب وسيوفهم مشهرة لقطع الرؤس وهو أمر متوقف على إجابة غير حكيمة، ولكن أبا حنيفة رضي الله عنه عرف كيف يستدرجهم ليقولوا بأنفسهم ما يعتقده، إنه موقف يفسر لنا لماذا انتشر العنف في عصرنا الحاضر إنه ببساطة يرجع إلى قلة الحكماء الذين يستطيعون أن ينقلوا أصحاب المفاهيم الخاطئة لمواقف صحيحة.

ـ كانت فرقة المعتزلة من أكثر الفرق الإسلامية استخداماً للعقل، وقد قام مذهبهم على أسس تجعل العقل حاكماً في كل شئ تقريباً، غير أن فرقاً منهم اشتطت كما فعلت الجهمية التي كان ينتمي إليها: أحمد بن أبي دؤاد الذي ولي القضاء للمعتصم ثم الواثق في فترة ارتباط مذهبهم بالدولة، وقد أدخلوا المسلمين في فتنة القول بأن القرآن مخلوق والتي تصدى لها الإمام أحمد بن حنبل حتى أنه فقد حياته نتيجة للتعذيب الذي تعرض له، والشاهد أن ابن أبي دؤاد تعرض لموقف أفحم فيه وبطلت حجته: عن محمد بن المهدي بن الواثق أن شيخاً دخل يوماً على الواثق فسلم فلم يرد عليه الواثق بل قال: لا سلم الله عليك، فقال: يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك به معلمك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء:86] فلا حييتني بأحسن منها ولا رددتها، فقال ابن أبي دؤاد يا أمير المؤمنين الرجل متكلم، فقال: ناظره، فقال ابن أبي دؤاد: ما تقول يا شيخ في القرآن أمخلوق هو؟ فقال الشيخ: لم تنصفني، المسألة لي، فقال: قل، فقال: هذا الذي تقوله علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو ماعلموه؟ فقال: ابن أبي دؤاد: لم يعلموه. قال: فأنت علمت ما لم يعلموا؟ فخجل وسكت، ثم قال أقلني بل علموه، قال: فلم لم يدعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت أما يسعك ما وسعهم؟ فخجل وسكت..، قال المهدي: فدخل أبي المنزل فاستلقى على ظهره وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ويقول: أما وسعك ما وسعهم؟ ثم أطلق الشيخ وأعطاه أربعمائة دينار ورده إلى بلاده، وسقط من عينيه ابن أبي دؤاد ولم يمتحن بعده أحد }[1]

(1) البداية والنهاية: الجزء العاشر ص (335)

سبحان الله أرواح تزهق وأبرياء يحبسون، والحرمات الإنسانية تنتهك من أجل نهج تبنته الدولة عبر ثلاث حقب، ثم يبطل هذا النهج بموقف لم يستغرق إلا بضع دقائق!.

خامساً: ثمرات الحوار في العصر الحديث:

القرية الكونية التي تشكلت في عصرنا هذا بفضل التطور التقني والإعلامي أتاحت للإنسان الإطلاع على معلومات كثيرة حول الأديان والأفكار والآراء، كذلك الوعي العالمي بأهمية حقوق الإنسان والمحافظة على البيئة وضرورة إحلال السلام محل الحروب دفع المجتمع الدولي لوضع مواثيق ومعاهدات وإنشاء منظمات متخصصة لهذه الأغراض، هذه الطفرة في العلاقات الإنسانية تتيح لنا فرصة إيصال الصورة الحقيقية للإسلام والتي تعرضت لتشويه ساهم في نشره الغلاة والغزاة والطغاة، هذا الفريق الثلاثي هو ما ينبغي أن يطلق عليه محور الشر! لأن التغذية متبادلة بين أطرافه الثلاثة، فالطغاة بممارساتهم القمعية وانتهاكهم لحقوق الإنسان، يدفعون الغلاة نحو العنف الذي لا يميز بين مخطئ وبريئ ولا بين محارب ومستأمن، ثم يأت الغزاة بحجة مكافحة الإرهاب، فيجد الغلاة الحجة للمقاومة وهكذا ندخل في دوامة الدور والتسلسل كما يقول علماء الكلام، وتقع الإنسانية ضحية لحماقات محور الشر، إن البديل يتمثل في طريق ثالث: يسقط العنف من قاموسه في علاقته بالآخر، والدعوة الإسلامية يلائمها مناخ السلام والإعتدال وبنهج الحوار تستطيع تحقيق فوائد كثرة أهما الآتي:

1 - الحوار يتيح فرصة للمقارنة بين الأديان، ومما لا شك فيه أن ما يقدمه الإسلام للإنسانية في مجال العقيدة والعبادة ورؤيته للإنسان سيجد القبول من المنصفين عند المقارنة بينه وبين ما تقدمه الأديان الأخرى كما حدث لكثير من المفكرين والعلماء مثل موريس بوكاى وجارودى ومراد هوفمان وغيرهم كثير. فالعقيدة الإسلامية ـ كما سبق ـ خالية من الغموض والإضطراب، والعبادة صلة بين الإنسان والله وسكينة للنفس وهي في نفس الوقت ذات أبعاد إجتماعية، والإنسان ليس محتقراً ولا مؤلهاً بل هو بشر فيه قبضة من الطين وقبس من روح الله ومكرم لمجرد إنسانيته.

2 - التطرف والعنف والتعصب ممارسات أدت إلى تشويه صورة الإسلام وغطت

على قيمه وتعاليمه المتسامحة، فأصبح الحكم على الإسلام يتم من خلال المظاهر السلبية التي يقوم بها الغلاة، فالحوار يزيل الغشاوة عن أبصار أولئك الذين يبحثون عن الحقيقة والتي حجبتها عنهم تلك الممارسات.

3 – الحوار مع الغلاة إذا أدير بصورة منهجية وحكيمة يمكن أن يصحح مفاهيمهم المنحرفة كما رأينا ذلك في حـوار ابن عباس وعمر بن عبد العزيز مع الخوارج، ولا شك أن تصحيح مفاهيم هؤلاء وتحويلهم إلى شريحة صالحة في المجتمع فيه أكبر الثمرات: فإضافة إلى إيقاف حمامات الدم فإن فيه إنقاذاً لهم من هاوية الإنحراف وأخذاً بأيديهم من طريق الضلال.

4 – المجتمع الغربي مجتمع حر تنتهي حرية المرء فيه حيث تبدأ حرية الآخرين فهو يوفر بيئة صالحة للحوار يمكن استغلالها لتوضيح تعاليم الإسلام ومبادئه عبر الحوار وسيكون العائد كبيراً للدعوة الإسلامية.

5 – لقد عاش العالم الإسلامي في دوامة العنف والعنف المضاد منذ زمن بعيد والنتيجة لا تحتاج إلى بيان، ومعظم مظاهر العنف تركزت حول السلطة بين الحكومة والمعارضة: إذ ما سل سيف في الإسلام مثل ما سل في الإمامة العظمى كما قال الشهرستاني! فهل نطمع في تغيير هذا المناخ بأن يسعى الطرفان لتجربة أسلوب جديد يتمثل في الحوار لفض النزاعات، واعتماد الشورى سبيلاً للوصول إلى الحكم وممارسته؟ لا شك أنه إذا حدث ذلك فستحقق الدعوة الإسلامية مكاسب كثيرة منها:

- بسط الحريات ـ وكفالة حقوق الإنسان ـ وحرية البحث العلمى ـ وتوظيف الطاقات المهدرة في الصراع لخدمة الدعوة ـ فضلاً عن حقن الدماء ومسح الدموع.

المبحث الثاني:

ثمرات الحوار في التربية

المرحلة المكية كانت من المراحل المهمة في مسيرة الدعوة، ففيها تم تكوين الطليعة الإيمانية التي ستحمل هدي الإسلام قدوة وسلوكاً لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فقد كرست تلك المرحلة لغرس مبادئ الدعوة في أذهان أفراد الطليعة الإيمانية، عن طريق التعليم والممارسة والقدوة، وقد شهدت تلك الفترة حوارات كثيرة جرت بين رسول الله والمشركين كما سلفت الإشارة، ورأي الصحابة كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل جاهداً لنقل المجتمع للنهج السلمي، وسور القرآن وآياته المكية ركزت على توضيح أسس العقيدة والمبادئ المغايرة لما عليه المجتمع الجاهلي، والأساليب القرآنية جاءت منشطة للعقل ومحفزة للذهن لما اشتملت عليه من مقارنات وإشارات لمجالات لم يلتفت إليها العقل الجاهلي المحبوس في قيود الخرافة والوثنية، وقد اعترض المشركون على المفاهيم الجديدة التي جاء بها الإسلام، ووصفوا الرسول صلى الله عليه وسلم بالسحر والجنون واتباع أساطير الأولين وغيرها من الأوصاف المنقصة من قدر الإنسان، وكان القرآن يجيب على كل تساؤل ويرد كل تهمة بأبلغ حجة وأوضح بيان، وهذا الأسلوب في الواقع كان أسلوباً تربوياً يلفت نظر المسلمين إلى ما ينبغي أن يسلكوه في مواجهة الخصوم وهو منهج مقارعة الحجة بالحجة، ودحض الشبهات بالدليل المقنع، وهذا المشهد الذي تناولته سورة الطور يبين جانباً من ردود القرآن على الشبهات المثارة من قبل المشركين قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ

﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الطور:29-43] من هذا علم المسلمون أدوات التعامل مع ما يثيره المشركون من شبهات، فالكلمة تواجه بالكلمة والشبهة تستجلى والحجة تفند، والسيرة العملية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهتمت بتربية الصحابة على الحوار في تلك المرحلة المبكرة، وقصة إسلام عمر تؤكد أن الحوار كان في حياة الصحابة سلوكاً مشاعاً في مقابل العنف الذي سلكه المشركون، ذكر ابن هشام عن ابن إسحاق (أن نعيم بن عبد الله لقي عمر بن الخطاب متوشحاً سيفه فسأله أين تريد؟ فقال: أريد محمداً هذا الصابئ، الذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله. فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما، قال: فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها ﴿ طه ﴾ يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما. فلما دخل عمر قال: ماهذه الهينمة التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئاً قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى وقال لأخته أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمد.. فخشيت عليها منه ولكنه أقسم ليردنها فأمرته بالإغتسال فلما فعل وقرأ الصحيفة من سورة طه قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه. فلما سمع

ذلك خباب خرج إليه فقال له: يا عمر والله إني لأرجوا أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر. فقال له عمر عند ذلك: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم، فدله فأتاه فدخل الإسلام)[1] الشاهد أن ابن الخطاب جاء مشحوناً بالغضب الذي تفجر إلى عنف ضد زوج أخته وأخته ولكنهما استطاعا بموقفها الجريئ ـ وهو اعترافهما بإسلامها في وجه عمر الذي كان مهاباً ـ أن يحولا المناخ إلى مناخ حواري كانت نتيجته إسلام رجل كان له أثر كبير في مسيرة الدعوة الإسلامية. ونجد القرآن الكريم – المرجع الأول للتشريع في الإسلام – قد تضمن نماذج تربوية كان الحوار وسيلتها، ومع معايشة القرآن الكريم تطبعت حياة المسلمين بأحكامه وتوجيهاته فإبراهيم عليه السلام تحاور مع إبنه إسماعيل بشأن تنفيذ حكم الله القاضي بذبحه وهو أمر يصعب على النفس تقبله ولكن النبوة شأنها مختلف قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات:102] ورؤيا الأنبياء وحي، ولقمان الحكيم غرس القيم التربوية عن طريق الحوار مع إبنه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان:13] وقوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان:16–19]..

وكانت توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم تأخذ منحى حوارياً في الغالب لأنها أبلغ في شرح الأحكام وترسيخها: عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس: ((ما رأيك في هذا؟)) فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مر رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما رأيك في هذا؟)) فقال: يا رسول الله هذا رجل من

(1) السيرة النبوية لابن هشام الجزء الأول ص(212 – 213) بتصرف

فقراء المسلمين، هذا حريٌّ إن خَطَب الا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا))[1]. ففي هذا الحديث بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن التفاضل عند الله ليس بالحسب ولا بالمال وإنما بالتقوى والشاهد أن بيان الحكم الشرعي كان الحوار وسيلة من وسائله وهذا من شأنه أن يجسد الحوار عملياً في حياة المسلمين، ومشهد آخر يوضح فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية العلاقات الإجتماعية القائمة على حسن المعامله في الإسلام، والتنفير من سوء المعاملة: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أتدرون من المفلس؟)) قلنا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: ((إن المفلس من أمتي من يأت يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار))[2].

هذه الأساليب النبوية وتلك الطرق القرآنية؛ جعلت أسلوب الحوار جِبِلّة في طباع الصحابة كما شهدنا ذلك في مواقف جعفر بن أبي طالب، ومصعب بن عمير، والمغيرة بن شعبة، وربعي بن عامر، وحاطب بن أبي بلتعة؛ وغيرهم من الذين أُشْرِبوا الحوار في قلوبهم، وعندما تجنح بهم نزعات الغضب نحو العنف كان رسول الله يردهم إلى الرفق واللين ويبين لهم ثمرة الحوار والسماحة. فقصة اليهودي الذي جاء إلى رسول الله يطلب دينه فما لبث أن أسلم بفضل حلم رسول الله؛ تبين ما ذهبنا إليه. عن علي: أن يهودياً كان يقال له جريجرة، وكان له على النبي صلى الله عليه وسلم دنانير؛ فتقاضى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: ((يا يهودي ما عندي ما أعطيك)) قال: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذاً أجلس معك)) فجلس معه فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يهددونه ويتوعدونه، ففطن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1) رواه البخارى في صحيحه (6447)

(2) رواه مسلم في صحيحه (2581) في كتاب البر والصلة والآداب

فقال: ((ما الذي تصنعون به؟)) فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((منعني ربي أن أظلم معاهداً ولا غيره)) فلما ترجل النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله! ما فعلت الذي فعلت بك إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا مُتَزَيٍّ بالفحش، ولا قول الخنا. أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، هذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله وكان اليهودي كثير المال)[1].

لقد أقام الإسلام مجتمعاً جديداً حلّ فيه التسامح محل التعصب، ونتيجة لذلك أصبح الحوار سلوكاً مجتمعياً وعنصراً من عناصر التربية الإسلامية؛ وقد ساهمت في ذلك العوامل الآتية:

أولاً: دعوة الإسلام للإنسان لإعمال النظر بالتفكر والتدبر في الكون والحياة والأحياء؛ مما خلق حواراً صامتاً أحياناً وناطقاً أحياناً أخرى بين الإنسان وبين هذا الفضاء الكوني الفسيح.

ثانياً: إتباع الإسلام أسلوب التفاوض مع الذين يعترضون طريق الدعوة ويثيرون قضايا تخلق تساؤلات في المجتمع تحتاج إلى إجابات شافية، وقد تميز القرآن الكريم بأنه يذكر تلك القضايا ويجيب عليها، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء:90-93].

ثالثاً: إعلاء الإسلام من قيمة الشورى وجعلها صفة ملازمة للمؤمنين؛ تدخل في معظم علاقاتهم الأسرية والإجتماعية، كما أنها جُعلت فريضة من فرائض الإسلام

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 622) والبيهقى في دلائل النبوة (6/ 76) المصدر موسوعة أصول الفكر السياسى والإجتماعى والإقتصادى من نبع السنة الشريفة وهدى الخلفاء الراشدين إعداد: خديجة النبراوى المجلد الثانى ص(1051 1052-) دارالسلام للطباعة والنشر القاهرة الطبعة الأولى 1424هـ 2004م

السياسية: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى:38].

رابعاً: مطالبة الإسلام للمسلمين بأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر؛ وأن تتكون جماعة تتخصص لهذا الأمر، حتى يحافظ المجتمع على الفضيلة ويستنكر الرذيلة؛ لأن ذلك وحده يحافظ على النظام العام للمجتمع الإسلامي، ومن الطبيعي أن يتم ذلك عبر حوار يدعو للمعروف أو ينهى عن المنكر.

خامساً: تأكيد الإسلام على حتمية الواقع الإجتماعي القائم على الإختلاف واعتباره ضرورة من ضرورات المجتمع البشري: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[هود:118-119] مع توضيح أن هذا الإختلاف لا يعني التفاضل بقدر ما هو سبب للتعارف والتعاون والإعتبار.

واليوم فإن اتباع نهج تربوي يغرس الحوار في حياة المسلمين منذ التنشئة؛ من شأنه أن يغير من السلوك العدواني في معاملة المخالف، ويؤسس لعلاقات تقوم على التسامح والتواصل والتعاون والتحاور، وينبغي أن نشير إلى الوعي بأهمية العامل التربوي المتسامح على نطاق الأسر؛ حتى يُنَشِّئُوا أبناءهم تنشئة تغرس فيهم الثقة بالنفس عن طريق تحاورهم مع والديهم، ومناقشتهم في كل ما يهمهم بكل حرية دون خوف من العقاب أو القمع، وينبغي أن نغرس فيهم معرفة حقوقهم وواجباتهم حتى لا يظلموا ولا يسكتوا عن ظلم يصيبهم (جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكوا إليه عقوق ابنه فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه، ونسيانه لحقوقه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى. قال فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن إسمه، ويعلمه [القرآن] قال الولد: يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمي فإنها [...] كانت لمجوسي، وقد سماني جعلاً [خنفساء] ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً، فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: إنك قد عققت ابنك قبل أن يعقك وأسأت إليه قبل أن يسئ إليك!)[1]. فأنت

(1) تربية الأولاد في الإسلام: تأليف د. عبدالله ناصح علوان المجلد الأول ص(101) الطبعة الأربعون 1426هـ دارالسلام للطباعة والنشر القاهرة

تلاحظ من هذه القصة وغيرها؛ أن المجتمع في ضحى الإسلام كان متقدماً على عصرنا هذا! فالحوار كان صريحاً على كافة المستويات ومكفولاً لكافة الأعمار، ومرجع ذلك إلى البيئة التربوية التي رسخها الإسلام وحافظ عليها بنهجه المعتدل المتسامح.

المبحث الثالث:

ثمرات الحوار في الثقافة والإعلام

أولاً: الثقافة:

ثقافة المسلم تنبع من العقيدة الإسلامية والأصول الشرعية والقواعد الكلية، والأخلاق الحميدة، وهي تتميز بخصائص تتمثل في أنها تعتبر أن وحدة الأمة هي الأصل: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:92] وهي تعبر عن هوية الأمة وتقاليدها في المأكل والمشرب والملبس وطريقة المشي وهي أشياء يشترك فيها كل الناس غير أن المسلمين يتحرون في هذه العادات الأحكام الشرعية ويمارسونها مقرونة بأهداف سامية: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف:157] ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾[لقمان:19] ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك:15] وفي ظروف معينة يؤثر المسلم غيره على نفسه تطلعاً لهدف أسمى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الانسان:8-9] ومن خصائص الثقافة الإسلامية أنها ربانية المصدر والغاية: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم:39-42].

ومن خصائصها أنها ثقافة عربية إسلامية: وهما فرعان متصلان في جذورهما وملتقيان في غصونهما وفي ثمرهما وهي ثقافة عربية لأنها باللسان العربي بدأت، وبه استمرت وعلى أساسه ستدوم إلى يوم القيامة، والعروبة في الإسلام تتجاوز المفهوم العرقي الضيق إلى المفهوم الثقافي العام، وهي كما يقول الشاعر محمد غنيم:

إن العروبة لفظ إن نطقت به فالشرق والضاد والإسلام معناه

والثقافة الإسلامية ثقافة أخلاقية يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون)) قلنا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: ((المتكبرون))[1].

ومن خصائص الثقافة الإسلامية أنها عالمية تخاطب الكون كله يقول العلامة محمد مهدي شمس الدين: إن سورة الكافرون من أعقد السور في القرآن الكريم، لأنها جمعت بين منتهي التشدد: ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ [الكافرون:2-3] ثم منتهى اليسر: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ [2] فلكم أيها المشركون من آل مكة عبدة الأوثان دين، وسماه ديناً وجعل الإسلام بإزائه ديناً لمحمد صلى الله عليه وسلم والذين اتبعوه، فهي إذن ثقافة إنسانية }[3].

هذه الخصائص نتيجتها الطبيعية إيجاد ثقافة تسامحية تتعايش مع الثقافات المختلفة، ومرنة تواكب التطور في المجتمع الإنساني، ومنفتحة تتجاوب مع المفيد من العطاء الإنساني وتقتبس منه وتستصحبه. خصائص الثقافة الإسلامية ونتائجها رسخت ثقافة الحوار في كثير من المجتمعات الإسلامية تتبدى في المظاهر الآتية:

النصوص الشرعية في القرآن والسنة الداعية للشورى والبر والتعاون والمجادلة بالتي هي أحسن والعفو وكظم الغيظ وكبح جماح الأنفس الميالة للانتقام والعنف، ونشرثقافة الرفق واللين وفض النزاعات عن طريق التفاوض، بل حتى عندما يتجاوز بعض الناس الحدود لضعف يعتريهم فإن رسول الإسلام يترفق بهم ليعلم أمته أن الدين مع الدعوة للالتزام الصارم بأحكامه إلا أن الطبيعة البشرية لا تهمل ، عن سلمة بن صخر البياضي: أنه جعل امرأته عليه كظهر أمه حتى يمضي رمضان فسمنت وتربعت فوقع عليها في النصف من رمضان فأتى النبي صلى الله عليه وسلم

(1) رواه الترمذى وقا حديث حسن: المصدر رياض الصالحين ص(185 – 186) دارالفجر – بيروت
(2) سورة الكافرون الآية (6)
(3) خصائص الثقافة العربية والإسلامية: راجع محمد سليم العوا ص (56 ـ 68)

كأنه يعظم ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((أتستطيع أن تعتق رقبة)) فقال: لا، قال: ((أو تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين)) فقال: لا، قال: ((أفتستطيع أن تطعم ستين مسكيناً)) فقال: لا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يافروة بن عمرو أعطه ذلك الفرق – وهو مكتل يأخذ خمسة عشر صاعاً أو ستة عشر صاعاً – فليطعمه ستين مسكيناً)) فقال: على أفقر مني فوالذي بعثك بالحق ما بين لابتيها أهل بيت أحوج منا فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: ((اذهب به إلى أهلك))[1].

السيرة العملية التي جسدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه في معاملتهم مع أصحاب الديانات الأخرى من إحترام العقائد وكفالة الحقوق والحريـات وصيانة أماكن العبادة وحماية الأنفس والممتلكات كان لها أثر كبـير في تحقيق ثقافة التسامح على أرض الواقع ومن الطبيعي أن يسود الحوار في العلاقات الإنسانية لأنه عنصر من عناصر التسامح.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعالج كثيراً من القضايا بأسلوب الحوار وينقل أصحابه من الإنفعال الغاضب إلى الحوار الهادي وقد اشتمل البحث على نماذج كثيرة من هذا الأسلوب وأشير هنا إلى واحدة من هذه النماذج: جاء شاب إلى رسول الله وقال له: أريد منك أن تأذن لي في الزنا! فغضب الصحابة وكادوا أن يفتكوا به فقال لهم رسول الله: ((على رسلكم، أدن مني)) فلما دنا الشاب قال له رسـول الله: ((أتحبه لأمك؟)) قال لا، قال: ((ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)) ((أتحبه لابنتك؟)) قال: لا، قال: ((ولا الناس يحبونه لبناتهم)) ثم أخذ يعدد عليه: أفتحبه لأختك، لعمتك، لخالتك.. . والشاب يقول: «لا والله جعلنى الله فداك «فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده الشريفة عليه وقال: ((اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصـن فرجـه))[2].

نهج الحوار أثمر ثقافة التسامح وقبول الآخر بصورة كبيرة في الماضي، ولم يخل الحاضر من فوائد وثمرات، إن مجرد الوعي بخطورة التعصب والإقصاء

(1) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (117/ 4)

(2) أخرجه الإمام أحمد في المسند (5/ 256) بإسناد صحيح، وصححه الألبانى في صحيحة (1 /370)

والعنف وغيرها من مظاهر التطرف يعتبر ثمرة معتبرة، لأن إدراك خطورة الشئ خطوة في طريق التخلص منه، ويلاحظ أن القاموس الثقافي تنتشر فيه مصطلحات ـ التسامح والتعايش والرأي الآخر والتحاور والإعتدال ـ بصورة كبيرة مما يشير إلى إهتمام المجتمع بهذه الأمور حتى أصبحت ثقافة راسخة فيه، ولم تتوقف الثقافة عند حد التنظير بل خطت خطوات عملية في بعض البلدان بقيام برامج مشتركة تساهم في تنفيذها جماعات تنتمي إلى ديانات مختلفة وثقافات مختلفة، ففي بعض المناطق ترسخت ثقافة التسامح لتتعدى التعايش إلى قيام مؤسسات مشتركة تضم منتمين إلى الإسلام والمسيحية يعملون سوياً لتنفيذ برامج مشتركة (ففي أندونيسا توجد هيئة تدعى: التعاون المشترك دينياً من أجل تنظيم الجماعة، وهي هيئة يديرها مسلمون ومسيحيون دافعها المواجهة المباشرة للحاجات الإنسانية. تعمل في المدن الكبرى مثل جاكرتا، وسورابايا، وسمارانغ، ومن الحاجات التي تحاول تلبيتها نجد: تنظيم الأسرة والمشاكل السكنية والصحة وتعليم المهارات المختلفة لسائقي العربات العاطلين عن العمل بسبب وسائل النقل العصرية التي عمت المدينة، وفي ماليزيا هناك منظمة تسمى – المنظمة الماليزية المتعددة الديانات – أهدافها: العمل لأجل السلام في ماليزيا خاصة وفي العالم عامة. وممارسة إحترام القيمة الإنسانية والأخوة ونشرها بين الشعوب، في تجاوز الإختلافات على صعيد العرق والقوميات والجنس واللغة والمعتقد. وممارسة التفاهم والتعاون ونشرهما بين جميع الديانات. وفي سنغافورة توجد منظمات مشتركة مثل: المنظمة المشتركة السنغافورية، والجمعية السنغافورية للثقافة الروحية)[1]. وفي السودان يوجد مجلس التعايش الديني الذي يضم مسلمين ومسيحيين كما أسلفنا، هذا التطور في العلاقات لا شك أنه جاء نتيجة لحوارات متكررة ومستفيضة أدت لهذه الثمار ولولا أن ثقافة المجتمع تتقبل مثل هذا النشاط لتعذر قيامه.

(1) البيانات المسيحية المشتركة نصوص مختارة من 1954 – 1992م معهدالدراسات الإسلامية المسيحية – جامعة القديس يوسف بيروت صفحة(82–81)

ثانياً: في مجال الإعلام:

مع التطورات الكبيرة التي حدثت في حياة البشرية صار العالم يوصف بأنه أشبه بالقرية الكونية الواحدة، بسبب علاقاته المتشابكة ومصالحه المتداخلة وأنشطته المشتركة، ونتيجة لذلك أصبحت المعلومة تلعب دوراً كبيراً في العلاقات الإنسانية، لأن معظم القرارات والمواقف تتخذ بناء على المعلومات المتوفرة، في هذا المناخ الكوني الجديد وجد الإعلام اهتماماً كبيراً فعبره تروج السلع، وعن طريقه تنشر الأخبار، وعنده تتوفر المعلومات، وتفنن الناس في تطوير وسائل الإعلام وتنوع برامجها لاستقطاب المشاهد والقارئ والسامع، متعلماً أو باحثاً أو مستفتياً أو مستمتعاً فالكل يجد ضالته في وسائط الإعلام.

وفيما يتعلق بموضوع البحث فإن الحوار وجد مساحة مقدرة في أجهزة الإعلام ووسائطه بل هنالك قنوات فضائية ومواقع على الشبكة العنكبوتية متخصصة في الحوار مما أتاح لكل مهتم التعرف على الأفكار المتباينة والعقائد المختلفة والثقافات المتعددة، وتحققت عبر الحوار فوائد كثيرة في مجال الإعلام منها:

أولاً: التعرف على مختلف الآراء وعناصر تماسكها ونقاط قوتها وضعفها بفضل إتاحة الفرصة لكافة الأطراف للتعبير عن رأيها بكل حرية مع دعمه بالأدلة التي يعتقد أنها تسندها وفي نفس الوقت نقد الرأي المخالف ودحضه بحجج يتصور صاحبها أنها تهدم الفكرة التي هو ضدها، مع توفر الفرصة لصاحب الرأي المنتقد أن يرد على ناقده، وبهذا تعطي وسائط الإعلام رؤية متكاملة للمهتمين عن كل الأفكار والآراء ليحكموا لها أو عليها بناء على ما توفره لهم من معلومات تتعلق بالموضوع.

ثانياً: إمتصاص النزعة العصبية القائمة على تضخيم الذات وتمييزها على الآخر بسبب الجهل المتبادل، هذا الجهل ساهمت أجهزة الإعلام في إزالته بإتاحة الفرصة للمعرفة المتبادلة عن طريق الحوار المباشر بين المتناقضين أو من يعتقدون أنهم كذلك مما ساهم في تقليل حدة التعصب والتفاضل بين الناس.

ثالثاً: إيجاد مساحة في المجتمع لقيم التسامح والإعتدال والتعاون المشترك، مع محاصرة تيارات الغلو والتطرف أنى كان موقعها فأصبحت شبه منبوذة في كثير

من أنحاء العالم، مما يبشر بمستقبل أفضل للبشرية وللعوالم الأخرى إذا سارت الأوضاع على هذا النحو.

رابعاً: نشر مبادئ الشفافية وحقوق الإنسان وأهمية الحريات العامة التي كانت مغيبة في كثير من المجتمعات وتسليط الضوء على أي حدث فيه تجاوز لهذه القيم في أي نقطة في أركان المعمورة، وذلك بتوفير مناخ يسمح بتبادل الآراء بين كافة الأطراف في هذا الخصوص.

خامساً: تغطية المؤتمرات والمنتديات والملتقيات المتعلقة بالحوار ونشر الأوراق والوثائق المقدمة، مما ساهم في نشر الثقافة بأقل تكاليف وبأسرع وقت ممكن، بصورة لم تكن متوفرة من قبل.

سادساً: إن إنشاء قنوات فضائية متخصصة في الحوار، أو معطية مساحة كبيرة للحوار في برامجها يعتبر من أكبر الثمرات في مجال الإعلام، فقناة الجزيرة مثلاً يرجع لها الفضل في ولوج هذا الباب بصورة لم تكن معهودة في إعلامنا العربي، حيث استطاعت أن تطرق مواضيع كانت محرمة وابتكرت أساليب الجمع بين النقيضين والمتقابلين والمتعاكسين في لقاء مفتوح تفردت به -حسب علمي-، فأزالت الحواجز وشجعت على الإقتداء.

يتضح مما سبق أن الحوار حقق ويحقق ثماراً كثيرة في مجالات الدعوة والتربية والثقافة والإعلام.

خـاتمـة

نخلص مما تقدم إلى أن الإسلام هو دين التسامح والإعتدال واحترام الآخر، كما ثبت ذلك في ثنايا هذا البحث، وأن الحوار يعتبر منهجاً إسلامياً أصيلاً، وأسلوباً من أساليب الدعوة الإسلامية في إدارة العلاقات الإنسانية على كافة مستوياتها الداخلية والخارجية، وأن حملة الدعوة الإسلامية مطالبون بالآتي:

أولاً: الإتفاق على منهج يركز على القواسم المشتركة بين الجماعات والمذاهب الإسلامية، والأديان السماوية وعلى مستوى الإنسانية، لأن هذا هو ما يصلح لتحقيق عالمية الإسلام في هذا العصر.

ثانياً: نشر ثقافة ترسخ فقه الأولويات والقواعد الكلية والمبادئ المقاصدية لتنشيط ملكة النظرة الشاملة التي تتكامل فيها النصوص والمقاصد مع مراعات الواقع بكل تعقيداته وتشابكه.

ثالثاً: تحديد الأسس والمبادئ التي يقوم عليها الخطاب الإسلامي للآخر المختلف داخل الإسلام، والخطاب الإسلامى للآخر الملي والآخر الحضاري، لإزالة التناقضات في التعامل الإسلامي مع الآخر من جماعة إلى جماعة.

رابعاً: العمل على بسط ثقافة الحوار في المجتمع بالتركيز على سيرة الرسول القدوة صلى الله عليه وسلم، فهي تتضمن منهجاً مفصلاً عن طبيعة التعامل الإسلامي مع المجتمع الإنساني بكل تناقضاته.

خامساً: الإمتناع عن كل ما من شأنه أن يستدعي النزعة العصبية الإقصائية من أفكار ومواقف وتصريحات لا تراعي النظام الكوني القائم على الإختلاف.

لا شك أن دعاة الإسلام إذا اتبعوا الوسائل السابقة وغيرها من الوسائل

المشابهة والمكملة لحققوا للإسلام بعثاً جديداً خاصة وأن التقدم المادي والتقني والتفوق الإقتصادي والعسكري الذي وصلته البشرية قد لفت نظرها إلى ضرورة تقييد القوة وضبط التفوق حتى لا يؤدي ذلك إلى كوارث شوهدت بعض مظاهرها أثناء سير الإنسانية الراكض نحو مستقبل متسامح يعيش في سلام وسعادة، فالإسلام فيه ما يحقق هذا المأمول ولكن أدوات الدعوة تحتاج إلى مراجعة قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [ابراهيم:24-25].

المصادر والمراجع

1 – القرآن الكريم

2 – صحيح البخاري

3 – صحيح مسلم

4 – رياض الصالحين

5 – البداية والنهاية لابن كثير

6 – السيرة النبوية لابن هشام

7 – شرح النووي على صحيح مسلم

8 – لسان العرب لابن منظور

9 – مختارالصحاح: للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي

10 – التعريفات للجرجاني

11 – تهذيب الأسماء واللغات للنووي

12 – تاريخ الجدل لأبي زهرة

13 – قانون التأويل لأبي بكر بن العربي

14 – أصول الفقه لأبن مفلح المقدسي

15 – الموافقات في أصول الشرية للشاطبي

16 – عيون الأخبار لابن قتيبة

17 – الشعر والشعراء لابن قتيبة

18 – حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميري

19 – المستطرف في كل فن مستظرف تأليف شهاب الدين أبي الفتح الأبشيهي

20 – إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية

21 – الطرق الحكمية لابن قيم الجوزية

22 – مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: تأليف محمد حميد الله

23 – تاريخ الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: تأليف السيد الهاشمي

24 – إحياء علوم الدين للإمام الغزالي

25 – الفقيه والمتفقه

26 – الفروق

27 – الفرق بين النصيحة والتعبير

28 – العقد الفريد لابن عبد ربه

29 – الأحكام السلطانية للماوردي

30 – الملل والنحل للشهرستاني

31 – مجموعة رسائل الإمام الغزالي

32 – الأعمال الكاملة للكواكبي: مركز دراسات الوحدة العربية

33 – تاريخ الإسلام للذهبي

34 – موسوعة الحضارة الإسلامية لأحمد أمين

35 – موسوعة أصول الفكر السياسي والإجتماعي والإقتصادي: إعداد خديجة النبراوي

36 – في أصول الحوار: إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي

37 – التفسير الواضح: للدكتور محمد محمود حجازي

38 – فن الحوار تأليف أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشري
39 – بهجة المجالس لابن عبد البر
40 – الأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفع
41 – روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حيان البستي
42 – الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي
43 – نحو ثورة ثقافية: الإمام الصادق المهدي
44 – مسند الإمام أحمد
45 – الترغيب والترهيب للمنذري
46 – مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي: محمد السماك
47 – الطبقات الكبرى لابن سعد
48 – الدر المنثور للسيوطي
49 – كنز العمال للمتقى الهندي
50 – تفسير ابن كثير
51 – تفسير القرطبي
52 – ديوان الشريف الرضي
53 – مناظرات الأئمة لمحمد عبد الملك الزغبي
54 – مناظرات الأذكياء ومحاورات البلغاء: تأليف سيد محمد عبد الفتاح
55 – أسد الغابة لابن الأسير
56 – العواصم والقواصم لابن الوزير
57 – زاد المسير لابن الجوزي
58 – تفسير القرآن العظيم لابن كثير
59 – الأذكار للنووي

60 – الراتب: أدعية مأثورة: تأليف الإمام المهدي

61 – سنن ابن ماجة

62 – الغرب والإسلام أين الخطأ وأين الصواب: لمحمد عمارة

63 – سنن أبي داود

64 – خصائص الثقافة العربية والإسلامبة

65 – جوهرة التوحيد: تأليف برهان الدين إبراهيم اللقاني

66 – الآثار الكاملة للإمام المهدي: تأليف الدكتورمحمد إبراهيم أبو سليم

67 – العقوبات الشرعية وموقعها من النظام الإجتماعي الإسلامي: تأليف الصادق المهدي

68 – الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ليحيي بن محمد رمزي

69 – أدب الإختلاف في الإسلام: طه بن جابر العلواني

70 – سنن البيهقي

الإنتقاء:

71 – نداء المهتدين: إصدارا هيئة شئون الأنصار ـ السودان 200م

72 – نداءات العصر: الصادق المهدي

73 – فتوح مصر وأخبارها: ابن عبد الحكم

74 – هذا هو الإسلام: محمد عمارة

75 – الإسلام في عيون غربية: محمد عمارة

76 – الإسلام والمسيحية: مونتيجمري وات: ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ

77 – البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة: إصدارمعهد الدراسات الإسلامية المسيحية ـ جامعة القديس يوسف: بيروت

78 – شاعرالحب والحرب عنترة بن شداد: د. إبراهيم محمد قاسم

79 – تاريخ الرسل والملوك: للإمام الطبري

80 – الموطأ: للإمام مالك

81 – خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات: د. نادية مصطفى، ود. علاء أبوزيد

82 – أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة لمحمد بن إبراهيم العثمان

83 – الإسلام والغرب ـ آفاق الصدام: تأليف: صمؤيل.بى.هنتينجتون، ترجمة: مجدي شرشر

84 – إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات: تأليف: طه بن جابر العلواني

85 – تربية الأولاد في الإسلام: تأليف د. عبد الله ناصح علوان

86 – نحو ثورة ثقافية: الإمام الصادق المهدي

مصادر أخرى

- جريدة الشرق الأوسط
- جريدة الحياة
- جريدة الأهرام
- موقع الوراق على الإنترنت: www.alwaraq.net
- مجلة نزوى موقعها على الإنترنت: www.nizwa.com

نبذة عن المؤلف

عبد المحمود أبّو إبراهيم عبد المحمود

هيئة شؤون الأنصار للدعوة والإرشاد ـ السودان (أم درمان)

للتواصل: العنوان الالكتروني:

aaia194@hotmil.com

تلفون: (00249912322226)

(002499123986628)

(00249123736627)

المؤهل العلمي:

- ماجستير فى الفقه المقارن ـ إدارة التنوع 2013م
- دبلوم عالي [شريعة وقانون] المعهد العالي للدراسات الإسلامية 2006م
- بكالوريوس [شريعة وقانون] جامعة أم درمان الإسلامية 1993م
- الشهادة الأهلية [قراءات] معهد شروني للقرآن الكريم وعلومه ـ الخرطوم 1989م
- الشهادة الأهلية معهد أم درمان العلمي 1988م
- يحفظ القرآن الكريم كاملاً

الأنشطة الدعوية:

- خطيب يؤم الناس لصلاة الجمعة لمدة (31) سنة من عام 1983م وحتى الآن 2014م
- أمين الدعوة والإرشاد: 1993 ـ 1995م
- الأمين العام لهيئة شئون الأنصار: 1995 ـ 2002م ـ أعيد انتخابه أميناً عاماً لهيئة شئون الأنصار: 2002 ـ وحتى الآن
- قدم عدة محاضرات في الجامعات والمعاهد والمساجد والأندية والساحات العامة

المشاركات الخارجية:

- عضو المؤتمر القومي الإسلامي ـ بيروت ـ وشارك في (3) دورات
- عضو المنتدى العالمي للوسطية ـ الأردن
- شارك في ثلاثة مؤتمرات أقامها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ـ وقدم بحثاً تحت عنون [الإسلام والتقدم العلمي والتكنولوجي] نشر ضمن بحوث المؤتمر
- شارك في مؤتمرات دولية في المملكة العربية السعودية وقطر والبحرين وتركيا والجزائر والأردن ولبنان

الفهرس

الاهداء: 5

المقدمة 7

أهداف البجث: 10

فرضيات البحث: 10

مدخل 13

تعريف الحوار: 13

الفصل الأول: أساسيات الحوار 19

توطئة: 21

المبحث الأول: مقدماته 23

1 – سلامة البيئة: 23

2 – الإعتراف بالآخر: 27

3 – الإستعداد للحوار: 31

المبحث الثاني: شروطه 33

1 – التوازن النفسي: 33

2 – نشدان الحق: 35

3 – الإعتراف للآخر بالفضل: 38

4 – المرونة وعدم التعصب: 39

5 – معرفة طبيعة المحاور: 48

المبحث الثالث: آدابه 53

1 – الإبتعاد عن السخرية: 53
2 – حسن الإستماع وعدم المقاطعة: 55
المبحث الرابع: عوائقه 59
1. تناقض المنطلقات التصورية للمتحاورين: 59
2. انعدام الثقة: 63
3 – عدم التكافؤ: 64
4 – تناقض الخطاب داخل أطراف الحوار: 64
الفصل الثاني: مشروعية الحوار 67
تمهيد: 69
المبحث الأول: الحوار في القرآن والسنة وفي سيرة السلف 71
اولاً: الحوار في القرآن: 71
ثانياً: الحوار في السنة: 77
المبحث الثاني: مكونات العقل المسلم 88
1ـ معرفة حقيقة الإسلام: 88
2 – مشروعية الحوار في الإسلام: 96
الفصل الثالث: الحوار الداخلي 111
تمهيـد: 113
المبحث الأول: طبيعة الإختلاف داخل ملة الإسلام 114
العوامل الموضوعية للإختلاف: 114
المبحث الثاني: ضرورة الحوار داخل الملة 125
تيارات الحوار الداخلي: 128
الفصل الربع: الحوار مع الآخر 133
المبحث الأول: مشروعية الحوار مع الآخر 135
أهمية الدين في حياة الإنسان: 136
أخطاء المتدينين: 137
الإسلام والتسامح: 138

الإسلام والأديان: 139
المبحث الثاني: أهمية الحوار مع الآخر 141
ميادين الحوار: 146
الفصل الخامس: الإسلام بين الحوار والمواجهة 159
المبحث الأول: عوامل الصراع بين الإسلام والآخر 161
المبحث الثاني: منهجية جديدة للتفكير 169
المبحث الثالث: التواصل الإسلامي مع الآخر 176
الفصل السادس: وسائل بناء ثقافة الحوار 191
تمهيد: 193
الوسيلة الأولى: معرفة أسباب التوتر والتخلص منها: 195
الوسيلة الثانية: معرفة الذات ومعرفة الآخر: 198
الوسيلة الثالثة: التربية: 202
الوسيلة الرابعة: الإعلام الهادف: 208
الوسيلة الخامسة: تبادل الزيارات: 209
الوسيلة السادسة: الأنشطة المشتركة: 210
الفصل السادس: من ثمرات الحوار 215
المبحث الأول: ثمرات الحوار في الدعوة 217
أولاً: تحول أفراد وجماعات للإسلام عن طريق الحوار: 222
ثانياً: الحوار وسيلة لتوضيح الأحكام الشرعية: 229
ثالثاً: المحافظة على وحدة الجماعة في أحلك الظروف: 231
رابعاً: إجلاء الحقيقة التي تغطيها الشبهات مع إقامة الحجة: 232
خامساً: ثمرات الحوار في العصر الحديث: 241
المبحث الثاني: ثمرات الحوار في التربية 243
المبحث الثالث: ثمرات الحوار في الثقافة والإعلام 250
أولاً: الثقافة: 250
ثانياً: في مجال الإعلام: 254

خـاتمـة 257
المصادر والمراجع 259
نبذة عن المؤلف 265